

وائل إبراهيم الدسوقي يوسف

الماسونية فى العالم العربى

“المبادئ - الأصول - الأسرار”



مكتبة الأنجلو المصرية

٢٠٢٠

الماسونية في العالم العربي

«المبادئ-الأصول-الأسرار»

تأليف

وائل إبراهيم الدسوقي يوسف

رقم



مكتبة الأنجلو المصرية

بطاقة فهرسة

فهرسة أثناء النشر إعداد الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق
القومية ، إدارة الشئون الفنية .

يوسف ، وائل إبراهيم الدسوقي .

الماسونية في العالم العربي " المبادئ - الأصول - الأسرار " /

وائل إبراهيم الدسوقي يوسف . - ط ١ . -

القاهرة : مكتبة الانجلو المصرية ، ٢٠٠٧

٢٥٤ ص ، ١٧ × ٢٤ سم

١- الماسونية أ- العنوان

٢- الجمعيات السرية

رقم الإيداع : ١١٣٤٥

ردمك : ٩٧٧-٠٥-٢٣١٠-٠٠ تصنيف ديوي : ٣٦٦,١

المطبعة : محمد عبد الكريم حسان

الناشر : مكتبة الانجلو المصرية

١٦٥ شارع محمد فريد

القاهرة - جمهورية مصر العربية

ت : ٣٩١٤٣٣٧ (٢٠٢) ؛ ف : ٣٩٥٧٦٤٣ (٢٠٢)

E-mail : angloebs@anglo-egyptian.com

Website : www.anglo-egyptian.com

دخل الشتاء.. وقفل البيبان عاليوت
وجعل شعاع الشمس خيط عنكبوت
وحاجات كثير بتموت فى ليل الشتاء
لكن حاجات أكثر.. بترفض تموت
وعجبنى!!

«من ربا عيات صلاح جاهين»
إهداء إلى عائلتى وكل أصدقائى وأساتذتى
لهم منى كل الحب والتقدير

٩ مقدمة
١٣ الفصل الأول: التاريخ العام
١٦ المصطلح والتعريف
١٧ الجذور التاريخية
٢٠ الرموز الماسونية
٢٤ المبادئ الأساسية وتطور الفكرة
٢٩ الهيئة التنظيمية للمحافل الماسونية
٣٣ طبقات الماسونية
٤٣ الفصل الثاني: مخططات ماسونية ضد الأمة العربية
٤٦ الزحف الماسوني على البلاد العربية
٥٠ إسقاط الخلافة الإسلامية هدف ماسوني
٥٧ مخططات صهيونية - ماسونية
٨٣ الفصل الثالث: الأصول العربية للماسونية
٨٨ أولاً: التراث الماسوني في فترة سليمان
٩٠ ثانياً: مخطوطات قمران وتعاليم الأسينيين
٩٢ ثالثاً: الحضارة الكنعانية
٩٣ رابعاً: فرسان الهيكل والماسونية
٩٧ الأصول المصرية للماسونية
٩٧ أولاً: جمعية إيزيس السرية

ثانياً : الماسونية في مصر في العصر المسيحي	١٠١
ثالثاً : الماسونية في العصر الإسلامي	١٠١
رابعاً : شباتاي تسيفي ومرحلة مصرية	١٠٤
• الفصل الرابع : النشاط الماسوني في البلاد العربية،	١١٣
الماسونية في مصر	١١٦
الماسونية في السودان	١٢٣
الماسونية في سوريا	١٢٥
الماسونية في لبنان	١٣٠
الماسونية في العراق	١٣٨
الماسونية في دول الخليج العربي	١٤١
الماسونية في الأردن	١٤٣
الماسونية في فلسطين	١٤٦
المحافل الإسرائيلية في فلسطين	١٤٨
الماسونية في تونس والجزائر والمغرب	١٥٠
شخصيات ماسونية	١٥٢
• الفصل الخامس : الماسونية بين التجريم والتحریم،	١٦٥
الموقف المسيحي من الماسونية،	١٦٦
مراسيم بابوية بشأن تحريم الماسونية	١٧٠
مرسوم بابوي ١٧٣٨ م	١٧٠

- ١٧١ مرسوم بابوى ١٧٥١ م .
- ١٧٢ مرسوم بابوى ١٨٢٨ م .
- ١٧٢ مرسوم بابوى ١٨٥٦ م .
- ١٧٣ مرسوم المجلس الأعلى المقدس للفتاىكان .
- ١٧٣ موقف البابا بولس السادس من الماسونية .
- ١٧٥ الإسلام والنشاط الماسونى .
- ١٧٦ فتاوى إسلامية بتحريم الماسونية .
- ١٧٧ توصية المؤتمر الإسلامى ١٩٧٤ .
- ١٧٧ فتوى الأزهر الشريف ١٩٨٥ .
- ١٧٩ فتوى المجمع الفقهى لرابطة العالم الإسلامى ١٩٧٨ .
- ١٨٢ آراء فى الماسونية .
- ١٨٢ رأى الشيخ رشيد رضا ١٩١١ .
- ١٨٣ رأى الشيخ محمد متولى الشعراوى ١٩٨٤ .
- ١٨٣ رأى الدكتور يوسف القرضاوى .
- ١٨٤ رأى الشيخ عطية صقر ١٩٨٤ .
- ١٨٥ الموقف الحكومى العربى من الماسونية .
- ١٨٥ إلغاء الماسونية فى العراق ١٩٥٤ .
- ١٨٦ إلغاء الماسونية فى مصر ١٩٦٤ .
- ١٩٠ إلغاء الماسونية فى سوريا ١٩٦٥ .

- إلغاء الماسونية في السودان ١٩٧٠ ١٩١
- إلغاء الماسونية في الإمارات العربية المتحدة ١٩٧٨ ١٩١
- قرار مكتب مقاطعة إسرائيل ١٩٧٧ ١٩٢
- دراسة نقدية لمصادر ومراجع تاريخ الماسونية. ١٩٧
- ملف الأسرار، وثائق وملفات. ٢١٣
- قائمة المصادر والمراجع. ٢٣٧

مقدمة

عندما يُذكر اسم الماسونية في جلساتنا يتبادر إلى ذهننا العديد من النظريات والآراء، ولكن ما هي الماسونية؟ ما أصلها؟ والأكثر من ذلك الذي يلعب من خلف الستار..

لن نجد شخصاً يتفق مع آخر علي أي شيء يخصها رغم ذلك السيل من الكتابات عنها. وقبل أعوام قليلة أدرك قادتهم أنه لا يكون في صالحهم تماماً أن يلف ذلك الغموض طقوسها ورموزها، ودعوا الإعلام إلى الإطلاع علي بعض أمورها، لكن الشيء الوحيد الذي يتفق عليه الجميع ولن يسمحو به أبداً، هو ما يحدث في اجتماعاتهم.

إن التنظيمات الماسونية تعد من أعرق التنظيمات التي كان وما يزال لها أثر بالغ الأهمية والفعالية في المجتمعات الإنسانية.

وقد تتفق الماسونية مع غيرها من التنظيمات السرية الأخرى في الأهداف التي تصبو إليها وتسعي لتحقيقها، ولكنها تختلف عن بقية التنظيمات السرية في الأسلوب الذي تنتهجه لتحقيق تلك الأهداف.

تحاول الماسونية دائماً إضفاء صورة اجتماعية خدمية علي نشاطاتها. ولكن ما هو مفهوم الفلسفة الاجتماعية لديها؟ وهل هي تؤمن بالإنسان في نطاق المجتمع؟ وهل خير الناس عندها هو أكثرهم نفعا لمجتمعه أم لمحفله الماسوني؟ وما هي مقاييس الفضيلة والرزيلة لديهم؟ وهل تتفق أعمالهم ودستورهم؟

ورغم التزام الماسونية جانب الحيطة والكتمان واصطناع السرية في طقوسها وبرامجها لتبدو محافلاً بمنظمات اجتماعية محايدة وبعيدة عن كل التيارات السياسية والدينية، فإن كثير من أصول تلك المحافل وشاراتها وشعائرها وطقوسها، بل وأن في سلوك المنتسبين إليها من رجال السياسة والدين ما يريب.

ولقد كتب العديد من الكُتاب عن علاقاتها المشبوهة مع الصهيونية، ودعا البعض إلى صهيونية التنظيمات الماسونية وقدموا الدلائل علي ذلك. أما البعض الآخر فقد نفي ذلك واحتمل دون تأكيدات أن الصهيونية استغلت الماسونية كأماكن لعقد الاجتماعات وحبك المؤامرات التي أدت في النهاية إلى نشأة دولة إسرائيل. واتخذ البعض جانب الحيطة والحذر بين ذلك وهؤلاء نظرا لخطورة الخوض في تلك الموضوعات.

ومن جانبي فقد اتخذت موقفا علمياً محايداً يعرض لجميع الآراء، ويحاول تحليلها التحليل العلمي المناسب دون اتخاذ موقف محدد تجاه أى طرف من الأطراف. ومن الممكن أن يجعلنى هذا أحياناً، موضعاً للاتهام من البعض نتيجة الرؤية العلمية الوثائقية التي من الواجب أن تتخذ موقف الحيدة وعدم التحيز.

تلك الدراسة هي ثانى دراساتى عن الماسونية، وكانت الأولى هي رسالة الماجستير الخاصة بى، والتي كانت بعنوان الماسونية فى مصر ونشاطها السياسى والاجتماعى والاقتصادى ١٧٩٨ - ١٩٦٤، وتناولت تاريخ الماسونية فى مصر، وهي دراسة علمية نقدية اعتمدت علي وثائق الماسونية فى مصر وكتابات المعاصرين لها وصحفهم ومجلاتهم. أما الدراسة الثانية فهي التي بين أيدينا الآن.

والماسونية ليست تلك المنظمة الغامضة التي يصعب دراستها، فقد كتب عنها العديد من الكُتاب الماسون وغير الماسون، وفصح أسرارها العديد ممن انشقوا عنها. وليست الماسونية تلك الجماعة المتضامنة المتوافقة فهي فى أغلب الأحيان متصارعة. فالخلافات بين محافلها عديدة ولا تنتهى، ومن الصعب أن تتضامن لتحقيق هدف واحد إلا فيما ندر، وعلي سبيل المثال كانت المحافل الماسونية الفرنسية قبيل الثورة الفرنسية فى أغلب الأحيان تتصارع، وأثناء الثورة الفرنسية وفى خضم أحداثها لم تكن بذلك التضامن والتآخي الذي يمكن أن نتصوره. وهناك من المحافل الماسونية التي لا تقبل اليهود وسط صفوفها، ومنهم من يقبلونهم ويتضامنون معهم فى قضاياهم.

وقفت الماسونية بجانب الحكومات فى العديد من المسائل الوطنية، وفى أحيان أخرى يختفى دورها بشكل يوحى بأنها لا تمثل جزءاً من المجتمع.

فى صفحات دراستنا نحاول أن نلقى الضوء على تاريخ الماسونية العام من خلال وثائقهم وكتابات الماسون الغربيين ودساتيرهم. أيضاً نناقش المصطلح والمبادئ الأساسية والجذور التاريخية للماسونية فى العالم، والهيئة التنظيمية للمحافل الماسونية. ونحاول أيضاً أن نناقش لمؤامرات الاستعمار ضد الأمة العربية ودور الماسونية فيها. ومؤامرات الماسونية ضد الخلافة الإسلامية ونجاحها فى إسقاطها والعمل على عدم قيامها مرة أخرى.

ونعرض لاستغلال الصهيونية للمحافل الماسونية، وما كتب فى بروتوكولات حكماء صهيون وما مدى صدق أو كذب تلك البروتوكولات. وما هى أصول الماسونية، مصرية أم يهودية أم إسلامية. وعلى ضوء المكتشفات الحديثة كمخطوطات قمران أو ما كتب عن جماعة سيون السرية أو فرسان الهيكل يمكن أن نضع أيدنا على العديد من الحقائق الجديدة عن تاريخ الماسونية ومدى قدمها فى التاريخ الإنسانى.

ويأتى الجزء الأهم من الدراسة لتتبع النشاط الماسونى فى البلاد العربية من المحيط الأطلنطى إلى الخليج العربى. وقد حاولت جاهداً الحصول على معلومات دقيقة، ومناقشة تواريخ تأسيس المحافل والشروق الماسونية بكل دقة حتى نتلافى كل الأخطاء التى وقع فيها غيرنا من الكتاب الذين اهتموا بتاريخ الماسونية فى البلاد العربية.

وأحب أن أنوه عن اتخاذى طريقة Chicago Manual of Style فى كتابة الهوامش السفلية، التى تتبع حالياً فى أغلب دول العالم، وهو أسلوب سهل الاستيعاب عن الطرق الأخرى، يتناسب فى بحوث الإنسانيات وهو المفضل فى كثير من الكتابات مثل التاريخ والفنون. هذا الأسلوب يعرض المعلومات الجغرافية بشكل يستوعب مصادر

مبتنوعة . أما عن استخدامنا لمعلومات مستقاة من شبكة الإنترنت، فقد فضلنا تحري الدقة في اختيار تلك المعلومات من حيث توثيق الموقع وجديته والجهة التابع لها، واستبعدنا عشرات المواقع التي تعبر عن وجهات نظر شخصية غير موثقة .

ولعلنا وبعد أن انتهينا من كتابة هذه الدراسة عن الماسونية في البلاد العربية قد وفيناها حقها من حيث المصادر والمراجع، وإذا رأي البعض أننا لم نأت بجديد وإن خالفناه، فلعلنا عرضنا موضوعنا بصورة مختلفة عن ما تم نشره قبل ذلك عن هذا الموضوع .

وبداية أشكر كل من جعلهم الله سبباً في إنجاز عملي بتلك الصورة، وأتوجه بشكري إلي جميع من سمحت لي مؤلفاتهم بعرض رؤيتي حول الماسونية في العالم العربي لهم منى كل الشكر والعرفان ..

وأخيراً، وكما نعلم جميعاً أنه من سمات الحضار أن نُكرم أدبائنا وفنانينا ومفكرينا، فالدول التي تسعى جاهدة للتشيد الحضارى هي التي تحسب حساب قادة العلم والإبداع فيها .. وأنه يجب أن نكرمهم في حياتهم، في صحتهم وعنفوانهم .

ومن جانبى أحب أن أكرم وأعترف بقيمة المبدع المميز صاحب القدوة والعطاء المؤثر، الأستاذ الدكتور أحمد زكريا الشلق أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر بكلية الآداب - جامعة عين شمس، وهو أستاذى وأستاذ جيل جديد من الشباب العربى الذين خطوا أولي خطواتهم العلمية علي يديه الكريمتين، له منى كل الحب والتكريم .

وفى النهاية أحب أن أكرر قول الله تعالى «ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون»، صدق الله العظيم - ال عمران - آية ١٠٤ .

وندعو الله أن نكون من هذه الأمة .

وائل إبراهيم الدسوقي

زهراء مدينة نصر - القاهرة

١ / مارس / ٢٠٠٧



تعد الماسونية أكثر الحركات السرية عمقا في التاريخ الإنساني وأطولها بقاء على الإطلاق، مما جعلها تشغل بال المفكرين منذ قرون، في محاولة لمعرفة أصولها وأهدافها فيسهل فهم مبادئها وتحديداتها في إطار فكري مفهوم، فقد تسببت بسريتها في أن تلتصق بها الكثير من الاتهامات الخطيرة التي لو ثبتت لاتضح أن تاريخ البشر ما هو إلا ألحوبة في يد الماسونية ومعاونيها، تحدد مقدراته كما تشاء بشكل ينفي معه كل القوانين التي تحكم تاريخ البشرية.

إن التنظيم السري بشكل عام يعد بيئة اجتماعية تنشأ عند الحاجة إليها، ويتفرع الحاجات - المراد التعبير عنها - تتعدد صورها باختلاف الجوال العام في المنطقة التي ينشأ فيها. واشتهرت التنظيمات السرية في الدول ذات التوجهات الصارمة في منع التعبير العلني عن حاجات الناس. لكن جهات محددة اتخذت من السرية ستارا لها حتى في أوقات حرية الرأي والتعبير، وهنا يكون الداعي لتلك السرية هو الأهداف والوسائل غير المشروعة التي تنوى استخدامها.

ومن أكبر الأمثلة على ذلك المحافل الماسونية في الغرب والشرق على حد سواء، والتي تعد من أبلغ الجماعات تأثيراً وأفدحها ضرراً على المستهدفين بمكائدها، فتعتبر بذلك من جماعات الضغط التي تتخذ من جمع التبرعات والمشروعات الخيرية سبيلا للسيطرة على المجتمع وتقييده بمصالحها، ولذلك لا عجب أنها استطاعت جذب أعضاء من المؤسسات الدستورية مثل الجيش الذي يستفيد من رفع مخصصاته المالية عند التصويت على مشاريع القرارات لما للماسون من مقاعد في المجالس المختلفة. كما تحاول دائما مد أيديها إلى الشركات ورجال الصناعة.

وهكذا تكون السرية أمراً مفيداً عند وجود التنظيم الذي يسعى لتحقيق مصالحه بدون أن يتعرض للمسائلة عن أخطائه في الوسائل والغايات. ومعظم التنظيمات

السرية الناجحة تنشأ في بيئة لا دينية، وكانت دعوة تنظيم سرى مثل الماسونية إلى التعاون مع العلمانيين لأن العلمانيين يدعون إلى تحييد الدين. وهذا في مصلحتهم على المدى الطويل، فعندما يكون البلد علمانيا فمن السهل عليهم أن يصلوا لمواقع التأثير، التي كانت مستحيلة بوجود تأثير للدين، لكن ذلك لا يمنعهم من التعاون حتى مع رجال الدين وانتشار أفرادها بين الصحف والمنتديات في محاولة الوصول لما يمكن من مواضع الأقدام.

المصطلح والتعريف:

اصطلاحاً ترجع الماسونية إلى الكلمة الفرنسية Maçon المشتقة من أصل لاتيني Matio أو Machio بمعنى بنائي جدران وهو اصطلاح أطلق كي يعبر عن طائفة دون غيرها، كما تعنى في اللاتينية أيضا Liber Aedificator بمعنى بناء حر، وفي العبرية (بونيم حفشيم) المشتقة من لفظ البناء الحر (هبنيا هحفشي) ^(١)، وفي الألمانية (شتاينميتر) Steinmetz من أصل (ميترسن) Metzen واستخدم لفظ البناء الحر الإنجليزي Freemasonry لأول مرة في سنة ١٣٧٥. وغالباً أتت كلمة الماسون الأحرار Freemasons من كلمة Freestone - Mason ومن ذلك الاشتقاق نرى أن الماسوني يبني أو يقطع ^(٢).

ورغم أن هذا الاشتقاق غير مرض للبعض فقد اقترح أن كلمة Freemason أتت تعبيراً عن رغبة بعض البنائين من الناس في الإعفاء من سيطرة النقابات عليهم فدعوا أنفسهم البنائون الأحرار (طبقاً لقاموس أكسفورد، طبعة ١٩٩٠) - وقد ظهرت ترجمة للكلمة بمعنى صناع ماهرين اعتنقوا في العصور الوسطى ممارسات وطقوس في بناية كبيرة، وشكلوا صناعة عالمية بنظم وإشارات سرية غلبوا بها العمارة القوطية في أوروبا وسط انحطاط كامل في البناء فكان التفوق للماسونية.

وقد أرجع بيجمان وثبيت أصل الاسم إلى عام ١٤٩٥، بينما ذكر جولد أن لفظ البناء الحر ظهر فيما بين عامي ١٤٤٤ و ١٤٤٥ ^(٣) دون إبداء أسباب ترجيحه، لكن

على الأرجح أنه ظهر أول ما ظهر في سنة ١٧١٧ عند وضع دستور (ميثاق) الماسون. فهذا العام في الموسوعة العبرية هو العام الذي بدأت فيه الماسونية بأسس رمزية^(٤).

لقد تحول المعنى العام للماسونية إلى تعريف خاص ذكره ماكي محرر دائرة المعارف الماسونية التي نشرت في لندن عام ١٩٠٨، واعتبره التعريف الأمثل للماسونية وهو علم ينشغل الباحث فيه بالبحث عن الحقيقة المقدسة^(٥). إلا أن الموسوعة الألمانية (هاندبوخ Handbuch) ترى أن الماسونية هي: نشاط الرجال المتحدين المقربين، ويستخدمون أشكالاً رمزية استعاروها من أدوات البناء والهندسة المعمارية عملاً لرفاهية البشر بواسطة جلب فريق من كل أنواع البشر الذين يطمحون في نشر مبادئهم على الوجه الأكمل^(٦).

وفي عام ١٩٢١ حددت مجلة المشرق البيروتية أهم مفهوم للماسونية كان سائداً في الشرق آنذاك وهو: الماسونية هي حركة تبين لأتباعها كل نقيصة لابد من تجنبها، وكل فضيلة يجب اتباعها طلباً للكمال^(٧)، وكان هذا التعريف بعيداً عن وجهة نظر المجلة لأنها لا يمكن أن تقتنع به، لأنها كانت دائماً تأخذ خطأ معارضا للماسونية والماسون، وفي عام ١٩٣٣ نقلت عن مجلة المعارف الشوفياتية الأرثوذكسية نصيرة الماسونية ولسان حالها بأنها جمعية خفية سرية تكتم أسرارها وأسماء أعضائها رؤساء وإخوانا^(٨). أما التعريف الأكثر انتشاراً في عالمنا الإسلامي فهو أن الماسونية هي مؤسسة يهودية سرية انتشرت في معظم أنحاء العالم لخدمة أهداف صهيونية^(٩).

الجدور التاريخية:

ظهرت المحافل الماسونية في العصر الحديث أول ما ظهرت في إنجلترا، وكان أول محفل إنجليزي يبدأ أعماله هو المحفل الأعظم الأول The First Grand Lodge في عام ١٧١٧ م الذي اكتمل بناؤه الفعلي في عام ١٧٢٣، واحتوى على ثلاثة درجات رمزية هي (الصانع - الزميل - السيد)^(١٠). كما تطورت محافلهم ببطء لتصبح على

نمط حديث لا يمت بصلة للنظام الماسوني القديم على الرغم من أن ماكي Mackey رأى أن نهضة الماسونية الحديثة كانت على أساس إحياء القديم^(١١).

وهكذا شهد الربع الأول من القرن الثامن عشر تجديداً في التراث الماسوني لم يسبق له مثيل، ذلك أنه منذ نهاية القرن السابع عشر جددت في تاريخ إنجلترا أحداث أثرت في كيان الجمعيات الماسونية تأثيراً حاسماً، فإنجلترا كانت تجتاز تغيرات في تاريخها التكنولوجي والاقتصادي تقلصت خلالها حركة البناء خاصة تشييد الأبنية الضخمة كالقلاع والكاتدرائيات، مما أدى إلى تقليص أعمال نقابات البناءين بصورة تدريجية، فضلاً عن تحول كثير من العاملين في حرفة البناء إلى أعمال أخرى.

وهكذا عمدت المحافل الماسونية إلى قبول أعضاء فخرين لا علاقة لهم بحرفة البناء بقصد تعويض من فقدتهم من أعضاء ودعم محافلهم، كما أن الفوائد الجانبية لهذه المحافل اجتذبت أشخاصاً لم يكونوا من أبناء حرفة البناء بل ينتمون إلى مختلف مجالات الحياة. وقد سمي هؤلاء الأعضاء بالبناءيين النظريين أو الاعتباريين Speculative.

وقد ازداد عدد هؤلاء النظريين بصورة تدريجية حتى طغى على عدد البناءيين (الفعليين)، وحل النظريون محلهم تماماً. وانتشرت بعد ذلك الماسونية في الجزر البريطانية نتيجة للتناقص الموجود بين أفكارها والتيارات الجديدة للفكر الديني والسياسي وعدم وجود حكومة مطلقة ولا كنيسة مهيمنة^(١٢).

وربما كان دخول رجال أعمال الثورة الصناعية في جمعيات سرية مثل جمعية القمر^(١٣)، والجمعية الماسونية يمثل إحساس هؤلاء بأن عليهم مسؤولية اجتماعية جاءت نتيجة الإحساس بأن الحياة الكريمة أكثر من مجرد مستلزمات مادية - وإن ارتكزت عليها - مما ينفي تلك الصورة التي أخذت عن رجال الثورة الصناعية والتي تمثلهم متجهمين ولا هدف لهم غير مصالحهم الشخصية وهذا خطأ بكل تأكيد، فقد أصبحوا رجال أعمال لأنهم كانوا مخترعين تبع اختراعاتهم من خيال، ولم يكن معظمهم ينتمي إلى الكنيسة الإنجليزية، وإنما إلى التعاليم البيوريتانية لطائفة الموحدين وشبهاتها من الحركات^(١٤).

على أية حال فإن صعود نجم الماسونية تمثل في إنجلترا عام ١٧١٧، أما في فرنسا فقد وصلتها الماسونية في عام ١٧٣٤ وانتشرت سريعا في أوروبا البروتستانتية. كما أيدها فريدريك الثاني في ألمانيا وجستاف الثالث في السويد، وحظر البابا كلمنت الثاني عشر ١٧٣٨ على السلطات الكنسية أو العلمانية الانضمام إلى الماسونية أو حتى مساعدتها، ولكن برلمان باريس رفض تسجيل هذا الأمر البابوي فجرد بذلك من مفعوله القانوني في فرنسا، وفي عام ١٧٨٩، كان هناك ٦٢٩ محفلا ماسونيا في باريس كل منها يضم عادة من خمسين عضوا إلى مائة، وبين هؤلاء كثير من النبلاء وبعض الكهنة وأخوة لويس السادس عشر وأكثر زعماء حركة التنوير.

وفي عام ١٧٦٠، أسس هلفتيوس محفل العلوم، ووسعه الفلكي لالاند في عام ١٧٧٠، وأطلق عليه اسم محفل (الأخوات التسع). وضم بعد ذلك برتوليه - فرانكلن - كوندرسية - شامفور - جروز - أودون - سيبس - بريسو - ديمولان - دانتون وهم أكثر من أثروا في ثقافة الفرنسي في المرحلة التاريخية التي سبقت الثورة الفرنسية، فضلا عن الثقافة الإنسانية بصفة عامة فيما بعد^(١٥).

لقد كانت الماسونية في فرنسا من الناحية النظرية تستبعد من عضويتها كل ملحد، وكان على كل عضو أن يعلن إيمانه بـ مهندس الكون الأعظم، ولم تشترط في العضو عقيدة دينية غير اعترافه بمهندس الكون الأعظم، وبذلك قصر الماسون بوجه عام لاهوتهم على مبدأ الربوبية^(١٦). ويبدو أنهم كانوا أصحاب نفوذ في الحركة التي قامت لطرد اليسوعيين من فرنسا. وكان هدفهم المعلن أن ينشئوا جماعة إخوان دولية سرية يترابطون فيها بالاجتماع والطقوس، ويتعاهدون بتبادل العون والتسامح الديني والإصلاح السياسي.

وفي عهد لويس السادس عشر دخلوا ميدان السياسة بنشاط، وأصبح عدد من الأعضاء الأرستقراطيين زعماء متحررين في الجمعية الوطنية مثل لافاييت - ميرابو الأب والابن - الفيكونت دنواي - دوق لاروشفوكو - ليانكور - دوق أورليان^(١٧). كما

تحولت المحافل الماسونية في أوروبا عن طابعها الأصلي إلى أساس رمزي، فأصبحت جمعيات تضامنية أخوية يترابط أعضاؤها بمبادئ معينة وكثير من الطقوس القديمة، ويرمز وتتفق وفن البناء مثل (الشاقول والقدم والأزميل والمثلث والمئزر) وغيرها^(١٨).

إن أهداف الماسونية في العالم لا تتحقق بمجهود أفراد، فهي مرسومة بدقة ومخطط لها منذ القدم، والمنظومة الدولية تمنع تحديد هدف ماسوني من قبل أفراد، وقد حدد المحفل الأكبر في بريطانيا الأهداف الماسونية التي تتلخص في الآتي:

الماسونية تدور حول فلك أخلاقي صارم لا يجب الخروج عنه، فهي تهدي إلى أعمال البر والإحسان والدفاع عن العفة واحترام أوامر الصداقة ومساعدة الضعفاء، وإرشاد الضالين ومناصرة اليتامى، ورفع شأن المذلولين ومساندة الحكومات ونشر الأخلاق والعلم وحب البشر ونشر التقوى وتنفيذ أوامر الله ليكتب لهم الخلود^(١٩).

لكن تلك المبادئ والأخلاقيات الحميدة التي نادى بها المحفل الأكبر البريطاني في القرن الثامن عشر، ومن خلال استعراض تاريخ الماسونية في العالم لم تبق في حيز التنفيذ كما كانت بل اختلفت ودخلت عليها الأطماع في السلطة والنفوذ. وبدأت بعض المحافل تعمل بشكل منفرد لتحقيق بعض الأهداف المحدودة التي تخدم وجودها في مكان انعقادها، وربما يكون هناك هدفا عاما يرتبطون به ولكن ذلك لا يمنع تحقيق بعض الأهداف الصغيرة في بعض الأحيان.

الرموز الماسونية:

تميزت الماسونية برموز وشعارات ذات دلالات خاصة، فيرى الماسون أن إلههم ليس بالضرورة إله موسى عليه السلام وعيسى عليه السلام ومحمد عليه السلام، بل هو مهندس الكون الأعظم، ومن الواجب تحديد من يمكن أن يستحق أن ينطبق عليه هذا الوصف، ومن مهندسهم الأعظم أنت رموزهم التي إن دلت على شيء فإنما تدل على مهنتي الهندسة والبناء، فرمز الماسونية تحمل في مجملها دلالات خاصة.

النجمة السداسية والفرجار والزاوية والعمودان والمثلث المتساوي الأضلاع والنجمة ذات الخمسة رؤوس والصقر ذو الرأسين والهلال وحرف (G)، كلها رموز تحمل معاني خاصة لديهم، والماسونية ترى أن تلك الرموز تؤدي إلى معاني لا يعرفها إلا الماسون. ومن البديهي أن يعتقد الناظر إلى رمز (العمودين) أنه رمز هيكل سليمان عليه السلام، وقد نقش على أحدهما حرف (B) الذي يمكن أن يكون الحرف الأول من اسم بوعز الجد الرابع لنبي الله سليمان (٢٠). بينما نقش على العمود الآخر حرف (G) ومن الجائز أن يكون الحرف الأول من اسم جاكين أحد أسباط إسرائيل (٢١) يعقوب عليه السلام (٢٢) ولكن لماذا اتخذوا بوعز تحديدا رمزا لهم؟ !

ولو فرض أن الماسونية ذات صبغة يهودية فإن من الواجب أن يتخذوا يهوذا (٢٣) أحد الأسباط رمزا لهم، ولو دققنا النظر في اسم جاكين سنجد أنه يتشابه مع اسم إيلياكين (٢٤) وهو سليل يهوذا ابن نبي الله يعقوب وهو ليس من الأسباط، ولو فرضنا أنهم اتخذوا إيلياكين رمزا، فلماذا هو تحديدا؟ ويمكن أن يكون حرف (G) دلالة على لفظ God بمعنى الله، فبالنسبة للماسون كان اسم الإله خفي من القداسة والقوة السحرية بحيث لا يمكن إفشاؤه حتى للمراتب الدنيا من الطائفة. فيمكن أن يكون هذا الحرف دلالة على كلمة جابولون Gabulon (or) Jabulon التي تتألف من ثلاثة مقاطع، أما المقطعان الأول والثاني فهما (جا) ويرمز ليهوه إله إسرائيل، وبول ويرمز للإله بعل الكنعاني، أما المقطع الأخير أون فهو الاسم العبراني لمدينة أون المصرية التي عرفت باسم هليوبوليس مدينة الشمس. وهكذا يكون الاسم بالنسبة إلى الماسون جماعا للحكمة القديمة المصطفاة نظرا لاختيارهم هليوبوليس رمزا.

ويمكن أن يكون دلالة على كلمة مهندس Engineer باللغة الإنجليزية، ما دام الله يعني لديهم مهندسا للكون (٢٥).

وقد لاحظت أثناء إعدادي لتلك الدراسة أن وثائق الماسون تختصر تعبير مهندس الكون الأعظم إلى الرمز (GAOTU)، وهي اختصار واضح للترجمة الإنجليزية Great

Architect of The Universe . وقد تكون هذه الترجمة هي أصل الرمز (G) .

ويعد رمز (الزاوية والفرجار) من أكثر رموز الماسونية شهرة، ويرى الماسون أن الزاوية تعنى عندهم وجوب الاشتغال حسب القانون الماسوني والسير حسب الخطة، وتوفيق مسلك الماسوني على أصول الأدب والفضيلة وتعلم الأدب . أما الفرجار فيرمز إلى النسبية التي تقاس به أو تحدد بواسطته أكبر الميادين، وأقصى درجات الإبداع التي يتوصل إليها النبوغ الإنساني (٢٦) .

ويظن البعض أن اليهودية العالمية استعملت نصف هذا الشعار بحجة أنه يعنى حرف (V) باللغة الإنجليزية أول حرف في كلمة النصر Victory . ولكن لا يدللون على قولهم هذا بشيء (٢٧) . وآخرون يرون أنه يشكل النجمة السداسية إذا أوصلنا أطرافه وتتبعنا الرمز هندسيا (٢٨) . ومن الثابت أن النجمة لم تتخذ كشعار أو رمزا لليهود إلا حوالي القرن السادس عشر .

وفي القرن التاسع عشر ظهرت نجمة داود على درع عائلة روتشيلد عندما رفعه الإمبراطور إلى مرتبة النبلاء، وهكذا أصبحت نجمة داود - مع بداية القرن التاسع عشر - رمزا شائعا ومناफسا خطيرا للمنورة، التي هي أهم رموز اليهودية القوية والتي لها عامل روحى قوى لديهم . وقد دفع انتشارها فى العصر الحديث فى المعابد والنصب التذكارية رؤساء الحركة الصهيونية إلى الإعلان عنها فى سنة ١٨٩٧م كرمز أساسى فى علم الحركة الذى أصبح علما لدولة إسرائيل فيما بعد (٢٩) .

على أية حال، لم تتخذ النجمة مغزى سياسى إلا فى القرن التاسع عشر . ومن رؤية شعارات المحافل الماسونية سوف نجد أن لكل محفل رموزه الخاصة التي تتشابه فى بعض الأحيان، فالنجمة لدى المحافل تختلف فى أشكالها، فمنهم من يستخدم النجمة السداسية الشكل، ومنهم من يستخدمها خماسية الشكل، ومنهم من يستخدمها ثمانية الشكل، ولكل شكل منهم دلالة خاصة .

ومن المعروف أن أول من استعمل ورسم الكواكب على شكل هندسى كرموز

للماسونية سرية هم اليهود، وقد عملوا على تعويد الناس على شكلها الهندسى برءوسه الخمسة أو الستة أو السبعة. فالأولى (الخماسية) استعملت فى زمن نبي الله سليمان، والثانية (السداسية) استعملت فى عهد نبي الله داود. أما الثالثة (السباعية) فقد رمزوا بها إلى الشمعدان الذى يستعمل فى طقوسهم^(٣٠). وهذا رأى جدير بالاعتبار لأن اليهود أقدر الفئات التى تستطيع تحويل القيم الروحية لرموز تخدم أغراضهم السياسية، وكان للتواجد اليهودى فى المحافل الماسونية أثره فى انتشار مبادئهم السياسية، لاختلاطهم بكافة فئات المجتمع الأخرى داخل المحافل الماسونية.

أما رمز (الصقر ذو الرأسين) فيرى فى خواتم أصابع اليد، ويكون فى بعض منها رسم التاج بين رأسى الصقر من أعلى^(٣١). أيضا حاول الماسون التقرب من المسلمين فكان (الهلال) شعارا لهم، وهو من الشعارات والأسماء السرية التى طرحت كثيرا من قبل الماسونية^(٣٢).

كما يعتبر (المثلث المتساوى الأضلاع) من أكثر الرموز الماسونية استعمالا فى العالم، ويرى البعض أنه يشكل نصف النجمة السداسية^(٣٣). ولكن لو نظرنا إلى رسم المثلث سنجد أنه بين رموز العبادات والحركات السرية والعقيدة القديمة، فنجد مثلا فى عبادة مئثرا وإيزيس ووسط رموز الطائفة الإسماعيلية^(٣٤). وقد يعنى المثلث مبدأ التثليث أو الحرية والإخاء والمساواة أو غيرها^(٣٥).

إن كل العبادات والحركات السرية القديمة تشترك فى اتخاذ الرمزية أساسا لهم فى طقوسهم وشعائيرهم، والماسونية واحدة من تلك الحركات السرية التى كانت تبحث عن رموز سرية لها، فأخذت من العبادات القديمة بعض الرموز، ومن التوراة بعض الرموز الأخرى، ومن طقوس محافلها طورت بعض أدواتها لتكون رموزا لها.

وللماسونية شعارات ورموز أكثر مما نعلم حيرت فى أمرها الكثيرين، ولم يستطع أحد الوصول إلى أصولها أو مغزاها، ومن أمثلتها (المشعل - قبضة الأسد - الحمامة ذات الرأس الإنسانية حاملة الغصن - الريشة المربوطة بمفتاح بواسطة «لسنة

ذات جزأين- الفانوس المثقوب بسيف- رسم اليدين المتصافحتين- ورأس إنسان بشكل شمس مشعة- العين الواحدة - الكف الواحد- والأذن الواحدة).

المبادئ الأساسية وتطور الفكرة:

هناك خلاف بين الماسون على مبادئهم، الإنجليز منهم يطلقون على مبادئ الماسونية كلمة (معالم)، وهي تبين حدود الحرية الماسونية المستحيلة التغيير، وهي أكثر من خمسة وعشرين مبدأ، وأن مبادئهم تعتمد على التمييز بإشارات وكلمات وخطوات سرية (٣٦).

ومن تلك المبادئ أنه يجب على الأعضاء زيارة كل محافل العالم الماسونية بشكل منتظم، وقد أوضح أندرسون في دساتير البناءين الأحرار The Constitutions of Freemasons (٣٧) أن الاهتمام بالله والدين بناء إلزامي، كما يجب أن يفهم الماسوني القانون الأخلاقي والفن بشكل صحيح ولا يكون ملحدا أو خليعا غير متدين (٣٨)، وأن يترك الرجال آراءهم الخاصة لأنفسهم، ويكون الرجل من الشرف والأمانة مما يجعله جديرا بالاحترام.

وفي الدستور الماسوني تحت عنوان سلوك البناءين الأحرار يلتزم الماسوني بالترتيب في الدرجات والنظام وحفظ السلام، وأيضا الانسجام وعدم الغضب أو إثارة أي نزاعات خاصة، كما لا تناقش سياسات الأمم أو أمور الدين بين الماسون في المحافل، وذكر الدليل الألماني للماسونية أنه في الطبعة الثانية من الدستور التي صدرت عام ١٧٣٨ أضيفت صفة أبناء نوح Son of Noah للبناءين، وكان هذا هو الاسم الأول للماسونية. كما تكررت صفة البناء المسيحي كثيرا إشارة إلى البناءين الأولين عند ذكر ما يتعلق بوجوب تمسك الماسوني بدينه عند كل بلد يذهب إليه وأن يتمسك بمسيحيته، ولكن لماذا في تلك الطبعة من الدستور الماسوني بالذات ذكرت المسيحية دون سائر الأديان؟! كما أضاف أندرسون في آداب الاجتماعات الآتي: لا غضب ولا نزاعات حول الأمم والأديان، أو السياسة تحت أي لون أو تأثير. فنحن

البناءون، نحن الدين الكاثوليكي الأكثر قدماً^(٣٩). ومرة أخرى نتساءل لماذا ذكرت الديانة المسيحية على المذهب الكاثوليكي؟!

لقد لخصت المبادئ بعد عام ١٧٤٧ م في الصديق في التعامل مع الإله والكنيسة وعدم الخطأ في استعمال الكتب المقدسة دون ذكر دين أو مذهب معين. وكان مبدأ الإنسانية بكل ما تتصوره الكلمة هو المبدأ الأساسي للبناء^(٤٠). ومع تلك التعليمات غير الطائفية استطاعت الماسونية ضم الأنصار من كل الطوائف بغض النظر عن اختلافات اللون والمناخ^(٤١).

وأكد نص الدستور الماسوني عام ١٧٣٨ مبدأ حرية الضمير Freedom of Conscience وطبيعة المسيحية العالمية للماسونية وأن الماسونية تدعو إلى الحقيقة، ولم يلزم البناءون الأحرار بالالتزام بدين معين^(٤٢). وقد يكون أندرسون قد قصد بالدين مذاهب المسيحية وليس الأديان السماوية.

ويستنتج كروس بأن دستور أندرسون كتب موجزاً، من تلميحات بسيطة مجردة وأسرار بسيطة دون تفاصيل، ولقد كان الميل العام في هذا الدستور أن يعرض جوهر الماسونية^(٤٣). وقد يكون ربط الماسونية بالهندسة جاء من أن معظم الأعضاء من الماسون الأوائل كانوا يتبعون الطريقة الهندسية للسبب والمعطيات لتحقيق النتائج الحقيقية متأثرين بأصول قوطية وأغسطسية^(٤٤)، وبشكل عام يبدو أن البناءين المؤسسين كان في نيّتهم أن يتخذوا نفس الطرق الهندسية لأغراضهم الاجتماعية^(٤٥).

وتختلف محافظ أمريكا الشمالية عن بقية المحافظ بإصرارها على الإيمان بالإلهام القدسي للتوراة كمؤهل أساسي للدخول في الماسونية، غير أن بضعة ماسون من ماسوني أمريكا وألمانيا يعلنون بناء محافظهم كمؤسسة مسيحية، طبقاً للمعرفة الألمانية بأن السيد المسيح (هو الرجل الصافي الحكيم المستقيم، وهو أيضاً نموذج الرئيس ومعلم الإنسانية^(٤٦)).

وفي السويد يقتنع محفلها الأكبر بوجود مذهبين للمسيحية أحدهما خارجي قدر

للناس، وآخر باطنى غير ظاهر للتابعين الأقربين المختارين مثل سان جون الذى أنكر ألوهية المسيح.

وتعد الماسونية عند المحفل الأعظم السويدى سلية الجمعيات السرية المسيحية فى مذهبهم الباطنى^(٤٧). وعلى الرغم من ذلك فإن الماسونية غير مسيحية ولا تتبع مؤسساتها، لأنه طبقا للمبادئ الماسونية فالعقيدة والإيمان بالأديان مسألة ثانوية، فما يحركهم - فى اعتقادهم - هو الحب الإلهى، والتحمل الإنسانى فى إطار الإنسانية. وهكذا فالماسونية معارضة ليس فقط للكاتوليكية أو المسيحية ككل بل أيضا للنظام الكونى كله، ويتضح من ذلك أن هناك تناقضات عنيفة فيما بين الماسون ومبادئهم.

وفى كل طبعات الدستور الماسونى توجد فقرة تقول: يجب فهم الفن بدقة ولا يكون الفرد ملحدا غيبيا أو خليعا غير متدين، ويرى البعض خلافا حادا لمفهوم تلك الكلمات منذ محو (المشرق الماسونى الأعظم الفرنسى) لتلك الفقرة من دستوره. وتم عمل دستور جديد فى عام ١٨٥٤ وفىه أن وجود الله وخلود الروح قد أعلنوا قواعد الماسونية. وقدمت فى الفقرة الأولى من الدستور الجديد محتوى عام يرى أن الماسونية فلسفة محبة للبشر جوهريا، ومؤسسة تقدمية تنظر فى الأمور باحثة عن الحقيقة تهتم بدراسة الفنون وممارسة الإحسان، وعند الماسونى حرية مطلقة فى ضميره يتضامن مع أخيه الإنسان من مبادئها الحرية - الإخاء - المساواة.

وفى ١٠ سبتمبر ١٨٧٨ أمر (المشرق الماسونى الأعظم الفرنسى) أن تحذف من طقوس المحفل كل التلميحات إلى العقائد الدينية كرموز المهندس الأعظم أو الرموز التوراتية، مما أثار اعتراضات مهيبة من الأعضاء الأنجلو أمريكيين والألمان، قادت إلى تمزيق أواصر الصداقة بين المشرق الفرنسى والمحفل الأنجلو أمريكى، ومع ذلك فقد تعاطف الماسون فى أمريكا وأوربا مع مبادئ الماسونية الفرنسية. ورفضت المحافل الأمريكية الاعتراف بمحفل سويسرا الذى حافظ على علاقاته الودودة مع المحفل الفرنسى.

وهكذا وبسبب ذلك الصراع بين المحافل الفرنسية والأنجلو أمريكية والألمانية

أصدر المحفل الأكبر الإنجليزي في عام ١٨٧٨ قرارات أهمها: أن يعلن من يؤمنوا بوجود مهندس الكون الأعظم أنهم يتمسكون بالماسونية القديمة، وأن يوضح الأخ الماسوني كافة اعتراضاته على المشرق الفرنسي ويثبتها كشرط لدخوله المحفل الإنجليزي^(٤٨).

في الحقيقة كانت المحافل الأمريكية تؤمن بأن مهندس الكون الأعظم مجرد رمز، ومع ذلك فقد اقتلعت كثير من المحافل الأمريكية والإنجليزية بتلك الرمزية دون ادعاء أن ذلك من قبل الإلحاد^(٤٩). ولقد ذكرت الحولية الماسونية أن أحدهم أعلن ويدعى زابريسكي في ١٣ نوفمبر ١٨٨٩ بأن الفرد يمكنه الوثوق بعدد من الآلهة إذا أوصله ضميره وحكمته لذلك^(٥٠). والبعض وافق على ذلك الرأي بالفعل بناء على رأى (المحفل الألماني) الذي أيده. غير أن كثير من البنائين يقولون أن أغلبية الرجال يضعون الله في إحساسهم بالآديان كرجل قوى، والبعض الآخر يحملون الله في عقولهم كفكرة عليا، ويشعر به في باطنه دون ظاهره. وطبقا للتصور الظاهري فهؤلاء ينكرون الله ماديا وليسوا ملحدين، وطبقا للتصور الباطني فهم يتصورون الله كفكرة يحسونها^(٥١).

وقد أثار ذلك الخلاف عاصفة من جدل ومناقشات حادة، ومراسلات بين المشرق الفرنسي والمحافل الإنجليزية. وقد حاول الإمبراطور فريدريك الثالث، إفهام شعبه في ١٢ سبتمبر ١٨٨٦ م بعض مبادئ الماسونية فقال لهم ميزوا قبل كل شيء أحوالنا بمعنى واحد هو حرية الضمير، فاعتبر بذلك مبدأ حرية الضمير هو أساس المحافل الألمانية^(٥٢). وكان على الماسون الإجابة على سؤاليين هل من يتجاهل الرموز والرمزية يعتبر منحرفا عن التقاليد ويتهم بالإلحاد؟ وهل الإيمان بذلك كالإيمان بدين لا أساس له؟

لقد فرضت بعض المحافل الكبيرة في البداية أن الرديكالية الفرنسية بالغت في بعض الأمور العقائدية وحجزت الكثير من الرموز، فرد أستاذ (المشرق الماسوني الأعظم الفرنسي) قائلاً:

نوافقكم بالكامل على اعتبار كل العقائد إما سلبية أو إيجابية، وهذا ما سيكثر من الرموز مما يؤدي إلى تناقض البناء، فالرموز يجب أن تكون واضحة طبقاً لفهم البناء الخاص، ومن هنا يجب على المحفل حجز الرموز لتوضع محل الاختيار. كما أضاف بأن الله هو نافورة الحب التي تتدفق على كل المخلوقات بالتساوي دون كراهية، فهو المهندس العبقري الجيد المستقيم الهائل الوجود. أما المحفل الإيطالي فقد مجد الله على النمط التوراتي^(٥٣).

على أية حال، بعد أن كانت المحافل الإنجليزية سنة ١٧١٧ أربعة فقط زادت في عام ١٧٢١، وحينما دخلها أعضاء من (الجمعية العلمية الملكية) بدأت الانتشار في أوروبا^(٥٤). وجاء هذا التوالد السريع نتيجة روح العصر الذي تعب من الذرعات الدينية، وتامل من أعضاء الهيئة الإكليروسية الساخطة على المجتمع الموجود، الذين لا ينزعون إلى التنوير ويستريحون حين يفرضون الأغااز القديمة. وقد سعدت الماسونية حين حاولت جمع من يميل إلى اتجاهاتها الفكرية والإنسانية، وحاولت بناء مجتمع على قاعدة إنسانية بشكل مطاط مرن.

وهكذا جمعت الماسونية الكثير من أصناف المجتمع وخضعت الفترة ما بين ١٧١٧-١٧٢٣ لتعديلات كثيرة، على حين قال جولد أن القواعد والرموز كانت واحدة طيلة الفترة^(٥٥). وأصبحت الماسونية عالمية منذ عام ١٧٣٠ بعد أن دخلتها الدرجة الرابعة الملكية الرئيسية^(٥٦) التي استعملت عام ١٧٤٠، فقد انتشر استعمالها بانتشار بشكل واسع ١٧٤٣، واتضح أيضاً التمسك بالنظام الماسوني القديم في (المحفل الأنجلو سكسوني)^(٥٧)، وفي عام ١٧٥١ ظهر محفل كبير منافس للمحفل الإنجليزي كان على الطريقة القديمة، وقد تأسس بشكل قريب في نظامه للمحفل الأكبر الإنجليزي في عام ١٧١٧. واشتهر بتعيين بنائين قدماء سموا بنائى يورك، ومع ذلك انتعش المحفل الكبير في يورك خلال الفترة من ١٧٢٦ وحتى عام ١٧٦١ وحصل (المحفل الأكبر الإنجليزي) على السيطرة بعد توحده بالمحفل الأنجلو سكسوني ١٨١٣ بروحانيته الدينية^(٥٨).

ومن الملاحظ أنه بعد عام ١٧٣٠ تراجع المحفل نحو الأرثوذكسية المسيحية التوراتية^(٥٩)، مما أدى إلى توحيد كل المحافل الناطقة بالإنجليزية سواء في أمريكا أو أوروبا. ومع تطور الفكرة في العصر الحديث لم يتنازل الماسون في محافلهم عن قصر القبول في المحافل على الشرفاء وأصحاب الوجاهة على النسق القديم في أوروبا حين كان من يسيطر على المحافل (النبلاء - الفرسان - رجال البلاط - الملوك) فقط^(٦٠).

وفي فرنسا قامت المحافل الماسونية على روح ثورية خاصة زمن الثورة الفرنسية ١٧٨٩، وكانت الروح الثورية في ألمانيا عام ١٧٧٦ يتزعمها الماسون، لكن في فرنسا كافح الماسون من أجل الحقوق الطبيعية ضد الاستبداد الديني والسياسي مع كافة طوائف الشعب الفرنسي آنذاك، وبذلك اختلفت طبيعة الماسونية في فرنسا عن الماسونية في العالم الناطق بغير الفرنسية^(٦١).

الهيئة التنظيمية للمحافل الماسونية:

تتفق الهيئة التنظيمية للمحافل الماسونية في الأساس الذي اتخذته الماسونية منذ بداية التنظيم، إلا أنه من الطبيعي أن تختلف عن الأساس في بعض الأحيان، ولو بصورة طفيفة مع التطورات سابقة الذكر التي لحقت بالماسونية كحركة.

وقد فصلت لنا الموسوعة العبرية التنظيم الإداري للمحافل بصورة واضحة تماما. فتتكون الإدارة العليا للمحافل الدولية من عدة شروق كبيرة مستقلة بذاتها، وليست خاضعة من الجهة التنظيمية لأية سلطة إدارية عليا تهيمن عليها ولا يمنع استقلالها التعاون فيما بينها لو لزم الأمر، وترتبط بالعديد من البروتوكولات فيما بينها لتنسيق العمل، وبجانب تلك الشروق الدولية الكبرى توجد في كل دولة محافل كبرى ذات تبعية مباشرة لشرق من الشروق الدولية العامة، وتتكون هيئتها التنظيمية من نواب المحافل الكبيرة التابعة لها.

وهي من حيث البناء والتركيب من وجهة النظر اليهودية تقوم على نمط ديمقراطي صارم. أما اختيار الرئيس ونائبه وموظفي المحفل الرئيسيين مثل رئيس

التشريقات المسئول عن المراسم وبعض المناصب الأخرى، فكل ذلك يتم بالانتخابات الحرة بين الأعضاء، وإن كانت الضرورة ملحة للانتخابات السرية فيجب أن يكون التصديق على ذلك الإجراء من قبل المحفل الأكبر التابع له المحفل الفرعى.

أما (تكريس المحافل) فيتم بتقديم الطلبات من الأشخاص الراغبين فى إنشاء محفل جديد إلى المحفل الأكبر الراغبين العمل تحت رايته، وبعد الاقتراع والتشاور تعطى التزكية برخصة تكريس باسم المحفل الجديد وهيئته التنظيمية المقترحة. فضلا عن أيام الاجتماعات والطقوس واللغة التى سوف تدار بها جلسات المحفل، ويتم التصديق على القوانين الداخلية حتى لا تتعارض مع القوانين الصادرة من المحفل الأكبر.

ويرى «شاهين مكاريوس» أنه لا يجوز أن ينشأ محفل للماسونية بغير طلب سبعة أو أكثر، ولا يعترف به وبوجوده إلا إذا صدر له تصريح وأعطى اسم وإذن بمباشرة الأعمال من الشرق الأعظم، ويتم حفل التكريس بعد صدور الأمر بذلك (٦٢).

واختيار العضو الجديد له مقاييسه الصارمة، وذكرت الموسوعة العبرية أنه يجب أن يكون العضو الجديد قد بلغ سن البلوغ أو تعدها، وأن يكون حرا غير مرتبط ارتباطا روحانيا بدين أو بمبدأ اقتصادى معين أو مذهب سياسى يؤمن به، وأن يكون ذو سمعة طيبة ومثقف وصاحب عقلية متميزة، ومستعدا لتهيئة نفسه حتى يحقق أهداف الماسونية الإنسانية بصفة عامة وفى نطاق محفله بصفة خاصة. وقبل التكريس تقوم مجموعة تحرى لجمع المعلومات عن العضو المختار بدقة شديدة وبصورة سرية، ولو رفض ثلاثة أعضاء طلب انضمام العضو الجديد يرفض العضو نهائيا ولا يمكن ترشيحه مرة أخرى، وبعض المحافل لا تقبل العضو إذا اعترض عليه عضو واحد فقط (٦٣).

أما جيمس أندرسون فقد رأى فى دستوره أن اختيار العضو الجديد يجب أن يكون على أساسات قوية، فالعضو يجب أن يكون رجلا جيدا حقيقيا حرا وبالغا من العمر ما يجعله من الرصانة يتحمل المسئولية وحسن المولد ومحترم، يهتم بتناسق

شكله وينحدر من والدين صادقين. ورأى أن الترقية بين البنائين الأحرار تكون على أساس الاستحقاق وحسب عمل كل واحد، فالسيد لا يأخذ لقب الصانع بدون مؤهلات لذلك، فهو لا يمثل بدون تلك المؤهلات، وربما يكون أى شخص عادى من المرشحين قادر على تعلم فنون الصنعة أكثر من السيد. وهنا يمكنه صعود درجات الترقية فيصبح مراقبا أو سيد محفله أو حتى مراقب أعظم. كما يرى أيضا أنه يجب أن يختار الأستاذ الأعظم للمحفل نائبه لبراعته فى أداء المهام الموكلة إليه، كما يجب على الأسياد والحكام الخضوع لأحكام قوانين المحفل التى وضعها قبل ذلك الأقدمين من البنائين بكل الحب والتوفير لها، والعمل على تنفيذها بكل نشاط فى إدارة العمل بالمحافل^(٦٤).

شروق عظمى دولية

لا تخضع تلك الشروق لسلطة
إدارية أعلى

تتكون الهيئة التنظيمية لتلك
الشروق من رؤساء المحافل
الكبرى فى كل دولة

محافل كبرى فى كل دولة

تخضع لدساتير الشروق الدولية
(كل حسب تبعيته)

عدة شروق إقليمية
يشكل رؤسائهم فى مجموعهم
الهيئة التنظيمية للمحفل الأكبر
(كل حسب تبعيته)

يعمل المحفل على دستور
المشرق الإقليمى التابع له

كل شرق ماسونى يتكون من
مجموعة محافل صغيرة تابعة له،
وتكون فى مجموعها الهيئة
التنظيمية للمشرق الماسونى الإقليمى

تخطيط من عمل
المؤلف

طبقات الماسونية:

كما علمنا يسمى كل تنظيم ماسوني محفلاً أو منتدى أو مجمع، ويضم المحفل الأكبر مجموعة من المحافل وتتبع المحافل المقامة في مجموعة من الدول محفلاً عاماً يسمى شرقاً، والماسونية تتكون من تنظيمات أو طبقات ثلاثة متدرجة:

الأولى: تعرف بالماسونية الرمزية العامة. وقد لُقبت بالرمزية لأنها تتضمن كثيراً من الرموز التي تتصل بإحدى الحوادث الدينية التي وردت في الكتب السماوية القديمة وخاصة التوراة. وهذه الطبقة متاحة لجميع الأجناس والأديان ولهذا حمل اسمها صفة العمومية. وتتكون هيئة الماسونية الرمزية العامة من ثلاث مراتب: مرتبة المبتدئين أو الأخوة ثم الأساتذة الأعظم الذين يرأسون محافلها. وهي الطبقة التي علمنا أن مراتبها الماسونية تتكون من ٣٣ درجة تتدرج صعوداً حتى مرتبة الأستاذ الأعظم.

الثانية: تعرف بالماسونية الملوكية أو العقد الملكي، ويسمى العضو فيها رفيقاً كما يعرف رئيس المحفل بالرفيق الأعظم - وأغلب أعضاؤها من اليهود، ولذلك يطلق أحياناً عليها اسم (الماسونية الملوكية اليهودية). وقد سُمح للأساتذة العظام رؤساء المحافل الماسونية الرمزية العامة بالاندماج فيها على ألا يتجاوزوا فيها مرتبة الرفيق، وهي أدنى مراتبها.

الثالثة: تعرف بالماسونية الكونية، وتتكون من رؤساء محافل العقد الملوكي وهي محفل واحد جميع أعضائه من اليهود ورجال السياسة العظام والاقتصاديين الكبار جداً. ولا يعرف مقره ولا رئيسه الملقب بالحكيم الأعظم، والمشهور عنها أنها تحت إدارة المحفل الأمريكي المؤلف من اليهود الصهيونيين الرومانيين. والمحفل الماسوني الكوني هو المدير الفعلي للماسونية طبقة بعد طبقة.

ولكل درجة من تلك الدرجات الماسونية رموز خاصة وشارة خاصة وتحية معينة وأسرار محددة تتسع دائرتها كلما ارتقى العضو إلى درجة أعلى، كما أنها

تختلف باختلاف طبقات المحافظ نفسها. ولا يجوز لدرجة أن تطلع على أسرار وتعاليم
الدرجة التي تعلوها^(٦٥).

هوامش الفصل الأول

(١) الموسوعة العبرية، الماسونية، تل أبيب .

(٢) في علم اللغة تأتي كلمة الماسونية من الاشتقاقات التالية:

Masonry; ma.son.ry; Freemasonry; Free stone:

a. The trade of a mason .

b. Work done by a mason .

c. Stonework or brickwork ...

راجع: منير البعلبكي (إعداد)، موسوعة المورد (بيروت: مجلد ٦، ط١، ١٩٨٠)، ٢٠٨؛ أبو إسلام أحمد عبد الله، الروتاري في قفص الاتهام (القاهرة: دار الاعتصام، ١٩٨٧)، ٢٣؛ صابر طعيمة، الماسونية ذلك العالم المجهول (بيروت: دار الجيل، د.ت)، ١٥؛ محمد زكي الدين القاسم، الإسلام والمؤامرات اليهودية، ط١ (الكويت: مكتبة المنار، ١٩٩٠)، ٤٢،

The Freemason's Chronicle (Chr.) Vol. I (London: 1875), 283; Boss, G., Der Freimaurerei (Bern: 1896), 104.

(٣) ذكر جولد في كتابه أن بيجمان وثبيت من أكثر مؤرخي الماسونية علما بتاريخها لاتصالهم الوثيق بالماسون، كما يرى أنهم أنفسهم من الماسون:

Gould, R. F., Symbolism of Freemasonry (London: 1869), 303.

(٤) الموسوعة العبرية: (875)

(5) Mackey, A., Encyclopedia of Freemasonry (London: 1908), 15.

(6) The German Handbuch (2nd ed. , Vol. I, 1900), 320 .

(٧) مجلة المشرق، العدد ٧ (بيروت: السنة ١٩، ١٩٢١)، ٤٧٧ .

(٨) نفسه، العدد ٩ (بيروت: السنة ٣١، ١٩٣٣)، ٧٩١ .

(٩) أحمد عبد الله البظي، اليهودية كهف الخفايا والأسرار، ط١ (القاهرة: الزهراء للإعلام العربي،

٢٠٠٣)، ٨٦ .

(10) Encyclopaedia Judaica, Freemasonry, Vol.7, 2nd Ed. (Jerusalem: 1973), 122.

أيضا: وائل إبراهيم الدسوقي، الماسونية في مصر، رسالة ماجستير غير منشورة، ملحق ٢٠ (القاهرة: كلية آداب، جامعة عين شمس، ٢٠٠٥)، ٣٣٧.

(11) Mackey, Encyclopedia (1908: 296).

(١٢) نجدة فتحى صفوت، الماسونية فى الوطن العربى (لندن: أوراق عربية، رقم ٤، مركز الدراسات العربية، ١٩٨٠)، ١٥، ١٦.

(١٣) جمعية القمر: أحد تلك الجمعيات التى ظهرت مع الثورة الصناعية فى أوربا فى منتصف القرن السابع عشر، وكانت تضم الكثير من رجال الأعمال والصناعة الأوربيين؛ جاكوب برونوفسكى، التطور الحضارى للإنسان، ترجمة: أحمد مستجير (القاهرة: ١٩٩٧)، ١٦٨.

(١٤) إن ذلك يناقض رأى تشارلز ديكنز فى روايته الشهيرة أوقات عصيبة Hard Times التى حاول فيها إظهار رجل الأعمال الإنجليزى فى عصر الثورة الصناعية، كشخص لا يهتم سوى إثبات الحقيقة دون غيرها من ألوان الخيال، لكن ديكنز قد يكون متأثرا بنزعات حاولت إثبات جفاف المجتمع الإنجليزى، أو بعض الآراء النابعة من ظروف التربية. فالمخترع شخص يجمع بين الحقيقة والخيال، يبدأ الاختراع بفكرة من خياله ليتحول إلى حقيقة، فكيف يكون المخترع جاف تنزع شخصيته إلى الحقيقة. فإحساسهم القوى تجاه المجتمع هو ما جذبهم إلى الجمعيات المختلفة، وهو ما شجع الماسونية على جذبهم للاشتراك فى تمويل المحافظ (المؤلف) للاستزادة: برونوفسكى، التطور الحضارى (١٩٩٧: ١٦٧)، ١٦٨.

(١٥) ول ديورانت، قصة الحضارة، روسو والثورة، ترجمة: فؤاد أندراوس، المجلد ٢٢ (القاهرة: ٢٠٠١)، ٤٥٥.

(١٦) الربوبية: هى أفراد الله تعالى بالخلق والرزق والإحياء والإماتة، وسائر أنواع التصريف والتدبير لملكوت السموات والأرض، وإفراده تعالى بالحكم والتشريع، وعدم الخضوع للحكام فيما حرمه الله، وأصحاب ذلك الاتجاه لا يعتبرون الربوبية عقيدة، وإنما مجرد أسلوب حياة، كما لا يمكن اعتبارها حركة فكرية بالمعنى الوظيفى للحركات، فهى اتجاه فكرى يرتبط بفكرة (التوحيد) فى الإسلام. ولا يمكن فصلها عن الإيمان بالآلهية كى يصبح معتقدها مسلما. فقد كان العرب فى الجاهلية يؤمنون بالربوبية دون اعتقاد فى الآلهية، مما جعل رسول الله ﷺ ينابر فى حربهم، حتى يدعوهم إلى اتباع الطريق السليم، وهى الاعتراف بوجود الله.

(١٧) ول ديورانت، قصة الحضارة (٢٠٠١: ٤٥٥، ٤٥٦).

(١٨) نجدة فتحي صفوت، الماسونية (١٩٨٠: ١٥، ١٦).

(١٩) الموسوعة العبرية: ٨٧٧ .

(٢٠) ذكر في الكتاب المقدس أنه رجل تزوج من امرأة جميلة مكان زوجها بعد وفاته، وهو الجد الرابع للنبي الله سليمان أنظر: (سفر راعوت، الإصحاح الثاني، آية ١؛ الملوك الأول، الإصحاح السابع- آية ٢١)؛ أبو إسلام أحمد عبد الله، الماسونية في المنطقة ٢٤٥ (القاهرة: الزهراء للإعلام العربي، ١٩٨٥)، ١٤٥ .

(٢١) يعقوب (في العهد القديم هو إسرائيل أبو الأسباط الإثني عشر، وهم: رأوبين (سفر التكوين، الإصحاح ٢٩، آية ٣٢) ، شمعون (سفر التكوين، الإصحاح ٢٩، آية ٣٣ ج)، لاوي (سفر التكوين، الإصحاح ٢٩، آية ٣٤)، يهوذا (سفر التكوين، الإصحاح ٢٩، آية ٣٥) . وهم من الأم لينة الزوجة الأولى لنبي الله يعقوب (. وعندما أحست راحيل الزوجة الثانية ليعقوب بأنها عاقر زوجت يعقوب (من خادمتها بلهة (سفر التكوين، الإصحاح ٣٠، آية ٦ ج) التي أنجبت ليعقوب ولديه: دانا (سفر التكوين، الإصحاح ٣٠، آية ٦ ج)، نفتالي (سفر التكوين، الإصحاح ٣٠، آية ٨ ج) . وعندما وجدت لينة أنها تريد أن تلجب مرة أخرى من يعقوب (أعطته خادمتها زالف ليتزوجها، وهي التي أنجبت له: جادا (سفر التكوين، الإصحاح ٣٠، آية ١١ ج)، زبولون (سفر التكوين، الإصحاح ٣٠، آية ٢٠ د)، وحملت لينة بخامس أولادها : يساكر (سفر التكوين، الإصحاح ٣٠، آية ١٨ ج)، وسادسهم: أشير (سفر التكوين، الإصحاح ٣٠، آية ١٣ ج)، وأنجبت له بنت سمتها دينة (سفر التكوين، الإصحاح ٣٠، آية ٢١ ب) . ولكن قدر الله وأنجبت له راحيل ولدين ، هما : يوسف (سفر التكوين، الإصحاح ٣٥، آية ٢٤ أ) ، بنيامين (سفر التكوين، الإصحاح ٣٥، آية ١٨) ؛ وائل إبراهيم الدسوقي، الماسونية (شكل ٨، ٢٠٠٥: ٣٤٥) .

(٢٢) في العهد القديم: نبي الله يعقوب (تغير اسمه إلى إسرائيل، وأتى فيه لا يكون اسمك يعقوب فيما بعد بل إسرائيل (سفر التكوين، الإصحاح ٣٢، آيات ٢٣، ٣٣) .

(٢٣) (متى، الإصحاح ٢، آية ٢) .

(٢٤) (متى، الإصحاح ١، آية ١٣)؛ (لوقا، الإصحاح ٣، آية ٣٠) .

(25) Knight, S., The Brotherhood, The Secret World of Freemasons (London: 1984), 236- 240.

أيضا: مارتن برنال، أثينا السوداء، ج ١ (القاهرة: المشروع القومي للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة، ١٩٩٧)، ٣١٠، ٣١١.

(٢٦) وائل إبراهيم الدسوقي، الماسونية (شكل ٩، ٢٠٠٥: ٣٤٥)؛ أسعد السحمراني، الماسونية نشأتها وأهدافها، ط٢ (بيروت: دار النفائس، ١٩٩٢)، ٥٩، ٦٠.

(٢٧) أبو إسلام، المنطقة ٢٤٥ (١٩٩٢: ١٤٦).

(٢٨) نجمة داود: يقال عنها بالعبرية (ماجين دافيد) ولها دلالات خاصة لدى اليهود، ويقال أنها أصل الرمز الماسوني المكون من الزاوية والفرجار، ويأتي مدلول كلمة ماجين بمعان شتى، لكنها تعنى معنى واحد فى مدلولها الدقيق وهو القوة - الملجأ - الحماية. كما تعد اسما مذكرا مشتقا من الفعل الذى يرد من الأصول الثلاثة (م. ج. ن-) فى وزنين مزيدين اثنين: أولهما : الفعل مجين بكسر الميم وتشديد الجيم بمعنى وقى بقرس - حمى - دافع عن، وثانيهما : الفعل هتمجين بمعنى دافع عن نفسه - دافع عن نفسه بقرس، وماجين دافيد اصطلاح عبرى معناه الحرفى درع داود، واستخدم الاصطلاح فى البداية للإشارة إلى الخالق ثم بعد ذلك للإشارة إلى النجمة السداسية الشكل. وأصل هذا الرمز غامض، إذ أنه لا توجد أية إشارة لهذا الشكل الهندسى سواء فى العهد القديم أو فى التلمود. والملاحظ أن كلمة ماجين قد وردت فى فقرات كثيرة من العهد القديم - للدلالة على الخالق فى عظمته - غير مقترنة بالاسم دافيد ومن المحتمل أن كلمة ماجين التى تحمل من المعانى مدلول القوة قد اقترنت باسم داود إما إشارة للنجمة السداسية الشكل التى أخذت فى الشيوع والانتشار كرمز يهودى اعتبارا من القرن التاسع عشر الميلادى، وإما رمزا للقوة التى اتسمت بها مملكة داود. وعرف هذا الرمز باسم خاتم سليمان (حوتام شلومو) ، حيث نسبوه إلى سليمان الملك الذى أورثه للحكام الذين يريدون الدفاع عن الناس من الأرواح الشريرة. ونجمة داود كانت قديما ذات مغزى سحرى، وقد كانت النجوم تشير لدى شعوب الشرق القديم فى فلسطين والهند ومصر وبابل إلى رمز سحرى، يوضعها على واجهات المباني والمعابد، وللوقاية من الحسد والعين الشريرة وكأداة للزينة. ووجدت مرسومة على بعض المعابد فى القرن الثالث الميلادى، وفى تاريخ أقدم بشكل أكبر شيوعا فى بيئات غير يهودية (فى المعابد الرومانية ثم فى الكنائس المسيحية) وقد ظهر هذا الشكل كرمز فى بداية الأمر فى الكتابات الصوفية والسحرية؛ أنظر: رشاد عبد الله الشامى، الرموز الدينية فى اليهودية (القاهرة: سلسلة الدراسات الدينية، عدد ١١، مركز الدراسات الشرقية، ٢٠٠٠)، ٤٩-٥٣؛ وائل إبراهيم الدسوقي، الماسونية (شكل ٤، ٢٠٠٥: ٣٤٤).

(٢٩) رشاد الشامي ، الرمز (٢٠٠٠:٥١) .

(٣٠) أبو إسلام، المنطقة ٢٤٥ (١٩٩٢:١٤٦) .

(٣١) لقد حاول أحد المهتمين بتاريخ الماسونية في حاشية كتابه أن يدلل على ماسونية الرئيس الراحل محمد أنور السادات، بأنه استبدل في عهده رسم (الصقر) بـصقر صلاح الدين كشعار للجمهورية ، وكُونت في عهده شركة كندية للبناء والتعمير تسمى صقر قريش وغيرها من المشروعات الاستثمارية التي أتت بها سياسة الانفتاح التي حرصت جميعها على الصقر شعاراً لها ، ويقول أن صاحب اقتراح الصقر هو الرئيس الليبي معمر القذافي الذي يذكر انضمامه إلى الماسونية . ونرى أن هذا الرأي يفتقر إلى الدليل المقنع، وربما حرصت الشركات على الصقر شعاراً لها كي تتقرب من النظام الحاكم خاصة والمنطقة مليئة بالمشاكل السياسية والاقتصادية التي لا يأمن شرها إلا من تقرب من النظام الحاكم، فكانت أبسط الأمور أن يكون شعار الدولة هو وسيلة التقرب. كما يوجد الصقر جلياً على الدولار الأمريكي من فئة واحد دولار رمزا للماسونية الأمريكية ؛ أبو إسلام، الماسونية في المنطقة ٢٤٥ (١٩٨٥:١٤٦) .

(٣٢) إذا تتبعنا سيرة رسول الله محمد (لن نجد ما يشير إلى اتخاذ الهلال شعاراً، أو أي من صحابته رضوان الله عليهم كما يزعم الماسون، ولا يوجد للهلال أصل واضح في التاريخ الإسلامي ؛ أبو إسلام، المنطقة ٢٤٥ (١٩٩٢:١٤٦) .

(٣٣) أبو إسلام، المنطقة ٢٤٥ (١٩٩٢:١٤٦) .

(٣٤) أركون دارول ، تاريخ الجماعات السرية ، ترجمة: عبد الهادي عبد الرحمن، ط١ (بيروت: ثانيت للنشر، ١٩٩٣)، ١٦، ٢٤، ٥٠ .

(٣٥) لقد كان التعليم الرمزي وسط العبادات القديمة يأخذ مكانه، ومن ثم يمكن استنتاج أن العبادات القديمة كانت تذكارات أو أثراً لأزمان كانت المعرفة العلمية مقتصرة على قلة، وكانت الحقائق العلمية مثل نظريات فيثاغورث تقدم للنخبة فقط، وهكذا فالعبادات القديمة شكلت حياة لخلفية أديان ما قبل تاريخية، أو جماعات سحرية أو عبادات قبلية، ومع تغير الزمن فساعدت دراسات التكيف الشرطي Conditioning في العقود الماضية على كشف جوهر تلك الطقوس والعبادات القديمة، ووجد في هذه العملية أن هؤلاء الذين حاولوا الحفاظ على الإبقاء على المشهور من أسرارها وطقوسها حياً، والذين حاولوا إعادة الحياة إليها يعتمدون على التفسير الرمزي وحده؛ عبد الله عنان، تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة في المشرق (القاهرة: دار أم الببين، د.ت)، ١٠٠؛ وائل إبراهيم الدسوقي، الماسونية (شكل ٥، ٢٠٠٥: ٣٤٤) .

(36) Handbuch, 3rd ed.(Vol. I, 1900), 466.

(٣٧) الدستور الماسوني: كتاب مبكر عن الماسونية كتبه الاسكتلندي جيمس أندرسون [1680- 1739] المولود في إبيردين، وعين رئيسا لكنيسة (برسبتيريان) في شارع سوالو بلندن ١٧١٠، وكان رئيسا أعظم لمحفل إنجلترا الأكبر، وكلف بعمل ميثاق للماسونية يوضح فيه شروط الأخوة في الماسونية، ونشرته مكتبة (مركز لينليثجو) البريطانية. ونشرت موائيق أندرسون في الفترة من ١٧٢٣ حتى ١٨٩٧ أكثر من أربع وعشرين طبعة، وحتوت تنظيم تاريخ الماسونية والتعليمات التي يجب أن يلتزم بها الماسوني، كذلك الرموز الماسونية القديمة والحديثة وآداب دخول المحافل وغيرها من الأمور التي ارتبطت بالماسونية داخل المحافل وخارجها. وترجمه إلى العربية الدكتور سليم بك موصلي رئيس محفل ومقام اللطائف وأحد مؤسسي المحفل في مصر في عام ١٨٩٣، وطبع على نفقة محفل (كوكب الشرق) المصري، فكافأته المحافل الماسونية بوسامات الشرف والإكرام، ونال من توفيق باشا خديو مصر عدة نياشين ورتب كان آخرها رتبة القائمقام العسكري في بداية ولاية الخديو عباس حلمي كضابط طبيب؛ أنظر طبعة ١٧٦٩ وهي أكثر الطباعات التي ظهرت من الدستور انتشارا:

Anderson, J., The Constitutions of The Freemasons, 2nd ed. (London: 1769).

ولمزيد من التفاصيل: شاهين مكاريوس، أربع كتب في الماسونية، فضائل الماسونية، ط ١ (القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٩٩٤)، ٨٧، ٨٨؛ مكاريوس، الحقائق الأصلية في تاريخ الماسونية (في: أربع كتب، ١٩٩٤: ٢٣٩)؛ الموسوعة العبرية: ٨٧٥.

(٣٨) الموسوعة العبرية: ٨٧٥.

(39) Handbuch (Vol. I, 1900: 467, 468).

(40) Handbuch (1900: 466).

(41) Chr (Vol. I, London: 1876), 113.

(42) Lexicon of Freemasonry (London: 1884), 42.

(43) Krause, M., Die drei ältesten Kunsturkunden der Frmrei (Vol.I, 1810) 525.

(٤٤) الأغسطسية: هي التي تمتدح قبل كل شيء الأساليب الأخرى، فتلمح عادة إلى الإنسانية - Humanism، ويدعى الماسون أن مبادئهم تتفق وذلك المبدأ. أما القرطية: فهي التي تتهم بالجهل وضيق الأفق

- Mindedness، وتشير إلى المسيحية والأرثوذكسية الكاثوليكية الرومانية على وجه الخصوص دون غيرها، ولكن طابع القوطيين المعماري قد جعلهم يخلقون في أفق الماسونية كشىء فريد؛ أنظر:
- Gould, R.F., History of Freemasonry, Vol. II (London: 1883), 400.
- (45) Gould, History (1883: 406).
- (46) Gruber, M., Massonerie e Rivoluzione (Turin: 1901), 49.
- وهذا المصدر يوضح التطورات التي حدثت للحركة الماسونية في إيطاليا منذ عام ١٨٧٠ وحتى عام ١٩٠٠.
- (٤٧) إنكار ألوهية المسيح: هي واحدة من الأفكار التي ظهرت في القرن الثاني الميلادي من خلال بعض الحركات السرية مثل (الغنوصية) التي اعتبرت أن المسيح أحد تجليات القوى الإلهية وأن ألوهيته مستبعدة، والحركة (الروسيكية) التي استبعدت بشرية المسيح كأحد عناصر القوى الإلهية، وغيرها من الحركات التي دعت إلى أن المسيح لم يكن بشرا حقيقيا لكنه بدا كذلك، وغيرها من الأفكار التي نادى بها حركات أخرى مثل (المارثونية - المونثانية - الرؤيوية)؛ أنظر للاستزادة: تحت عنوان المدافعون وهراطقة القرن الثاني، جون لوريمر، تاريخ الكنيسة، ج ١ (دار الثقافة: ١٩٨٢)، ٩٦، - ١٢٥.
- (48) Chr. (1878: 161).
- (49) Handbuch (3rd ed., Vol. II, 1900: 231).
- (50) Chr. (London: 1890's edition), 243.
- (51) Oliver, E., Signs (New York: 1905) 54, 133.
- (52) Handbuch (1900: 200); and:
- أيضاً: الموسوعة العبرية: ٨٧٧.
- (53) Oliver, Signs (1905: 27).
- (54) Gould, History (1883: 284).
- (55) Gould, R.F. , Concise History of Freemasonry (London: w.d), 309.
- (56) Gould, Concise History (London: 272, 310- 17).
- (57) Ibid, 318.
- (58) Handbuch (Vol. I, 1900: 24); (Vol. II, 1900: 559).
- (59) Chr (London: 1906's ed.), 19.
- (60) Gould, Concise History (London: 274, 357); Handbuch, 2nded.

(Vol.II, 1900: 100); Boss, Der Freimaurerei (Bern: 1896), 174.

(61) Boss , Freimaurerei (1896: 303) .

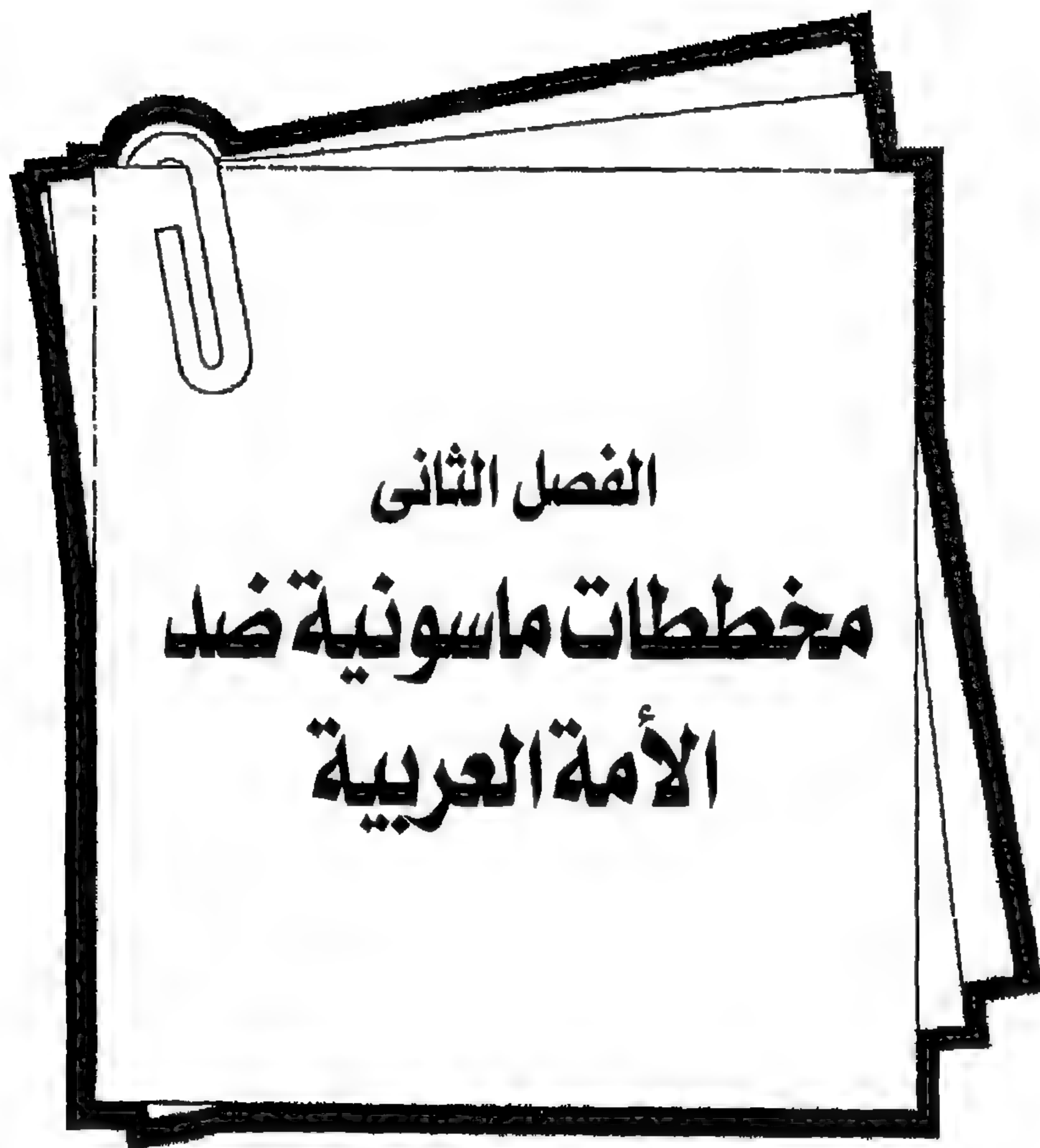
(٦٢) الموسوعة العبرية (٨٧٥)؛ مكاريوس، الآداب (فى: أربع كتب، ١٩٩٤: ٤٩٥، ٤٩٦) .

(٦٣) الموسوعة العبرية (٨٧٦) .

(64) Anderson, Constitutions (1769: 9).

(٦٥) عبد السمیع الہراوی، الصہیونیة بین الدین والسیاسة (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب،

١٩٧٧)، ١٠٣-١٠٥ .



الفصل الثاني

مخططات ماسونية ضد

الأمة العربية

إن المجتمع العربي ذو تاريخ طويل حافل بالأحداث الكثيرة، وبعض هذه الأحداث كان سبباً في نهوضه ورقيه وازدهاره، وبعضها الآخر كان عاملاً من عوامل تأخره وتدهوره، وانهار هذا المجتمع وتفككت أوصاله وتزلزلت دعائمه عندما تهاون العرب وفرطوا في التمسك بقوميتهم وسمحوا للأفكار الهدامة بالسيطرة على عقول رجال السياسة والفكر. كل ذلك كان مخططاً له بعناية، وحين جاءت الفرصة المناسبة كانت النهاية. أو على وجه أدق البداية.

ولم تبتعد الماسونية في البلاد العربية عن السياسة وممارستها، ومناقشتها في جلسات المحافل والمؤتمرات الماسونية، وفي نفس الوقت يدعون أنهم لا يقحمون أنفسهم في الأمور السياسية فهم جمعية فكرية بنائية وليست جمعية سياسية. والعديد من الشواهد تثبت أن الماسونية لم تكن تبتعد عن الأمور السياسية، فقد ورد في مذكرات الدكتور فؤاد غصن وهو عربي شغل منصب (الرئيس الأعلى لاتحاد الماسونية العالمي) في عام ١٩٥٤ أن: نشاطات الماسونيين في سوريا ولبنان تعددت وشملت جميع شئون البلاد، فقد عقدت المحافل الماسونية مؤتمراً تمهيدياً في سوريا عام ١٩٢٤ اتخذت فيه مقررات لدراسة:

- ١- القانون الأساسي للبلاد.
- ٢- الحرية الشخصية في المسكن والقول والنشر.
- ٣- الإدارة العامة وتضارب المسؤوليات.
- ٤- التشريع الفردي وأنظمة القضاء ووضع القوانين.
- ٥- حفظ حدود الدولة.
- ٦- المسائل الاقتصادية والمالية.

٧- مسائل التربية والتعليم^(١).

وكما نرى فظاهر تلك المقررات هو أهداف خدمية اجتماعية وسياسية، وتخالف الدساتير والمواثيق الماسونية التي تبتعد دائما عن مناقشة مثل تلك الأمور السياسية من قريب أو بعيد، فهل الماسونية في البلاد العربية كانت تختلف عن الماسونية في البلاد الأخرى.

ومن الأمور اللافتة للنظر في تاريخ الماسونية في البلاد العربية أنه في أعقاب الحرب العالمية الأولى نشط الماسون في تأسيس محافل ماسونية في المشرق العربي والعمل على توحيدها، وفي الوقت نفسه كان يجري محاولة تطبيق اتفاقية سايكس بيكو لتقسيم بلاد الشام^(٢). ويمكن أن نحكم بذلك على عمق العمل السياسي في الماسونية على عكس ما يزعمونه بابتعادهم عن الممارسات السياسية والدينية.

الزحف الماسوني على البلاد العربية:

لقد قاست الأمة العربية في العهود الماضية مرارة الاستعمار واستغلاله لخيرات البلاد، وتدخله في شئون الحكم ووقوفه حجرة عثرة في سبيل كل تقدم. تلك البيئة كانت خصبة لنمو تيارات فكرية غريبة عن البلاد العربية من الخليج العربي إلى المحيط الأطلنطي.

ونعلم أن أخطر طلائع الزحف الاستعماري ضد الأمة العربية تمثل في الزحف الفكري الذي ما زالت الأمة العربية تعاني منه حتى يومنا هذا. مما كان له أكبر الأثر في امتصاص رحيق الأمة العربية، باستغلال عقولها وإهدار مواردها وانتشار الأفكار الهدامة بين شبابها.

ونجح الاستعمار الغربي في تحقيق أهدافه إلى حد بعيد، فمن قمة الحضارة وعزة المدنية، وعظمة الرسالة الروحية، انحدرت البلاد العربية إلى مستوى خطير من الجهالة والتأخر والانحلال تعاني منه حتى وقتنا الحاضر. كل ذلك بفعل الاستعمار

والأفكار الغربية التي عملت جاهدة على تدمير وحدة العرب وتكتلهم.

وكانت الأخطار تسرع الخطى من أوربا التي لم تنس غنى الشرق ومدى الاستفادة من موارده منذ الحروب الصليبية، وتطلعت أيضا إلى الوصول إلى الشرق الأقصى، والتمتع بخيراته دون الاصطدام بالقوى العربية، وتمثلت أولى تلك الأخطار في اهتدائهم إلى اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح للوصول إلى الهند والشرق الأقصى دون الدخول في أراضي الشرق العربي.

وعندما وصل فاسكو دي جاما إلى المحيط الهندي واتصلوا بالهند وحاكم مدينة قاليقوط المسلم هناك. كانت الملاحة في تلك الجهات تابعة للنفوذ العربي، وهكذا صار البرتغاليون يمثلون خطرا على كل مسلم وعربي. واستنجد مسلمو الهند بإخوانهم في الشرق العربي لتدارك هذه الطلائع الأوربية الخطيرة، والقضاء عليها. وبادرت مصر بإرسال نجدة بحرية لمساعدة المسلمين في الهند ضد الأساطيل البرتغالية. ولكن البرتغاليون تفوقوا على المسلمين في موقعة ديو البحرية سنة ١٥٠٩.

وكان ذلك إنذارا بالخطر.. وكان لزاما على العرب والمسلمين تعبئة أنفسهم ضد هذا الخطر، فالبرتغاليين لم يكونوا سوى طليعة غزو استعماري أوربي هائل. وقد تزامن هذا الغزو مع خطر مفاجئ داهم الشرق العربي، وهو قوة دولة الأتراك العثمانيين، التي جاء ميلادها وتوسعها في قارة أوربا، في نفس الوقت الذي شهد طلائع الخطر البرتغالي بالشرق الأقصى.

كانت بلاد الشرق العربي تتابع زحف العثمانيين على أوربا بإصرار، وبخاصة عندما استولوا على القسطنطينية، وجعلوها عاصمة لدولتهم. وأعلنت البلاد العربية عن فرحها بهذا النصر، حيث بعثت بوفودها إلى السلاطين العثمانيين، تعلن عن ابتهاجها. فقد رأى العرب في العثمانيين قوة جديدة قادرة على أن تعيد قصة الجهاد الإسلامي الأول، ونشر الإسلام في أوربا، فقد حقق العثمانيون باستيلائهم على القسطنطينية حلم الدولة العربية الكبرى.

وهكذا صار العثمانيون محط رجاء العرب في سبيل حمايتهم من الخطر الأوربي على مياه العرب.

لكن العثمانيون لم يكونوا عند حسن ظن العرب، فسرعان ما ضاعت أحلام العرب، ولم ينتشر الإسلام في أوربا بالشكل المناسب، نظراً لتحول أنظار العثمانيون للسيطرة على العالم العربي، وقد برروا ذلك بأن خطر الشاه إسماعيل الصفوي في إيران أهم من الخطر الأوربي، وحمل العثمانيون لواء حماية السنة بالهجوم على العراق المسلم، وانتزاعه من تبعية الشاه إسماعيل الصفوي الشيعي.

وبدأ العثمانيون في تنفيذ مآربهم الخاصة، وذلك بالعمل على فرض سيطرتهم على بلاد العرب. إذ انتقل السلطان سليم الأول العثماني - بعد انتصاره على شاه إيران - إلى الهجوم على بلاد الشام سنة ١٥١٦ واستولى عليها، ثم دخل مصر في العام التالي ١٥١٧، وصار في نفس السنة المهيمن على بلاد الحجاز ثم بلاد المغرب العربي. وغدت بلاد العرب منذ مطلع القرن السادس عشر الميلادي خاضعة للعثمانيين، وافتتحوا بذلك مرحلة خطيرة من أخطر مراحل التاريخ العربي. مرحلة عندما أفاق فيها العثمانيون للخطر الأوربي، كان الموقف قد أفلت زمامه من أيديهم، وصاروا يواجهون المشكلة التي أطلق عليها الأوربيون أنفسهم اسم المسألة الشرقية.

وعندما لم تهتد الدولة العثمانية إلى حل سليم لمواجهة الأطماع الأوربية، لجأوا إلى سياسة قاتلة نتج عنها ركود فكري شمل كل البلاد العربية^(٣).

وهكذا تم فتح الباب على مصراعيه لكل التيارات الفكرية التي كانت ترتقب الفرصة، وأهمها على الإطلاق الأفكار الماسونية. والتي صنفها الأستاذ الجليل محمد عبد الله عنان من الجمعيات السرية والحركات الهدامة^(٤)، وقد أصاب - إلى حد ما - في قوله هذا كبد الحقيقة، فالماسونية لها العديد من المواقف التي أكدت تصنيفها كحركة هدم وليست بناء كما أسمت نفسها، إلا أنها في بعض الأوقات أظهرت بعض العون في المواقف الصعبة مما يعود عليها أيضا بالمصلحة الشخصية بشكل غير مباشر.

ومع الوقت أصبحت الماسونية تمثل تياراً فكرياً في المجتمع العربي لا يمكن إنكاره أو تجاهله. ومنذ البداية بشرت الماسونية بالأخوة والحرية والمساواة وكأنها خط واحد ينطلق من أصول قديمة ليصل الإنسان إلى الأفضل - من وجهة نظرهم - ولكننا الآن نخطئ إذا اعتبرنا أن الماسونية واحدة في أفكارها ونظمها وخاصة في محيط تطبيقها في المنطقة العربية، ربما كان ذلك في البداية، ولكن الآن الأمر يختلف، فقد أصبحت تعبيراً عن تيارات واتجاهات فكرية متناقضة، وهو النتيجة الطبيعية لتنوع الفكر البشري الذي ينزع دائماً إلى الأفضل من وجهات نظر مختلفة متناقضة.

وعلى الرغم من المواجهات العنيفة التي طبعت بداية التغلغل الثقافي الغربي في العالم العربي، فقد أدى الدخول المبالغ للثقافة الغربية في العالم العربي إلى حدوث تغييرات حاسمة على مستوى الأفكار والعلاقات والبنى الاجتماعية فيه. ونشير هنا إلى أن الاتصالات الأولى بين المجتمعات الإسلامية ودول الغرب الاستعماري، والتي كانت تتم عبر القنوات العسكرية والإدارية والإرساليات الدينية والسلع والبضائع والمحافل الماسونية، كانت تؤكد أن أوروبا تشهد حالة من الحراك الاجتماعي الشامل من أجل الانخراط الجدي في العصر الصناعي.

ويمكن أن نحدد مدى الصدمة التي أصابت الوعي الإسلامي العربي عن طريق قياس درجة الفضول التي أبدتها النخب الإسلامية تجاه الأفكار الجديدة التي جلبتها معها قوى الغرب الاستعماري. وفي الحقيقة فإن اكتشاف العرب للتقدم الأوربي لم ير قدراً كبيراً من الدهشة والتعجب فقط، بل أثار أيضاً بين أوساط المثقفين منهم تساؤلات مشوبة بالقلق والخوف حول موقف العرب من علوم الغرب وتقنياته الحديثة، وحول الموقف الذي يجب أن يتخذ في مواجهة انتشار الثقافة الغربية.

وكانت الماسونية تعلم ذلك وتضعه تحت الدراسة والفحص دائماً، وفي الحقيقة اتخذ صناع الرأي العام الماسونية في البلاد العربية للتعبير عن أفكارهم الدينية

والاجتماعية على السواء بأسلوب معاصر يقدم لهم الحماية اللازمة . وفي نفس الوقت كانت الماسونية في المجتمعات العربية تنمو بشكل متوافق ومنسجم مع روح الثقافة العربية .

لكن هذا لم يمنع البعض منهم من رفض كل ما أتى عن طريق الغرب وخاصة الماسونية لاعتبارها جزءاً لا يتجزأ من ثقافة الآخر الغازي والمعتدى .

إسقاط الخلافة الإسلامية هدف ماسوني؛

كانت الماسونية في العالم العربي هي الإطار الواسع الذي تحركت فيه اليهودية ضد الدولة العثمانية فقد نشروا عن طريق المحافل الماسونية في كل أجزاء البلاد العربية وخاصة الشام ومصر أفكارهم ضدها، وكان قادة هؤلاء اليهود هم الدونمة الذين هاجروا من الأندلس في عام ١٤٩٢ ، واستوطنوا سالونيك وأعلنوا إسلامهم . ومن خلال مراكزهم التي أقاموها في الدولة العثمانية، استطاعوا السيطرة على حركة الاتحاد والترقي، وأفسحوا لها في محافلهم التي كانت بعيدة عن رقابة الدولة، كذلك استطاعوا احتواءهم بحيث جعلوا دعوتهم القومية موجهة ضد الإسلام والوحدة الإسلامية ودولة الخلافة، فكانوا هم أعوان الصهيونية في هدم الدولة العثمانية، وتمزيق الرابطة بين العرب والترك، وإيقاد نار الخصومة بينهما، وقد استطاعت اليهودية التلمودية عن طريق الماسونية إسقاط السلطان عبد الحميد، وتمزيق الدولة العثمانية وإلغاء الخلافة .

وقد أشار صاحب جريدة المنار الماسونية إلى أن بعض المسلمين خدعوا بالماسونية أيام الاستبداد، وظنوها الوسيلة التي ينجون بها من ظلم المستبدين وجورهم، ولكن كثيراً منهم بعد أن اختبروا الماسونية وعرفوا دخيلتها انفضوا عنها .

وهكذا فعل الشيخ محمد عبده كما أخبر عن نفسه وجدها الشيخ جمال الدين الأفغاني، وعرفنا نخبة القوم من مسلمين ودروز كانوا بعد دخولهم الماسونية يحذرون أصحابهم منها، ويشيرون على كل من طلب رأيهم أن يبعدوا عنها طاقتهم معلنين انخداعهم بها .

ومولت الماسونية الاتحاديين في مؤامرة قلب حكومة السلطان عبد الحميد وسعت أولاً في جمع كلمتهم لما كان الضباط (في حاجة إلى المال لتنفيذ ما قصدوه من قلب الهيئة الحاكمة فكان الماسون وكثيراً منهم من اليهود المثرين يعدونهم بإمدادهم بالأموال). فلما تم الانقلاب الدستوري رفعت الماسونية رأسها، وعزت الفوز إلى مساعيها، وصورت جمعية الاتحاد والترقي كجمعية ماسونية محضة، وكان أعضاؤها إذا ساروا في عواصم أوروبا يبحثون عن المحافل الماسونية، ويجتمعون مع رؤسائها.

وكانت خطط الماسونية على مراحل، وتمت أولى تلك المراحل بالسيطرة على الحكومة وإسقاط السلطان عبد الحميد الذي رفض قبول اليهود في فلسطين، وأعلن عن عدم استعداداته لأن يتخلى عن شبر واحد من هذه البلاد، فهي ليست ملكاً له بل هي ملك للمسلمين، وثاني تلك المراحل، هي إيقاع الصراع والخصومة بين عنصرى الدولة العثمانية تمهيداً لتدميرها، بإدخالها في الحرب العالمية دون حاجتها إلى ذلك، حتى يمكن تمزيقها والاتفاق مع العرب لموالاة البريطانيين في سبيل إقامة دولة لهم، ثم الوقعة بين العرب والترك، وإدخالهما في حرب وقتال في محاولة للفصل بينهما.

أما ثالث تلك المراحل، فهي إثارة روح العرق والعنصر في الأتراك تحت اسم الطورانية، ومحاولتهم تتريك العرب وتغيير ثقافتهم بما يدفع العرب إلى الدعوة إلى القومية العربية واحتواء الدعوتين بمفاهيم غريبة^(٥).

وفي حين كان العالم كله ينظر إلى مصر وأحداثها الساخنة المطالبة بالاستقلال، قامت الثورة الدستورية في تركيا عام ١٩٠٨ على يد جمعية الاتحاد والترقي^(٦).

وضمت جمعية الاتحاد والترقي العناصر الماسونية اليهودية والتركية، واجتمعوا بمساعدة الصهيونية العالمية والمحافل الماسونية لتمزيق دولة الخلافة العثمانية بكل أقطارها، وذلك بواسطة يهود الدونمة.

ونظمت المؤامرة ضد الخلافة في سالونيك التي كانت تضم وحدها خمسين ألف يهودي أغلبهم من الماسون، ورأى يهود المحافظ الماسونية في سالونيك، أن قيام دولة إسرائيل في فلسطين يستوجب تفتيت الدولة العثمانية، وإشاعة الانقسام بين شعوبها.

وبعد أن أعلن تيودور هرتزل برنامج الصهيونية العالمية الهادف إلى إنشاء دولة إسرائيل وذلك في عام ١٨٨٧ قام المدعو قره صو نائب سالونيك اليهودي في مجلس النواب العثماني وعرض على السلطان عبد الحميد مبلغ خمسين مليوناً من الجنيهات الذهبية، وخمسة ملايين أخرى تدفع له شخصياً لقاء السماح لليهود بإقامة دولة لهم في فلسطين، ولكن السلطان رد ذلك النائب رداً عنيفاً وطرده من حضرته.

وكان أول هذه المساعي هو ما قام به صديق هرتزل الحميم البولندي الأصل نيولنسكى وكان من الماسون المتعصبين، حيث عرض على السلطان قرصاً بمبلغ عشرين مليون جنيه لقاء السماح لليهود بالهجرة إلى فلسطين. وبعد الضغوط الشديدة وافق السلطان عبد الحميد على استقبال هرتزل باعتباره صحافياً لا رئيساً للمنظمة الصهيونية العالمية. وتمت مقابلة هرتزل للسلطان في اليوم الثامن من شهر مايو عام ١٩٠١ وقد أنهى السلطان عبد الحميد مقابلته لهرتزل قائلاً:

«إننى أطبق العدالة والمساواة على جميع رعاياي.. أما إقامة دولة يهودية في فلسطين التي فتحناها بدماء أجدادنا العظام فهذا أمر مرفوض شكلاً وموضوعاً، وقد ورد في مذكرات السلطان عبد الحميد أيضاً ما يلي:

«إننا إذا سمحنا بالهجرة لليهود فإنهم خلال مدة قصيرة من الزمن سيسيطرون السيطرة التامة على فلسطين، وسنكون بذلك قد قضينا بأيدينا على ديننا بالموت الأكيد.»

ويجمع المؤرخون على أن موقف السلطان عبد الحميد الصلب من هرتزل وأهدافه كان من الأسباب الرئيسية التي أدت إلى خلع عرشه. ومن مفارقات

التاريخ أن النائب اليهودي قره صو كان أحد النواب الخمسة الذين أوفدهم مجلس النواب العثماني إلى السلطان عبد الحميد لتبليغه بقرار خلعه وذلك في اليوم الرابع والعشرين من شهر إبريل عام ١٩٠٩ .

على أية حال، عملت الماسونية التركية تحت شعار المطالبة بعودة دستور مدحت باشا الذي قدمه إلى السلطان في عام ١٨٧٦ بتسديد الضربة القاضية للخلافة العثمانية عن طريق السيطرة على العسكريين الأتراك، شأنهم في ذلك شأن العسكريين في الإمبراطورية الرومانية، وشأنهم في العصرين العباسيين الثاني والثالث، حين كان العسكريين مخالفين للشعبية والحركات المتطرفة والباطنية معاً.

وفي عام ١٩٠٨ أرغمت بريطانيا وفرنسا وروسيا والنمسا وإيطاليا السلطان عبد الحميد على منح ولاية مقدونيا إدارة خاصة ومستقلة إلى أبعد الحدود عن إدارة استنبول. وهكذا وجد الضباط الملتزمون إلى جمعية الاتحاد والترقي أن الفرصة قد سحبت لهم للبدء في ثورتهم على النظام السلطاني. فأرسلوا من مدينة سالونيك برقيات إلى السلطان عبد الحميد يطالبونه فيها بإعادة العمل بالدستور وبانتخاب مجلس نواب.

وعندما اتضح للسلطان عبد الحميد أن قطاعات الجيش في المناطق الأخرى تؤيد مطالب ضباط جمعية الاتحاد والترقي المتواجدين في سالونيك، وافق في اليوم الثالث والعشرين من شهر يوليو عام ١٩٠٨ على عودة الدستور والحياة النيابية.

ولكن الأمر لم ينته إلى ذلك، فقد كانت جمعية الاتحاد والترقي تضم عدداً ليس بالقليل من الضباط العرب والعناصر الماسونية النشطة. وبعد نجاح الانقلاب على السلطان بادر الكثيرون من المثقفين العرب إلى الانتساب إلى تلك الجمعية، وكان أغلبهم من الماسون.

وقوبلت العودة إلى الدستور والحياة النيابية بترحيب حار من كافة الشعوب العثمانية. إذ وجدت تلك الشعوب أن ذلك الحدث يمثل منعطفاً جديداً وبداية حقبة تملأها الآمال^(٧).

ولكن السلطان عبد الحميد نجح في شهر ابريل من عام ١٩٠٩ في تحريض حامية استنبول على القيام بثورة مضادة . فاقترح جنود تلك الحامية مبنى البرلمان وقتلوا وزير العدل وأحد النواب العرب فضلاً عن عدد من الضباط العرب . وعندما بلغت أنباء ثورة عبد الحميد المضادة مدينة سالونيك، زحف الفريق محمود شوكت باشا العربى الأصل والمولد والقائد العام للجيش المعسكر فى سالونيك، زحف على استنبول . وبعد قتال مرير دخل العاصمة العثمانية وأعاد مقاليد السلطة إلى جمعية الاتحاد والترقى .

وبعد ثلاثة أيام من القضاء على الثورة المضادة اجتمع مجلس النواب والأعيان فى جلسة مشتركة وخلعوا عبد الحميد ونصبا أخاه الأمير رشاد سلطاناً بدلاً منه .

وكان لذلك الحدث أكبر الأثر على عملية إعادة ترتيب التنظيم الماسونى فى البلاد العربية، فمن المعروف أن الانتصار على السلطان عبد الحميد قد فجر أزمة كبيرة بين الماسونية فى تركيا والماسونية فى مصر ولبنان، بعد أن انضمت جميع المحافل الماسونية فى الآستانة ومقدونيا إلى الشرق الإيطالى الماسونى، وتقرر أن تخضع جميع المحافل الماسونية العثمانية فى سوريا ولبنان ومصر لمحفل الشرق الماسونى العثمانى الأعظم^(٨) .

لقد كان البرنس عزيز باشا حسن - ابن عم خديو مصر عباس حلمى الثانى - على رأس البداية الماسونية العثمانية بمصر، حيث تبعته عدة محافل منها محفل نور المحبة ومحفل الاجتهاد بالإسكندرية، ومحفل (الصدق)^(٩) . وكان هناك آخر بنفس الاسم تابع للمحفل الأكبر الفرنسى فى محافظة الزقازيق^(١٠)، أيضا محفل (نيازى) بالقاهرة . وقد ازداد نشاط تلك المحافل فى أعقاب الانقلاب الدستورى عام ١٩٠٨، حيث ألقت السياسة بظلالها على المحافل العثمانية خاصة بعد ما تردد عن تعيين الزعيم المصرى محمد فريد أستاذا أعظم للمحافل الماسونية العثمانية فى مصر، فتأثرت نائبة الصحف التابعة لسلطة الاحتلال على هذا التعيين، مما اضطر الحكومة الاتحادية

العثمانية إلى إلغاء القرار، وإلغاء وظيفة المندوب السامي للمحافل الماسونية العثمانية المصرية^(١١).

ومن الواضح أن هذا الفعل من الشرق العثماني لا يدل إلا على رسوخ العمل السياسي في الأساس الماسوني بالعالم العربي، فلا تبتعد الماسونية عن السياسة كما تدعى، فقد أجبرت بريطانيا حكومة الاتحاد والترقي بالآستانة على نفي ما تردد عن تعيين محمد فريد زعيم الحركة الوطنية المصرية في منصبه الماسوني.

لقد كان من رأى أعضاء المحافل العثمانية أن الماسونية رعت روح الحرية في ثورة الاتحاديين في تركيا، وقال نعوم شقير رئيس محفل (نيازي) العثماني: «... هذا ونحن العثمانيون مدينون للماسونية أكبر دين لأنها هي التي بثت في نفوس أعضاء الاتحاد والترقي روح الحرية، وبها اقتدوا في إنشاء جمعيتهم التي فكت قيود الاستبداد، وقد اهتم جماعة من الماسون المصريين بإنشاء تذكارات لذلك فأنشأوا محفلاً جديداً في القاهرة سموه محفل (نيازي) باسم بطل الحرية العثماني، واحتفلوا بتثبيت موظفيه في التاسع من يناير الماضي (يعنى بذلك ٩ يناير ١٩٠٩) ثم ذهبوا إلى فندق الكونتينيانتال لتناول العشاء، وكانوا قد دعوا بعض أصدقائهم لتناول العشاء مع عطوفة إدريس راغب بك الرئيس الأعظم للمحافل الماسونية المصرية في صدر المائدة، وإلى يمينه حضرة نعوم بك شقير رئيس محفل نيازي، ثم حضره ستاك بك وكيل حكومة السودان ثم سائر أعضاء المحفل والمدعوين...»^(١٢).

ولكن سرعان ما تبين العرب انغلاقية جمعية الاتحاد والترقي الشديدة على القومية التركية. وقد بلغ تعصبهم لقوميتهم مبلغاً من الشدة جعلهم في عام ١٩١٢ يصرون على أن يكون ممثل العرب السوريين في اللجنة المركزية لجمعية الاتحاد والترقي تركيا لا عربياً.

ولم يكد يمر بعض الوقت حتى اتضح أن الماسون كانوا في غاية البراعة والتوفيق في تصفية الإمبراطورية العثمانية وتقويض أركانها: ففي عام ١٩١٠ أعلنت

بلغاريا استقلالها رسمياً عن الدولة العثمانية . وبادرت النمسا إلى ضم مقاطعتي البوسنة والهرسك إليها . وأعلنت جزيرة كريت التحاقها باليونان .

وأشعلوا في عام ١٩٠٩ ثورات شعبية في اليمن وعسير وجبل الدروز والكرك .. وفي عامي ١٩١٠ و ١٩١١ ثار أيضاً الألبان على الدولة العثمانية وأعلنوا استقلالهم عنها .

وفي شهر سبتمبر من عام ١٩١١ قامت إيطاليا بغزو طرابلس الغرب وبرقة بعد أن سحب الاتحاديون القسم الأكبر من قواتهم من ليبيا لإخماد الثورة في اليمن ، وذلك بالرغم من تحذير نواب طرابلس وبرقة من المطامع الإيطالية . وفي عام ١٩١٢ أبرم الاتحاديون صلحاً مع إيطاليا .

وفي اليوم الثامن من أكتوبر عام ١٩١٢ أعلنت الدول البلقانية ، بلغاريا واليونان والصرب والجبل الأسود ، الحرب على دولة الإتحاد والترقي وأحرزوا انتصاراً كاسحاً على القوات التركية . وبلغت جيوشهم ضواحي استنبول واستولوا على سالونيك وأدرنة وقد اضطرت الحكومة العثمانية في ٣ من شهر ديسمبر إلى توقيع الهدنة مع الدولة البلقانية خوفاً من سقوط العاصمة استنبول . وقد كانت النتيجة النهائية لحرب البلقان ضياع جميع أراضي الدولة العثمانية في القارة الأوروبية .

وهكذا تم تفتيت الممتلكات الإسلامية ، ولا غرابة فيما اقترفه الماسون من أخطاء في حق الخلافة العثمانية والإسلام والمسلمين . فقد كان معظم قادة الاتحاديين من الماسون . وكان نفوذ اليهود متغلغلاً في صفوفهم .. وكان كبار زعمائهم من أصول غير إسلامية وغير تركية ، فأنور باشا مثلاً كان ابناً لرجل بولندي ، أما جاويد بك فكان يهودياً ماسونياً من يهود الدوتمة وكان طلعت باشا من عجر البلقان . أما أحمد رضا فقد كان ماسونى متحمس ينحدر من والد شركسى وأم مجرية .

مخططات صهيونية - ماسونية،

مثلت النصوص الخاصة بالماسونية كما هائلا من الكتابات في إجمالها، والنصوص التي تتناول العلاقات بين الماسونية والصهيونية تمثل كما لا يقل عنه ضخامة، وما كتب مؤيدا أو معارضا يتراكم ويتداخل بصعوبة بالغة مما يصعب فض تشابكه، ومع ذلك فإن الخطوط العريضة واضحة.

ومن خلال العديد من الكتابات، كان أمامنا الكثير من الدلائل على (التورط) اليهودي في الماسونية خاصة منذ عشرينيات القرن العشرين وحتى عام ١٩٤٨، وإن كانت هناك بعض حالات تسبق ذلك التاريخ. ولقد اهتمت الكثير من الصحف العربية في الآونة الأخيرة بعلاقات الماسونية بالصهيونية اهتماما بالغ فيه البعض بصورة واضحة، إلا أن تلك الكتابات في مجملها تهدف لشيء واحد، وهو فضح الأغراض الصهيونية في السيطرة على العالم في الوقت الذي تزايد فيه الاستفزاز الصهيوني للعرب والعالم على السواء^(١٣).

وعلى الرغم من ادعاء الماسونية بأنها لا تتدخل في السياسة فقد كان لها مواقف خطيرة أبدت فيها الصهيونية تأييدا صريحا.

ومع قراءة متأنية لما سميت بروتوكولات حكماء صهيون^(١٤) نجد العديد من التلميحات عن الماسونية؛ وجاء ذكر المخطط الصهيوني الماسوني في بعض البروتوكولات، وقد سلم بصحتها العديد من الكتاب، وسلم بزيافتها آخرون. وقد جاء في البروتوكول الثالث:

«... والشعب بإرشادنا قد محا الطبقة الأرستقراطية التي كانت تدافع عنه وتحميه لمنفعتها منه إذ مصالحهما مشتركة. ونرى الشعب اليوم بعد نسفه الطبقة الأرستقراطية قد أطبقت على مخلقة أيدي صغار المرابين يمتصونه امتصاص العلق فاسترقوه وقيدوه».

فنأتى نحن الآن بدورنا ونظهر على المسرح مدعين حب إنقاذ العامل الفقير مما هو فيه من بلاء. فندعوه أن ينتظم فى صفوف جندنا المقاتل تحت لواء الاشتراكية الفوضوية والشيوعية، وأما حملة هذه الألوية فمن دأبنا أن نساعدهم اتباعاً لقاعدة أخوية مزعومة وهى تضامن الإنسانية وتلك من قواعد الماسونية عندنا.

«أما البروتوكول الرابع: والماسونية الأممية (السيوييم) تخدمنا خدمة عمياء، بأن تكون ستارا لنا نحتجب من ورائه نحن وأغراضنا وصور خططنا، لكن مخططنا المعد للعمل مع التنفيذ يبقى هذا كله على طبيعته كما يبقى المكان الذى يوجد فيه سرا عميقا لا يطلع عليه أحد،.

وفي موضع آخر من البروتوكولات؛

«الموت حق على كل حى فيكون خيرا وأفضل أن نقرب الآجال على الذين يعترضون سبيلنا، من أن نقرب آجالنا نحن الواضعين لهذه الخطة. وإننا مستعدون أن نعدم الماسونى إعداماً يخفى خبره عن الناس جميعا ما عدا الأخوة الماسونية، ولا يدري بهذا أحد حتى المحكوم عليه نفسه فيظل على جهل من مصيره المدبر له حتى يلقاه فيموت بالوقت الذى عين له كأنه مات ميتة طبيعية من مرض عادى،.

«والأخوة الماسون أنفسهم إذا ما علموا بذلك قلن يقووا على الاحتجاج. وبهذه الطريقة نكون قد اقتلعنا من وسط الماسونية الجذور التى قامت تشغب علينا. وبينما نعى بنشر الليبرالية فى آفاق السيوييم لينطلقوا يفعلون ما يريدون، ثرانا جد حريصين على جعل شعبنا وعملائنا فى حالة الخضوع لنا دون أى اعتراض،^(١٥).

إن تلك البروتوكولات التى قدمها نيلاس ليست هى آخر طبعة معروفة لبرنامج زعماء اليهود المزعوم، أما عن كيفية تداول عامة الناس للأخيرة فقصة طريفة. ففي عام ١٨٨٤ كانت الأنسة چوستين چلينكا ابنة الجنرال الروسى تخدم بلادها فى باريس بالحصول على معلومات سياسية كى تنقلها إلى الجنرال أورجفسكى فى سانت بطرسبورج واستخدمت لهذا الغرض يهوديا ماسونيا هو چوزيف شورست عضو محفل

(مصرييم) الماسوني بباريس. ويستبعد مترجم البروتوكولات في تقديم الطبعة الإنجليزية ماسونية جوستين لأن انضمام النساء إلى الماسونية لم يكن تقليدا متبعاً آنذاك.

على أية حال، عرض عليها شورست أن يحصل لها على وثيقة ذات أهمية عظيمة لروسيا. وما أن صار استلام المبلغ حتى سلمت الوثيقة إلى جوستين. وسلمت الآنسة جلينكا الأصل الفرنسي مترجماً بالروسية إلى أورجفسكى الذى سلمها بدوره إلى رئيسه الجنرال شيفرين لنقلها إلى القيصر، ولكن بحكم ارتباط شيفرين بأثرياء اليهود أثر حفظها فى الأرشفة.

وفى الوقت نفسه اتهم البلاط الروسى جلينكا بالخيانة، فعادت إلى روسيا لتنفى التهمة وقدمت بدورها نسخة البروتوكولات إلى إليكسيس سوخوتين حاكم أورال التى نفيت إليها جلينكا بعد المحاكمة والذى عرضها بدوره على نيلاس ورفيقه ستبانوف الذى نسخها، ووزعها فى عام ١٨٩٧ على أخصائه فقط، أما سرجيوس أ. نيلاس فنشرها فى تسارسكو - تسلو (روسيا) عام ١٩٠١ فى كتاب عنوانه (العظام داخل الصغار)^(١٦).

ويكفى لتبيان الاستغلال الصهيونى للماسونية ومحافلها أن تلك البروتوكولات كانت مهمورة بتوقيع ثلاثمائة من كبار الماسون الحائزين للدرجة للدرجة ٣٣ الماسونية.

ولقد كان أكبر المعاونين للصهيونية فى العالم من الماسون، يعملون على تحقيق أهداف الصهيونية السياسية والاستعمارية بحماس ودأب، فهل كانوا يعاونوهم بصفة ماسونية أم باقتناع شخصى أو تبعاً لسياسة حكوماتهم. ومنهم على سبيل المثال المستر ونستون تشرشل الذى عمل على تأييد الحكومة البريطانية للمطامع الصهيونية الاستعمارية فى فلسطين.

وكان المستر هارى ترومان رئيس الولايات المتحدة الأمريكية ماسونياً وأستاذ أعظم يحمل الدرجة ٣٣ الماسونية، وقد نشرت ذلك مجلة (شيكاغو أفنجر) فى عددها

الصادر في ١٣ يوليو عام ١٩٥٥ ، ولعل ذلك كان تمهيدا لاعترافه بدولة إسرائيل بعد إحدى عشرة دقيقة من إعلان قيامها، متعللا بأن وعد بالفور تطبيق عملي لمبادئ ولسن التي نادى بها في أعقاب الحرب العالمية الأولى، والتي تضمنت الاعتراف بحق الشعوب في تقرير مصيرها، مع أنه يدرك تماماً ما في هذا التبرير من مغالطة غير خافية وإنكار لحقوق العرب أصحاب البلاد الأصليين.

كما كان من رجال الماسونية البارزين كل من اللورد بالفور ولويد جورج والجنرال سمطس ورئيسى الولايات المتحدة لندون جونسون وريتشارد نيكسون. كما اشترك المستر ليو إمري وكان يعمل مديراً لشركة ماركس وسبنسر - وكان يحمل الدرجة ٣٣ الماسونية - مع اللورد روتشيلد في تدبير الجانب الرسمي من المؤامرة الصهيونية على فلسطين والإسهام في الصياغة النهائية لتصريح بالفور^(١٧).

وما أن احتلت إسرائيل القدس بعد عدوانها على الدول العربية في يونيو عام ١٩٦٧م حتى انبهرت الماسونية وخطبتها أضواء النصر وفاتها ما التزمته من حرص وحذر طوال عصور وأجيال، وواتت الجرأة المحفل الماسونى بولاية تكساس بالولايات المتحدة الأمريكية للجهر بما يضمّر فدفّع جريدى ترى وإيدى مورفى العضوين البارزين فى المحفل إلى أن يعرضاً على المحكمة الإسلامية العليا فى القدس فى مايو ١٩٦٨ مائة مليون دولار نظير السماح للمنظمة الماسونية بهدم المسجد الأقصى وبناء هيكل سليمان مكانه، بزعم أن هيكل سليمان كان هو المحفل الماسونى الأول تحت رئاسة الملك سليمان. ومن المعروف أن هدم المسجد الأقصى هو أهم هدف للصهيونية^(١٨).

* * *

إن من يقرأ تاريخ اليهود يجد أن طبيعتهم أقل تضحية ويوفرون القوة وابتعدون عن المواجهة التي لا تؤمن عواقبها . ورغم ذلك قام اليهود بأدوار هامة فى السياسة الدولية، كانت واضحة للعيان حيناً وخفية فى أحيان كثيرة، لكن كثيراً من الكتاب ،

سخرُوا جهودهم لفضح تلك الأدوار مقدمين البراهين والدلائل التي حاربتها الصهيونية بكافة الأشكال، ولكن الاستغلال اليهودي للصهيوني للماسونية قد جذب أكثرهم لدراسة علاقة اليهودية بالماسونية^(١٩).

وجدير بالذكر أن اليهود حينما وصلوا إلى الدرجات العليا في الماسونية رفعوا من المحافل الماسونية العربية كل الكتب الماسونية التي تحتوى على التعاليم الماسونية، وأحلوا محلها كتباً ليس فيها غير المراسم والطقوس، وحشوها بالكلمات العبرية ومثوها بالتمجيد والتكريم لكل ما هو يهودي، كما أطلقوا شعارات مطاطة لا تتناسب ومجتمعنا العربي، وهى شعارات مضللة تفسد الشعوب وتثيرها على السلطة إذا لم تقترن بفهم صحيح لأبعادها الحقيقية، فأصبحت الماسونية في البلاد العربية (جمعية منفعية عالمية) فارغة من جوهرها الذى يعلن للناس وعاجزة عن تنفيذ غاياتها ومراميها التي تدعيها^(٢٠).

وكانت إدارة المحافل في معظم البلدان العربية بيد الأكثرية التي أصبحت يهودية، وخاصة مصر ولبنان، لكنها حافظت على مستوى من الثقافة الاجتماعية التي لا جدال فيها. وعندما انتشرت البروتوكولات كانت تشكل خطراً جماً على اليهود في العالم العربي، فقد نبهت الجميع إلى خطورتهم وتوجه الاتهام إلى الماسونية بالصهيونية من غير تفريق بين شتى الشقوق الماسونية، فأغلقت بعض الدول العربية المحافل الماسونية، لكن بلدان أخرى رضيت بها كما هى، وما تبقى منها في البلدان أخذت جانب الحيطة بكثير من التحفظات.

وذكر العديد من الكتاب أن الماسونية كانت أداة للسياسة الصهيونية، وأن اليهود استغلوا المحافل الماسونية كي ينفذوا من خلالها كافة أغراضهم الهدامة ضد العالم كله مسيحي أو مسلم، وعملت لبنان التي عرفت خطر اليهود عليها وجريته كثيراً عبر تاريخها الطويل على إقصاء اليهود من صفوف محافلها الماسونية، وعندما أعلن الشرق الأعظم اللبناني سياسته سنة ١٩٧٠ ضمنها نصاً صريحاً يمنع المحافل من

قبول اليهود في عضويتها ولو كانوا لبنانيين وهو المعمول به الآن في جميع المحافل اللبنانية، وربما كان هذا التدبير هو الوحيد في العالم (٢١).

* * *

وعلى أية حال، كان للنفوذ اليهودي في المحافل الماسونية العربية أكبر الأثر في الإسراع بصدور قرار تكوين دولة إسرائيل. وهكذا تتأكد رؤية البعض بأن الغرض الماسوني في نهايته هو إلقاء العالم في جحيم مستعر يقضى عليه، لتقوم على أنقاضه نظم تهدف إليها الماسونية اليهودية بقيام دولة عالمية صهيونية تثير الفتن والاضطرابات (٢٢).

إن هذا لا يبدو منطقياً إلى حد كبير، فهذا يجعلنا نربط الاضطرابات السياسية في العالم بالماسونية، ويتفق ذلك وآراء من يحاولون ربط كل الثورات العالمية بأعمال ماسونية، ولكنى أعتقد أن المنطق العلمي يقول أن للثورات أسباب وعوامل عديدة تحركها، فنجاح الثورات العربية ضد الاستعمار في العراق ومصر وسوريا والجزائر هو نتاج تمازج أفكار الشعوب العربية، واعتقادها الراسخ بأن الأوضاع العربية المتردية لن تحل سوى بالثورة، أيضاً تتشابه الحال والثورة الفرنسية والأمريكية والثورة الروسية.

صحيح أن عناصر ماسونية كانت تشارك في ثورات عالمية مثل ثورات: (البرتغال في عام ١٩٠٥ - الصين ١٩١١ - روسيا ١٩١٧ - المجر ١٩١٨ - ألمانيا ١٩١٨ - إسبانيا ١٩٣٦)، ولكن هل يمكننا القول بأن الماسونية هي التي صنعت تلك الثورات التي غيرت حكومات ونظم سياسية.

وإذا سلمنا بصدق ذلك، فإنه يجب أن ننسب الثورة المصرية في عام ١٩١٩ لجهود الماسونية في مصر لأن زعيمها سعد باشا زغلول كان الأستاذ الأعظم الفخري للمحفل الوطني الأكبر المصري آنذاك، وأن نجاح ثورة العشرين في العراق ينسب إلى الماسونية لأن بعض قادتها كانوا من الماسون، كذلك في ليبيا والجزائر. أو أن نقول أن الثورة السورية الكبرى، هي من فعل الماسونية واليهود، لأنها رفعت شعارات الحرية.

والإخاء والمساواة، وهو نفس شعار الماسونية، ولا يمكن القول مثلاً أن تحالف الشيوعية مع الرأسمالية الغربية هو من فعل الماسونية.

وترددت الصيحات تنادى بدور التحالف (الماسونى - الصهيونى) العالمى فى الوقت الحاضر لإسقاط العراق فى جميع الأوساط السياسية العربية والدولية، وقد نشرت (الأهرام العربى) عن باحث يمنى يكشف تفاصيل مثيرة عن محافل الماسونية فى عدن احتفلت باحتلال القوات الأمريكية والبريطانية للعراق، وكتبت (القبس الكويتية) تقريراً جاء فيه أنه حين حاول الطبطبائى صرف النظر عن الجهاد مع نظام صدام حسين فى العراق صرح بأن البعث ابن الماسونية والجهاد إلى جانبه فتنة، ومن الواضح أن الربط بين الماسونية وكافة الكوارث العالمية يتزايد يوماً بعد يوم بشكل يزيد الموقف حيرة وغموضاً^(٢٣).

ولم تصمت دراسات اليهود تجاه تلك الأفكار المتناثرة عنهم، فقد أنتجت مؤسسة بن زيفى لدراسات مجتمع يهود الشرق بالقدس فى منتصف الثمانينيات من القرن العشرين عملاً بعنوان مصر وفلسطين ضم بين أوراقه مجموعة من الأبحاث عن المشكلة اليهودية وجذورها، فكانت دراسة الكاتبة اليهودية سلفيا ج. حايم بعنوان (مجلة المنار والمشكلة الفلسطينية) أهم تلك الدراسات التى حواها الكتاب، وبحثت فيها مجموعة من الآراء التى كتبت فى المنار عن المسألة الفلسطينية، ومن أشهرها آراء رشيد رضا.

وأكدت سلفيا أن مجموع الآراء تجاه اليهود وعلاقتهم بالحركة الماسونية تتلخص فى إحساس اليهود بوجوب القوة منذ تم تهجيرهم من الأندلس بعد خروج المسلمين منها، وخاصة أن الكنيسة الكاثوليكية قد كثفت من حركة اضطهاد اليهود فلزم عليهم الاختيار، وكان تأسيس دولتهم هو الاختيار الأمثل بكافة الطرق. فشقت اليهودية صفوف الماسونية فى مصر والبلاد العربية، وشقت الماسونية بدورها صفوف رجال الدين فى أوربا، وأصبح معنى الماسونية لدى اليهود هو محاولة إيجاد قومية

دينية يهودية تمهد لإنشاء دولتهم وإعادة بناء هيكلهم، ليكونوا عماد الحضارة الغربية كقوة خفية من خلال المحافل الماسونية^(٢٤).

وفي أعقاب صدور تصريح بالفور عام ١٩١٧ بإنشاء وطن قومي يهودي بفلسطين، عمت الفرحة الأوساط الماسونية في مختلف أنحاء البلاد العربية، وأقامت التنظيمات الماسونية اليهودية حفلات للتهنئة، وكانت أشهر تلك الحفلات بالإسكندرية، وحضر الحفل أحمد زيور باشا محافظ الإسكندرية مع كبار رجال الطائفة اليهودية.

وعقد كبار اليهود بالإسكندرية وعلى رأسهم البارون فليكس دي منشة وكان من كبار رجال الماسونية اجتماعا في ١٢ أغسطس عام ١٩١٨ أعلن فيه: وجوب تكوين لجنة تهدف إلى جمع شمل الجمعيات اليهودية والصهيونية والماسونية، والاهتمام بتدعيم محاولات تأسيس الجامعة العبرية بالقدس وجمع التبرعات لتوطين اليهود في فلسطين.

وقد أطلقت اللجنة على نفسها اسم اللجنة المشايعة لفلسطين وكانت برئاسة. ومن المعروف أن البارون دي منشة من أكبر العائلات اليهودية وكان رئيس محفل (رودلف رقم ٢٩٧) التابع للمحفل الأكبر الفرنسي، كما شغل منصب الأستاذ الأعظم للماسون بالإسكندرية في عام ١٩٢٠، وكان مندوباً عاماً للماسون بالإسكندرية لدى المحفل الأكبر الوطني المصري أثناء استقبال الزوار. واستمر طوال السنوات الأولى من القرن العشرين مهيمنا على التنظيمات الصهيونية والجمعيات السرية الماسونية مسيطرا على نشاطاتها وتوجيه أعضائها^(٢٥).

ولم يلاحظ في سوريا ولبنان نشاط ماسوني صهيوني مكثف على شاكلة ما حدث في مصر، وذلك لا يعني أنه لم يكن موجودا، فاليهود في سوريا كانوا أقل تماسكاً فيما بينهم بخلاف اليهود في العراق ومصر. وكان من الصعب حدوث اندماج بين يهود سوريا الأصليين والمحافل الماسونية، فاليهود السوريين معظمهم من

الحرفيين، ولم تجذبهم لا الدعاية الصهيونية ولا التعاليم الماسونية، إلا قلة من اليهود التجار الأوربيين المهاجرين من أوربا إلى حلب انخرطوا في الماسونية، وكان لهم نشاط صهيوني سرى شببها بنشاط يهود مصر آنذاك^(٢٦).

وأكد اليهود في سوريا مراراً على ولائهم لسوريا، وخاصة حين تحدث أحداث مصيرية في فلسطين على شاكلة قرار التقسيم في عام ١٩٤٧ الذي دفع النائب في البرلمان السوري عن مدينة دمشق وحيد مزراحي للقول: إن اليهود يستنكرون أعمال الصهيونية ويعتبرونها عقيدة سياسية غريبة منفصلة عن الدين لا تتفق مع عادات اليهود العرب ولغتهم وثقافتهم وأخلاقهم.

وفي لبنان اشتبه في أمر منظمات الشباب المكابي وأبناء صهيون التي عملت على تهريب اليهود إلى فلسطين. لكن بعض يهود لبنان اتخذوا مواقف معادية للصهيونية، إذ استنكر المجلس الملي اليهودي في لبنان، في ذكرى وعد بلفور في عام ١٩٤٥ الدعاوى الصهيونية واستنكروا وأكد ولاء يهود لبنان لوطنهم.

وفي اليمن تعاونت الوكالة اليهودية مع لجنة التوزيع المشتركة لتحويل هجرة يهود اليمن عن طريق الجو إلى فلسطين، خلال عملية بساط الريح الشهيرة، التي تم فيها نقل ٤٧, ١٤٠ يهودياً يمينياً إلى فلسطين^(٢٧). وكان ذلك بشجيع من المحافل الماسونية.

وإن كانت المعلومات ضئيلة جداً عن التعاون الماسوني الصهيوني في سوريا ولبنان وبقية البلاد العربية. لكننا نأخذ صورة واضحة عن ذلك التعاون إذا عرفنا مدى الترابط بين يهود مصر من زعماء الصهيونية والمحافل الماسونية، فقد تعاون الماسون واليهود في مصر لتحقيق هدف واحد، وهو إقامة دولة عبرية في فلسطين دون غيرها.

لقد وفد إلى مصر ليون كاسترو المحامي اليهودي مبعوثاً من المنظمة الصهيونية العالمية ليؤسس فرعاً لها في القاهرة عام ١٩١٧. واستطاع كاسترو توحيد صفوف الخلايا الصهيونية المتناثرة، مكوناً أول فروع المنظمة في مصر، وأصدر

المجلة الصهيونية La Revue Sioniste في عام ١٩١٨ لتكون لسان حال المنظمة في أول عهدها بمصر، والأداة الفعالة لنشر الدعوة الصهيونية بين يهود مصر. كما استطاع كاسترو التسلل إلى صفوف الوفد واكتسب ثقة سعد زغلول باشا الذي كان يحمل لقب (الأستاذ الأعظم الفخرى) للماسونية المصرية، وترأس كاسترو تحرير صحيفة La Liberte الفرنسية - لسان حال الوفد آنذاك، واستطاع أن يستثمر وجوده داخل صفوف الحركة الوطنية المصرية لصالح الحركة الصهيونية حتى منتصف الأربعينيات (٢٨).

وفي عام ١٩٣٥ انفصل اليهودي الصهيوني جابوتنسكى عن المنظمة الصهيونية العالمية ليؤسس منظمة صهيونية جديدة تحت مسمى حزب التصحيحيين، وسارع بإرسال ألبير ستراسلسكى - أحد أعوانه - لتأسيس فرع التصحيحيين في مصر، ونجح ستراسلسكى في استقطاب عدد كبير من اليهود في مصر والاجتماع بهم من خلال المحافظ الماسونية. ونذر أبناء عائلة موصيرى، وكانوا من كبار رجال الماسون بالقاهرة ثروتهم وجهودهم لتأييد هذا الحزب الصهيوني الجديد، ودعوا إليه من خلال المحافظ الماسونية والتجمعات اليهودية.

ولقد تميز هذا الحزب باستخدام العنف والإرهاب لتحقيق آمال الصهيونية حتى وإن كانت على حساب إخوانهم من اليهود. وتأسس فرع في الإسكندرية برئاسة الماسونى اليهودى فليكس بنزافين المحامى، وكان من أبرز أعضائه إيلى بوليتى الصحفى صاحب جريدة الأنفوماتير. وكان الفرع الإسكندري يحظى برعاية صهيانية الإسكندرية من عائلة روصانو مالياً وأدبياً.

ومن المعروف أن محفل (جيروزاليم رقم ٢٥٠) بالإسكندرية التابع للمحفل الأكبر الوطنى المصرى كان يرأسه شارلو روصانو عامى ١٩٣٩ - ١٩٤٠، وكان من أبرز أعضائه جاك روصانو، فرناندو روصانو، أندريه روصانو وخالهم ألبير سيتون، وجميعهم من أكبر تجار الإسكندرية، وكان من أهم أعضائه أيضا ديفيد شيكوريل

عميد الطائفة اليهودية ورئيس اتحاد اليهود الشرقيين بالإسكندرية، والذي تم تكريسه بالمحفل الماسوني في ٩ مارس ١٩٣٩ .

وكان من بين أبرز أعضاء ذلك المحفل الماسوني إيلي بوليتي الذي شارك في نشر النشاط الصهيوني بمصر، مما دعم السياسة الصهيونية لتزويد الوطن القومي اليهودي في فلسطين بالمال والسلاح لتحقيق الحلم الصهيوني، وتدعيم نشاط المنظمة الصهيونية والوكالة اليهودية، وغيرهما من المنظمات الصهيونية في مصر والعالم العربي (٢٩).

وفي مدينة المنصورة المصرية كان أبرز الماسون فيها من اليهود وهم صدقا ليفي المحامي الذي كان رئيساً ومشرفاً عاماً للصندوق القومي اليهودي (كيرين كايमित) بالمنصورة، وكان هدفه جمع التبرعات من يهود مصر لشراء الأراضي في فلسطين والمساعدة على توطيد العمال اليهود فيها. واستطاع صدقا ليفي التسلل إلى داخل كيان المجتمع المصري عن طريق المحافل الماسونية، وكان مدخله هو محفل (المنصورة رقم ١١٦) بالمنصورة، وأيضاً (مقام حيرام للدرجة ١٨ الماسونية)، ويعتبر صدقا ليفي من أبرز أعيان اليهود الصهاينة، وأحد أقطاب الماسونية بالمنصورة (٣٠)، وقد نشرت جريدة التاج المصري الماسونية في مصر أنه كان ضمن وفد محفل (المنصورة) الماسوني برئاسة جبران أفندي خليل المقاول ورئيس المحفل لزيارة الشرق الأكبر المصري الماسوني بالقاهرة لرسم استراتيجية المحفل، وجمعياته الخيرية بالمدينة (٣١).

* * *

ولقد ساهم قادة العرب في توطيد محاولات الصهيونيين لتكريس وطنهم القومي في فلسطين، وأعلن بعض القادة العرب الماسون مساهماتهم تلك صراحة ودون حياء، وأعلنها البعض الآخر بصورة ضمنية وغير مباشرة، أما الأغلبية فقد كانت نشاطاتهم تتخذ الأساليب السرية حسبما تقتضي مبادئ الماسونية.

وكانت المحاولات الصهيونية لتوريط الماسونية العربية معهم في المسألة

اليهودية مستمرة، تفشل أحيانا وتصيب أحيانا أخرى، إلا أن أعظم ما استطاعت تنفيذه كان ذلك النداء الذى خرج من مصر ليوجه إلى عرب فلسطين كي يتقبلوا الوضع المهيمن الذى يكتبه اليهود الصهاينة لمستقبلهم آنذاك.

لقد توقع حايم وايزمان رئيس المنظمة الصهيونية العالمية فى مطلع عام ١٩٢٢ أن يقوم عرب فلسطين بأعمال عنف ضد اليهود، أثناء احتفالاتهم بمولد النبي موسى، فطالب ممثل المنظمة فى القاهرة العمل على توجيه بيان من أهل الثقة فى مصر إلى عرب فلسطين لحثهم على التزام الهدوء أثناء تلك الاحتفالات التى يشهدها يهود من مختلف بلاد العالم، وتوصل مندوب المنظمة عن طريق أحمد زكى باشا مدير دار الكتب آنذاك إلى إصدار البيان عن رئاسة الماسونية فى مصر التى يمثلها المحفل الأكبر الوطنى المصرى مقابل مبلغ ألف جنيه مصرى.

ونجحت المحاولة الصهيونية بالفعل، وأصدر المحفل الأكبر الوطنى المصرى البيان المطلوب بتاريخ ٢ أبريل ١٩٢٢، وهو موعد سابق على موعد احتفالات المولد ووقعه إدريس راغب الأستاذ الأعظم للمحفل وهيئته الاستشارية، وكان بعنوان (نداء إلى أهالى فلسطين من المحفل الأكبر الوطنى المصرى للبناءين الأحرار القدماء المقبولين)، وكتب بصيغة خطابية موجهة إلى جميع فئات الشعب الفلسطينى وطوائفه رجالا ونساء، ودعا الجميع إلى إفساح المجال لليهود فى سبيل فائدة الوطن المشترك وعظمته، وتوخى أسباب السلام والوئام والتسامح وحقق الدماء، وخص عرب فلسطين بالعمل على تحقيق هذه المطالب، وعد كلماته ممثلة لمصر الشقيقة الكبرى^(٣٢) (أنظر نص المنشور فى الفصل الخاص بالملفات والأسرار).

ويبدو أن النداء قد وصل إلى أهالى فلسطين عن طريق المنشورات وليس الصحف، ثم ما لبثت الصحافة أن تلقفته فى مصر، وأشارت إلى وصوله إلى الفلسطينيين، وعندئذ نشرت جريدة النظام النص الكامل للنداء تحت عنوان العشيرة الماسونية والمحفل الأكبر الوطنى المصرى مع أن الجريدة كانت من الصحف المهمة

بالماسونية، وكان صاحبها ومحررها سيد على الحريري ماسونياً، فقد وقعت الموضوع بتوقيع ماسونى متألم، وأغلب الظن أنه هو نفسه صاحبها الذى استهل الموضوع بقوله: «الجمعية الماسونية جمعية خيرية تقوم على مبدأ مساعدة الضعفاء والمساكين والدفع عن الحرية والانتصاف للمظلوم، ولم نكن نعرف أنها جمعية سياسية تتدخل فى أمور الشعوب وتتصرف فى شئونها، وتدعوهم للاستسلام لمغتصبى حقوقها إلا اليوم عندما قرأنا الرسالة التى نشرتها زميلتنا (الأهرام) الغراء من يافا، وهى تتضمن الرد على المنشور الذى أرسله المحفل الأكبر الوطنى المصرى إلى أهالى فلسطين يدعوهم إلى الاستسلام للصهيونية وتركها تعمل ما تشاء فى بلادهم، ويطلب ألا يتعرضوا لها فى أغراضها القومية» (٣٣).

ثم أبدى المحرر دهشته من تدخل المحفل الأكبر الوطنى المصرى على هذا النحو، وكيف كان يأبى أن يبدى رأيه فى المسألة المصرية، مدعياً أن الجمعية الماسونية جمعية خيرية لا دخل لها فى السياسة، وكانت دهشتنا أكبر لأن تلك الدعوة التى أرسلها المحفل الأكبر إلى إخواننا أهالى فلسطين كانت مرسلة باسم الأمة المصرية التى تطالب بحريتها، وأبدى لومه لما حدث من المحفل ثم تلاه بنص المنشور كاملاً، وعقب عليه بما رد به محفل يافا من الاحتجاج والاستنكار، واختتم التعليق بعبارة: فهل لا يرى المحفل الأكبر الوطنى المصرى فى هذا الكلام ما يخجل؟ وكفى.

وغالباً لم يكن محرر النظام يعلم بقصة الضغوط الصهيونية من أجل الحصول على هذا النداء، فهذه القصة كشفتها أوراق وايزمان ورسائله التى جمعت ونشرت فى سنة ١٩٧٧، ولكن يتبين من تقديمه للموضوع أنه كان على علم بجانبها المتعلق بممثل المنظمة الصهيونية فى القاهرة وجهوده فى هذا السبيل. ولم يكن فى النداء دعوة صريحة لقبول الوطن القومى اليهودى فى فلسطين، ولا اعتراف بحق اليهود فيه، وإنما كان فيه إلحاح على فكرة الوطن المشترك، وهى نفس الفكرة التى روجتها الصهيونية فى مصر لتجد عن طريقها منفذاً إلى الاستمرار.

ومع ذلك، كان النداء جريئاً لا في كلماته فحسب ولكن في توقيته، فقد استقر رأى الإنجليز على إصدار تصريحهم الذى أعلنه وزير خارجيتهم آرثر بالفور سنة ١٩١٧، وبدأت الصحف الوطنية فى مصر فى إثارة القضية، ولم ينتظر كبير الماسونية حتى ينجلي الأمر فظهر بمظهر الملكى أكثر من الملك، وكان من الطبيعى أن يثير النداء أزمة بين الماسون أنفسهم ومعركة فى الصحف المصرية والفلسطينية على السواء^(٣٤).

لقد أعلن محفل (مفيس) التابع للمحفل الأكبر الإيطالى أنه يدعو جميع الماسون باسم الماسونية العامة إلى جلسة يوم ٩ أبريل ١٩٢٢ لمناقشة النداء السابق، وعلاقته بالواجب الماسونى، ويرحب بآراء الباحثين فى الموضوع بحرية تامة، بلا التفات إلى تبعية المتكلم لأى شرق من الشروق، مع مراعاة المصلحة الماسونية العامة، وجاء فى صورة دعوة وزعها المحفل بتوقيع أستاذه ميخائيل بشاره داود.

وقبل يوم واحد من انعقاد الجلسة، كان إدريس راغب والموقعون معه على النداء السابق قد تراجعوا عن موقفهم، فأصدروا بياناً آخر إلى أهالى فلسطين استهلوه بالإشارة إلى ما أحدثه نداءهم السابق من سوء تفاهم، يوجب الأسف، كما أنكروا أنهم أرادوا بندايمهم مصادمة عواطف الفلسطينيين، وإنما أرادوا عدم حدوث شغب أثناء الاحتفال بمولد النبى موسى الكليم، أما وقد مر الاحتفال بسلام فيبقى للفلسطينيين الحرية التامة فى قبول إدماج الصهيونيين الوافدين من الخارج أو رفضهم.

ومن ناحية أخرى، استاء الماسون فى الشام وفلسطين من نداء الماسونية المصرية، وأذاع محفل (الشفق) الماسونى فى يافا بياناً رد فيه على نداء المحفل الأكبر الوطنى المصرى جاء فيه:

«لم نستغرب فى حياتنا استغرابنا لندائكم المؤرخ فى ٢ أبريل ١٩٢٢ باسم الحرية والإخاء والمساواة، فالماسونية ذات المبادئ الخالدة (كذا) إلى جميع الطبقات فى فلسطين. استغرينا ذلك وقد عرفنا من بينكم الأيدى الدافعة إليه... ولا نعلم فيما

علمنا أن الماسونية التي بنيت على أسس مقاومة كل سلطة غاشمة تدعو الناس إلى مقاومة تلك السلطة في بلد والاستسلام لها في بلد آخر...، أى وطن مشترك تعنون؟ وأى معاهد العلم تذكرون؟ أغاب عنكم أيها الأخوان ما في طباع الصهيونيين من أثره وعدم الامتزاج؟ أتجهلون أن معاهد العلم التي يقيمونها لا صبغة لها غير صبغة الدين ولا لغة فيها غير العبرانية. فما هي علمية محضنة كما تقولون ولا وطنية بحتة. بالله لا تهينوا صلاح الدين في قبره ولا تؤلموه في المغالطات والسفسطات. نعم إنه كان مثال التساهل ولكنه أيضا كان مثال الشمم، ويكفيه فخرا دفاعه عن بلاده ورد غارات الطامعين... لماذا تضربون لنا مثلا بكندا وسويسرا ولا تضربون لنا مصر بطليها الاستقلال...

...إنكم أيها الأخوان وجهتم نداءكم إلى أهل فلسطين، وأخصهم العرب كأنما تظنون أن العرب هم مثيروا الشر والخصام، فبدا التحيز ظاهرا في كل كلمة من كلماتكم، ولكنكم أحسنتم صنعا لو وجهتم هذا النداء إلى عقلاء اليهود في العالم إذا كنتم حقا تريدون الدعوة إلى السلام فإن قومهم هم الذين أثاروا الفتنة... وقد كان الأولى بكم أن تلصحوا الصهيونيين بالإقلاع عن خططهم والنزول عن غطرستهم والامتناع عن تهريب الأسلحة، والرجوع عن ذلك الوعد المشؤوم... (٣٥).

ومع أن البيان الاعتذارى الذي وجهه المحفل الأكبر الوطنى المصرى لم ينشر في مصر إلا في الخامس من شهر مايو، أى بعد نحو ثلاثة أسابيع على نشر النداء الأول، إلا أنه كان حذرا في تناوله لموضوع الصهيونية ومحايدا في موقفه منها: «إذ يقول أما الصهيونيون الذين يفدون من الخارج، ويستوطنون فلسطين، فللـفلسطينيين أنفسهم حرية تامة في أن يحكموا إذا كانوا يقبلون إدماجهم في العنصر الفلسطينى من عدمه».

ولكن يبدو أن قصة الضغط الصهيونى على المحفل كانت قد تسربت إلى الكثيرين، إذ يقول البيان في ختامه: «إن المحفل يبرأ أن يكون ألعوبة في أيدي غرض

أو شخص، لأنه لم يقدم على نشر النداء إلا حباً في أن يرى السلام سائداً بين جميع العناصر التي تتألف منها الأمة الفلسطينية الكريمة، (٣٦).

مرت الأزمة التي أثارها ذلك النداء، حتى إذا ما انتهت يظهر في عام ١٩٤٠ الأمير السوري حبيب لطف الله (٣٧)، الذي كان آنذاك أحد قادة الماسونية في (المحفل الأكبر الوطني المصري)، ليعلن على الملأ اقتراحه بتحويل المنطقة الشمالية العربية - التي تضم سوريا ولبنان والأردن وفلسطين - إلى دولة تحت اسم دولة الاتحاد العربي، وتكون دولة كونفيدرالية تضم العرب واليهود على حد سواء، كما يمكنها استيعاب أي قدر من الهجرات اليهودية في المنطقة، حيث أنها تحتل عشرات الملايين من البشر (٣٨).

وقد نشرت التاج المصري في عام ١٩٤٠ مقالا بعنوان (فكرة الأمير حبيب لطف الله الاتحاد العربي دولة حاجزة بين الشرق والغرب) وجاء فيه:

«أن الأمير حبيب لطف الله من كبار الأخوان الماسون، وهو الآن في إنجلترا يعرض على الحكومة البريطانية فكرة جريئة جديدة عن تكوين اتحاد عربي يقوم كدولة حاجزة بين الشرق والغرب، وقال الأمير أن كل شيء مهياً للوحدة والجميع يرحبون بها، ويوجد الآن في البلاد ١٢٠ مليوناً في حالة رغد إلا ١٨ مليوناً من السكان يعيشون في حالة فقر. إن الدولة التي تضم كافة الشعوب السامية من يهود ومسيحيين ومسلمين في اتحاد واحد ستكون ذات نفوذ عظيم، (٣٩).

وبعد تصريح الأمير نشطت الدعاية الصهيونية العالمية، فكتبت الديلي اكسبريس إن الأمير له كثير من الأصدقاء بين اليهود، وهو يعتقد أنه إذا اتحدت البلاد العربية فسيكون هناك مكان فسيح يسع كلا العرب واليهود. وسارع مندوب صحيفة لمحادثة الأمير لطف الله الذي أعلن: أن دولة الاتحاد المقترحة Jewish Standerd تكون على أساس معاهدة مكماهون - حسين عام ١٩١٥ كدولة حاجزة بين الشرق والغرب لها عاصمة اتحادية (٤٠).

ولم تكن تلك هي المرة الأولى التي تناقش فيها الماسونية فكرة الاتحاد العربي، فقد نوقشت كثيرا في مؤتمرات الماسونية ومحاضراتها، وناقشها الماسون في مصر في سلسلة محاضرات عقدت في الدار الماسونية بشارع فؤاد الأول بالقاهرة، باسم الاتحاد العربي سياسة فاشلة وانتهوا برفضها^(٤١). وهذا يعني أن هناك أصوات كانت لا تحبذ فكرة الاتحاد العربي قبل أن يشير لها الزعماء العرب في الأربعينيات من القرن العشرين.

ولما كان على الصهيونية الانتقال إلى مرحلة عملية أكثر عمقا تساعد على تحقيق مآربهم، فقد وصل إلى البلاد العربية في عام ١٩٤٠ آلاف من الجنود اليهود الذين كان من بينهم بعض المشتغلين بالحركة الصهيونية، وذوى الخبرة في تنفيذ المهام التي كانت تلقى على عاتقهم من قبل قادة الاستيطان اليهودي، والخاصة بمخاطبة يهود الشتات، وأجرى هؤلاء المبعوثون اتصالات عديدة مع اليهود في المحافل الماسونية^(٤٢)، وكان معظم اليهود آنذاك منضمون إلى المحافل الماسونية يستغلونها كأمكنة للاجتماع وتدبير المؤامرات الصهيونية.

ونجد أن أقطاب الصهيونية في مصر قد انتموا إلى الماسونية، ووزعوا صفوفهم على مختلف شروق الماسونية، فنجد عائلة قطاوى وعائلة موصيرى بالقاهرة قد انضموا للماسونية ومعهم عائلة شيكوريل، فقد كان سلفاتور شيكوريل نفسه عضوا بالمحفل الأكبر المصري بالقاهرة، وكان ديفيد شيكوريل عضوا بمحافل الإسكندرية، وعائلة روصانو كانت تتبع المحفل الأكبر الوطني المصري، وقد أسسوا محفل (جيروساليم) بالإسكندرية، وأفراد عائلة طوريل وعائلي عنتيبي ومنشة كان انتماءهم للمحفل الأعظم الفرنسي^(٤٣). وشغل اليهودي حاييم شملا منصب رئيس محفل (الاستقلال) بالإسكندرية^(٤٤).

ومن الأمور الطريفة أن بعض أقطاب الماسون العرب في سوريا قد اجتمعوا بعد نكبة فلسطين ١٩٤٨، فسأل أحدهم رئيس الاجتماع: أين الماسون اليهود؟ لماذا لا

٧٤ _____ مخططات ماسونية ضد الأمة العربية _____

يفرقون في فظائعهم في فلسطين بين الماسونى وغير الماسونى ؟
فكان الجواب : أسكت (٤٥) .

هوامش الفصل الثاني

(١) قواد غصن، مذكراتي خلال قرن (بيروت: دار الريحاني للطبع والنشر، د.ت)، ٢٤٠ - ٢٤٤؛ نقلا عن: حسين عمر حمادة، الماسونية والماسونيون (دمشق: دار فتيبة، د.ت)، ٨٠ .

(٢) ذوقان قرقوط، الماسونية العربية، مجلة قضايا عربية (بيروت: عدد ٩، يناير ١٩٧٥)، ٢٢ .

(٣) إبراهيم أحمد العدوي، حركات التسال ضد الأمة العربية (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦٩)، ٢٥ - ٣٠ .

(٤) للاستزادة: محمد عبد الله عنان، تاريخ الجمعيات السرية .

(٥) حول خطط التلمود والصهيونية ضد الإسلام أنظر: أنور الجندي، المخططات التلمودية اليهودية الصهيونية (القاهرة: دار الاعتصام، ١٩٧٧) .

(٦) الاتحاد والترقي: هي جمعية سرية شكلها طالب ألباني في المدرسة الطبية العسكرية السلطانية يدعى إبراهيم تمر مع أصدقائه سنة ١٨٨٩، وهدفت إلى رفع شعار (حرية - مساواة - عدالة) بمساعدة المحافل الماسونية وبعض الدول الأوروبية. واستفحل أمر تلك الجمعية عند تغلغلها في صفوف الجيش الثالث العثماني في مدينة سلانيك مقر يهود الدونمة، والتي كان بها محفلا ماسونيا يهتم بأمرهم؛ للمزيد من التفاصيل: أرنست أ. رامزور، تركيا الفتاة وثورة ١٩٠٨، ترجمة: صالح أحمد العلي (بيروت: ١٩٦٠)؛ وتحت عنوان (الديانة اليهودية وعلاقتها بالماسونية والصهيونية العالمية) أنظر:

<http://www.arabic.islamicweb.com/christianity/judaism> ;

<http://www.nesil.com> .

ومن أهم المؤلفات التي تناولت تاريخ الدولة العثمانية: روبر ماينتران (إشراف)، تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة: بشير السباعي، ط ١، جزءان (القاهرة: دار الفكر للدراسات والنشر، ١٩٩٣)؛ وما يهم في المؤلف عدة مقالات في الجزء الثاني منه وهي: فرانسوا جورجيو، النزاع الأخير ١٨٧٨ - ١٩٠٨ (١٩٩٣)؛ ١٦١ - ٢٤١)؛ بول دومون؛ فرانسوا جورجيو، موت إمبراطورية ١٩٠٨ - ١٩٢٣ (١٩٩٣: ٢٣٤ - ٣٤٨) .

(٧) أحمد رجال الشيباني، الطورانية والتريك، أنظر:

http://www.arabtranslators.net/shibani_2.asp

(٨) وائل إبراهيم الدسوقي، الماسونية (٢٠٠٥: ٥٣) .

(٩) عمر محمد بكر سليمان، إطلالة على الماسونية ونشاطات محافلها في مصر أواخر القرن التاسع عشر وأوائل العشرين (القاهرة: دت)، ..

(١٠) الجريدة الماسونية (عدد ٢٧، ٩ مايو ١٩٠٥، السنة ٣)، ٦ .

(١١) نفسه (عدد ٢٩، ١٦ يونيو ١٩٠٩) .

(١٢) نعوم شقير، الماسونية في البلاد العثمانية، المقتطف، ج ٢ (مجلد ١، ٣٦ يناير ١٩١٠)، ١٥٨ .

(١٣) نشرت الصحف العربية في الآونة الأخيرة الكثير عن هذا الموضوع؛ أنظر: جريدة الوطن، الماسونية فكرة صهيونية جرى تدويلها (قطر: ١٢ أبريل، ٢٠٠٣)؛ مجلة السياسة، من أهداف الماسونية (الكويت: ١٤ مارس، ٢٠٠٣)؛ الوقائع العربية، تفاصيل المؤامرات اليهودية ضد الإسلام (٢٥ فبراير ٢٠٠٣)؛ مجلة حصاد الفكر، العلاقات الأسرية بين اليهودية وبين الماسونية والصهيونية (١ مايو ٢٠٠٣)؛ الخليج، يهود في جلباب الماسونية (الإمارات: ٧ أبريل، ٢٠٠٣)؛ جريدة الثورة، اليد الخفية دراسة في الحركات اليهودية الهدامة والسرية (١٠ العراق: أبريل، ٢٠٠٣) .

(١٤) بروتوكول: كلمة يونانية (بروتوس) بمعنى أول وكلمة (كولا) بمعنى غراء، وبالعبرية تأخذ نفس الدلالة الصوتية (بروتوكول) للدلالة على ورقة ملصقة فوق مكان مرتفع عن وثيقة رسمية تحمل فيما تحمله صيغة افتتاحية أو ملخصاً لمحتويات لسهولة الاستدلال. وفي هذا المقام تعني البروتوكولات في دراستنا مسودة خطة العمل للزعماء اليهود (بروتوكولات شيل حخمى صيون)؛ للاستزادة: عبد الوهاب الكيالي، موسوعة السياسة، ج ١ (بيروت: المؤسسة العربية للنشر، ١٩٩٠)، ٥٢٠؛ أحمد عبد الله اليطي، اليهودية كهف الخفايا (٢٠٠٣: ٧٨-٨٢)؛ أيضاً: وائل إبراهيم الدسوقي، الماسونية (٢٠٠٥: ١٨٥) .

(١٥) عن تلك البروتوكولات، أنظر: أ.ل. فراي، القوى الخفية في السياسة الدولية، ترجمة: جهاد قدرى قلجى، ط ٢ (بيروت: دار الكاتب العربي، ١٩٩٢)، ٧٥، ٧٦-٧٧؛ أيضاً:

Jewish Conspiracy and the Muslim World, With Complete Text of the Protocols of the Learned Elders of Zion (Kuwait: Al-Assriya Printing Press, 1968), 11-15; & For more Info. See: Encyclopaedia Judaica, Freemasonry (1973: 124).

(١٦) وائل إبراهيم الدسوقي، الماسونية (٢٠٠٥: ١٨٥).

(١٧) عبد السميع الهراوي، الصهيونية بين الدين والسياسة (الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة: ١٩٧٧)، ١٠٧، ١٠٨؛ ولمزيد من المعلومات عن العامل الماسوني في استصدار تصريح بالفور أنظر: محمد علي علوية، فلسطين والضمير الإنساني (كتاب الهلال، مارس ١٩٦٤، عدد ١٥٦).

(١٨) عبد السميع الهراوي، الصهيونية (١٩٧٧: ١٠٩).

(١٩) من المعروف أن عهد اليهود بالماسونية قد بدأ في أمريكا، وكان اليهود يتزايدون عددا بشكل يلفت الانتباه يوما بعد يوم في محافل سبع ولايات أمريكية هي رود أيلاند ونيويورك وبنسلفانيا وميريلاند وجورجيا وساوث كارولينا وفرجينيا. وقد أسس الماسوني اليهودي موسى ميشيل هيس -Moses Michael Hays الشرق الإسكتلندي في أمريكا، وكان هيس يعمل نائبا للمراقب العام الماسوني على أمريكا الشمالية في عام ١٧٦٨ وعمل أستاذ أعظم من عام ١٧٨٨ إلى عام ١٧٩٢.

ولم تكن المرة الأولى والأخيرة التي ينشط فيها اليهود في المحافل الماسونية الأمريكية، فمنذ أواخر عام ١٧٠٠ كان سولومون بوش في بنسلفانيا وجوزيف مايرز في ميريلاند ثم في جنوب كارولينا وإبراهيم فورست في فلادلفيا وفرجينيا في عام ١٧٨١، ويهود آخرون كانوا يشغلون منصب الأستاذ الأعظم مثل موسى سيكساس في رود أيلاند من عام ١٧٩١ وحتى قرب نهاية عام ١٨٠٠، وكثير من الأمريكيين اليهود الذين سيطروا على محافلها في تاريخ أمريكا المبكر. وقد لعب الماسون اليهود في أمريكا دورا هاما في تحريك الثورة الأمريكية من بين العديد من الأدوار التي لعبها الشعب الأمريكي بكافة طوائفه، فانضموا إلى قوات جورج واشنطن وحققوا معه انتصارات كبيرة فأنمر ذلك التعاون في النهاية إلى تحقيق الاستقلال. للمزيد عن الدور الماسوني اليهودي في أمريكا، أنظر: وائل إبراهيم الدسوقي، الماسونية (٢٠٠٥: ١٨٩)؛ أيضا:

Jacob, K., *Jews and Freemasons in Europe 1723- 1939* (Harvard Univ. Press, Washington: 1970); Samuel, O., *The Jews and Masonry in the United States Before 1810*, American Jewish Historical Society (New York: 1910); *Short Talk Bulletin*, Jewish Grand Masters in the United States Since 1910 (The Masonic Service Association of the United States, New York: 1967); Lanier, J.J., *Jewish Masons in the American Revolution* (Oklahoma: w.d).

وبالنسبة لبريطانيا سيطر اليهود على المحافل الإنجليزية منذ عام ١٧٠٠، وعلى كافة أوجه الحياة في إنجلترا ومستعمراتها فيما بعد، ولم ترحب بهم الماسونية الإنجليزية في البداية، فعندما قدم اليهودي البريطاني إدوارد روس الذي قدم طلبه للانضمام في الماسونية البريطانية إلى محفل لندن عام ١٧٣٢، فهاجت بقية المحافل الإنجليزية التي كانت لا تقبل اليهود وسط صفوفها، لكن الأمر اختلف بعد قليل ليشهد تزايد ملحوظا في أعداد اليهود المنضمين إلى الماسونية البريطانية؛ للمزيد عن الدور الماسوني اليهودي في إنجلترا:

Cohn, N., Warrant for Genocide, Harper & Row Publishers (New York: 1966); Coil, H.W., Coil's Masonic Encyclopedia (New York: 1961).

وفي فرنسا وبعد الثورة الفرنسية وانتهاء حروب نابليون عمت حركة التنوير كافة أرجاء أوروبا، وصدرت قوانين لتحرير اليهود من قيودهم وإعطائهم حقوقا للمواطنة، فسمحت الماسونية الفرنسية دون حرج والمحافل التابعة لها في الإمبراطورية النابليونية لليهود بالانضمام إليها دون قيود، وبدأ اليهود في عام ١٨٦٩ ينضمون إلى المحفل الإسكتلندي في باريس، وجاء ذلك بعد ما حدث من جراء حادثة دريفوس من أحداث اعتبرها اليهود معادية للسامية، أنظر:

Roberts, A.E., Freemasonry in American History (Richmond: 1985), 23-46.

وفي ألمانيا لم يجد اليهود متسعا لهم طوال عهدهم بها حتى انتهاء الحرب العالمية الثانية، نتيجة محاربة هتلر وحليفه موسوليني للماسونية، واضطهاد محافلها وحرقها. كذلك روسيا التي قمعت فيها الماسونية، ومنع اليهود من ممارسة الماسونية أو أي من حقوقهم، أنظر:

Sven, G.L., Nazis and Fascists are Engaged in a ruthless campaign aiming at The Annihilation of Freemasonry, The American Mercury Newspaper (Vol. LII, No. 206, February 1941).

(٢٠) وائل إبراهيم الدسوقي، الماسونية (٢٠٠٥: ١٨٧).

(٢١) السحمراني، الماسونية نشأتها وأهدافها (١٩٩٢: ١٠٣-١٢٦)؛ عبد الله على سمك، الماسونية العالمية، ج ١ (القاهرة: د.ت)، ٦٩-٩٠؛ صابر طعيمة، الماسونية ذلك العالم المجهول (بيروت: دار الجيل، د.ت)، ١٧٣-٢٢٢.

(٢٢) نتفق هنا مع ما ذكره عاصم الدسوقي أثناء تقديمه لذكريات محمد علي علوبة؛ راجع: محمد علي علوبة، ذكريات اجتماعية وسياسية (القاهرة: مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٨)، ٢٤، ٢٥ .

(٢٣) الأهرام العربي (٢٨ يونيو ٢٠٠٣)؛ القبس الكويتية (١٦ أبريل ٢٠٠٣).

(24) Haim, S.G., The Palestine in al-Manʿar, In: Cohen, A.; Baer, G. (ed.), Egypt and Palestine, A Millennium of Association 1868- 1948, 1sted. (Jerusalem: Ben Zvi Institute for the Study of Jewish Communities in the East, 1984), 310.

(٢٥) حمدي طنطاوي، روتاري والصهيونية، لمحات من تاريخ الماسونية العربية، ط١ (القاهرة: بيت الحكمة للإعلام والنشر، ١٩٩٤)، ٦٤-٦٦؛ وائل إبراهيم الدسوقي، الماسونية (٢٠٠٥: ١٩٨، ١٩٩).

(٢٦) حاولت فرنسا منع تكوين اتحاد فيدرالي صهيوني في سوريا، فقد أعلنت مراراً بأنها سوف ترفع حائطاً في وجه كل محاولة لتوسع الصهيونية في سوريا، ولا يمكنها الموافقة على إنشاء ذلك الاتحاد. ولكن بعد زيارة الكولونيل كيش عضو اللجنة التنفيذية الصهيونية في فلسطين أرسى زعماء الطائفة اليهودية في سوريا قواعد اتحاد فيدرالي صهيوني في سوريا؛ أنظر: ذوقان قرقوط، المشرق العربي في مواجهة الاستعمار (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٧)، ٢١٨ .

(٢٧) مأمون كيوان، اليهود في الشرق الأوسط، الخروج الأخير من الجيتو الجديد، ط١ (الأهلية للنشر: ١٩٩٦)، ١١٩، ١٢٠ .

(٢٨) ولم تكن تلك هي البداية الفعلية للنشاط الصهيوني في مصر، فقد بدأ النشاط الصهيوني في مصر فعلياً في عام ١٨٩٦، حيث وفد إلى مصر يهودي يدعى ماركو باروخ Joseph Marco Barukh من بلغاريا، وأسس في القاهرة هيئة صهيونية في عام ١٨٩٧ سميت (جمعية باركوخابا)، ولا توجد أية دلائل على انضمام ذلك الشخص إلى الماسونية في مصر؛ سعيدة محمد حسني، اليهود في مصر ١٨٨٢-١٩٤٨ (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٣)، ١٦٩-١٧٠؛ سهام نصار، اليهود المصريون صحفهم ومجلاتهم ١٨٧٧-١٩٥٠ (القاهرة: دار النشر العربي، ١٩٨٢)، ٢١ .

(٢٩) تأسست الوكالة اليهودية في فلسطين عام ١٩٢٢ استناداً إلى المادة الرابعة من صك الانتداب

البريطاني الذي أدمج فيه وعد بالفور بإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، وقد نصت المادة المذكورة على أن وكالة يهودية مناسبة سوف يعترف بها كهيئة استشارية لإدارة فلسطين والتعاون معها في المسائل الاقتصادية والاجتماعية وغيرها، مما قد يؤثر في إقامة وطن قومي يهودي وحماية مصالح السكان اليهود في فلسطين، وكان للوكالة لجتان تنفيذيتان، الأولى في القدس لتنظيم حركة الهجرة ومتابعة عمليات الاستيطان، والثانية في لندن أشبه بسفارة يهودية في بريطانيا. وفي عام ١٩٢٩ قرر المؤتمر الصهيوني السادس عشر إشراك عناصر يهودية صهيونية في الوكالة اليهودية، وأعيد توحيد اللجنتين التنفيذيتين للوكالة اليهودية والمنظمة الصهيونية العالمية، فأصبحتا هيئة واحدة تعرف باسم المنظمة الصهيونية العالمية - الوكالة اليهودية. وبعد قيام الدولة في عام ١٩٤٨ تحولت كافة اختصاصاتها إلى الحكومة الإسرائيلية، وبدأت مكانتها تضعف بعد قيام إسرائيل - لاسيما في عهد بن جوريون - في تقليص صلاحيات (المنظمة - الوكالة) خاصة وأن دورها قد انتهى. وظل الوضع مجمدا حتى عام ١٩٧١، فتقرر فصل الوكالة عن المنظمة ثانية، فأصبح ٥٪ من أعضاء وقيادات الوكالة يعينون من قبل المنظمة الصهيونية العالمية، أما الباقون فيمثلون الأجهزة العاملة في الجباية بنسبة ٣٪ للداء اليهودي الموحد في الولايات المتحدة الأمريكية و ٢٠٪ للأجهزة العاملة في الجباية اليهودية في سائر أنحاء العالم؛ للاستزادة: الوكالة اليهودية، الموسوعة الفلسطينية، ط١، المجلد الرابع (دمشق: هيئة الموسوعة الفلسطينية، ١٩٨٤)، ٥٨٩ - ٥٩٠.

(٣٠) حمدي طنطاوي، روتاري (١٩٩٤: ٣٦، ٣٧).

(٣١) التاج المصري (عدد ٤٨٥، ٢٥ سبتمبر ١٩٣٦).

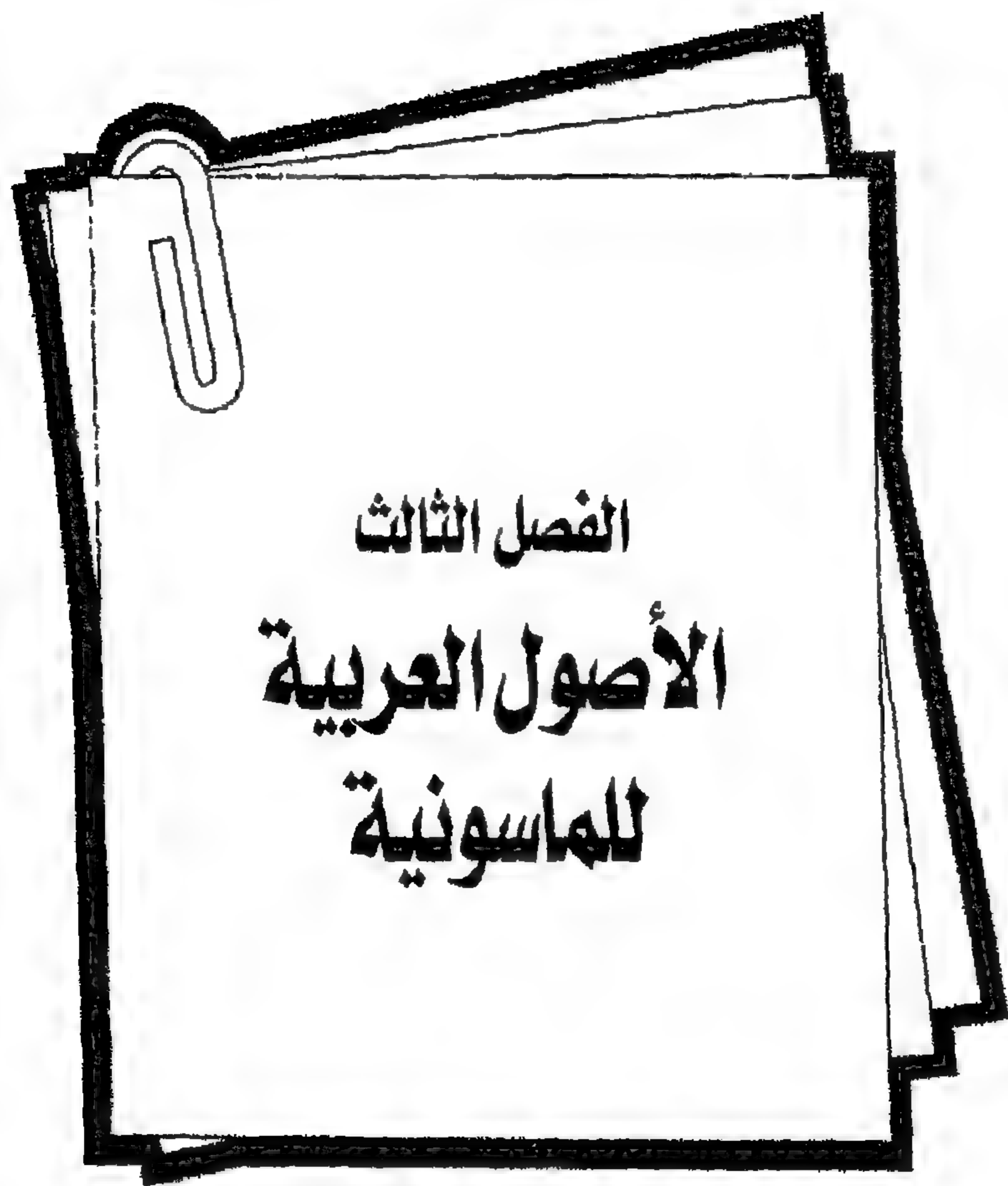
(٣٢) على شلش، اليهود والماسون في مصر دراسة تاريخية (القاهرة: الزهراء للإعلام العربي، ١٩٨٦)، ٢٧٢؛ وائل إبراهيم الدسوقي، الماسونية (٢٠٠٥: ٣١٦، ٣١٧)؛ نجدة صفوت، الماسونية (١٩٨٠: ٢٦، ٢٥).

(٣٣) النظام (عدد ٦٩٧، ١٩ أبريل ١٩٢٢)، ٣، ٢؛ نجدة صفوت، الماسونية (١٩٨٠: ٢٦)؛ على شلش، اليهود والماسون (١٩٨٦: ٢٦).

(٣٤) على شلش، اليهود والماسون (١٩٨٦: ٢٧٣).

(٣٥) نص البيان: نجدة صفوت، الماسونية (١٩٨٠: ٢٦، ٢٧).

- (٣٦) على شلش، اليهود والماسون (١٩٨٦: ٢٧٢-٢٧٦) .
- (٣٧) الأمير حبيب نطف الله: أحد الأمراء السوريين، وكان يشغل منصب مستشار الحكومة الحجازية ومستشاراً للأمر الخارجية للشريف حسين، كما شغل منصب سفير الشريف حسين في روما وموسكو ثم حاكماً لجبل لبنان. والأمير حبيب كان يعتنق المسيحية وكانت عائلته في الأصل مسلمة؛ التاج المصري (عدد ٦٩١، ١٣ سبتمبر ١٩٤٠)، ٥ .
- (٣٨) لم يكن ذلك الرأي للأمير السوري فقط، فقد تلاه نوري السعيد حاكم العراق آنذاك وكان من كبار رجال الماسونية بالعراق، وقد ذكر رأيه صراحة في مذكرة سرية أرسلها إلى وزير الدولة البريطاني لشئون الشرق الأوسط في عام ١٩٤٢، وقد أشار فيها بصورة واضحة إلى ضرورة إقامة دولة يهودية في فلسطين، ودولة مسيحية في لبنان؛ حمدي طنطاوي، روتاري (١٩٩٤: ١٠٨، ١٠٩)؛ التاج المصري (عدد ٦٩٤، ٤ أكتوبر ١٩٤٠)، ٢ .
- (٣٩) التاج المصري (عدد ٦٩١، ١٣ سبتمبر ١٩٤٠)، ٥ .
- (٤٠) حمدي طنطاوي، روتاري (١٩٩٤: ١٠٨) .
- (٤١) وثائق عابدين، المحفل الماسوني (محفظة ٥٧٩، غير مؤرخة) .
- (٤٢) نخبة من العلماء، اليهود في البلدان الإسلامية ١٨٥٠ - ١٩٥٠، ترجمة: جمال الرفاعي، سلسلة عالم المعرفة رقم ١٩٧ (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، مايو ١٩٩٥)، ٤٣١ .
- (٤٣) حمدي طنطاوي، روتاري (١٩٩٤: ١٠٨) .
- (٤٤) الجريدة الماسونية (١٦ سبتمبر ١٩٠٤، عدد ١٦، السنة ١)، ٥ .
- (٤٥) سيف الدين البستاني، أوقفوا هذا السرطان، حقيقة الماسونية وأهدافها (دمشق: دار النهضة العربية، ١٩٥٩)، ١٢١ .



حرصت الماسونية طوال عهدها على تجهيل نشأتها وأصولها، حتى بالنسبة للماسون أنفسهم. إلى درجة استخفت حتى على أقطابها المرموقين، وقال حسين اللاز نائب الأستاذ الأعظم للمحفل الأكبر الوطني السوري اللبناني، ومعه أحمد مختار نجا السكرتير الأعظم للمحفل، في كتابهما كيف أنشئ المحفل الأكبر الوطني السوري اللبناني: أن أصل الماسونية ما زال في طي الكتمان بل لغز من الألغاز الغامضة^(١).

ورغم ذلك، فإن تاريخ الماسونية الذي تتداوله دوائر المعارف الماسونية تنبئ عن أصول دينية يهودية.

ويوغل بعض المؤرخين للحركة الماسونية في قدمها التاريخي إلى حد ربطها بكل المنظمات والأعمال السرية القديمة في أعماق التاريخ الإنساني القديم وبين بلدان وشعوب العالم المختلفة.

واستفاض البعض في عرضهم لتاريخ الماسونية، حتى وصلوا إلى آدم عليه السلام، ورأى البعض أن الله عز وجل قد أسس الماسونية في جنة عدن، وأن الجنة كانت أول محفل ماسوني، وميكائيل رئيس الملائكة هو أول أستاذ أعظم فيه، إلى غير ذلك من الأقاويل.

وعلى امتداد تاريخ الماسونية الطويل نشطت وعملت في الخفاء. ولم يستطع أحد تحديد البداية الحقيقية لها، ومن الجائز أنها تأسست في القرن الأول الميلادي. أو أبعد من ذلك إلى حد يربطها بكل المنظمات السرية في أعماق التاريخ الإنساني، وبين بلدان وشعوب العالم المختلفة، لأن ما تقوم به المحافل والمنظمات الماسونية من شعائر ورموز، يجمع بين العديد من عادات ورموز الحضارات المختلفة، عربية كانت أو غربية.

ولكننا، ونحن بصدد عرض تاريخ النشاط الماسوني في البلاد العربية بصورة علمية وموضوعية بعيدة عن التحيز، سوف نركز على الجذور العربية التي رآها البعض لترسيخ

الماسونية ومحاولاتهم لربطها بتطور البشرية، وما يمكن أن نوافق عليه أو نعارضه.

وحاولت الماسونية التأصيل لنفسها بشتى الطرق، وربطت نفسها بكل الحضارات التي سكنت المعمورة. ولقد لمح أندرسون في كتابه دساتير البنائين الأحرار بأن الماسونية ارتبطت بالهندسة والفنون وبأن الله هو المصمم الأعظم، وهذا يرتبط بأحداث كثيرة في التاريخ والدين والفلسفة، وكما علمنا أنه كتب أن وسائل البناء عند الله تتمثل في آدم والبطريك والملك وفلاسفة العالم الكبار، بنى آدم البشر وعمر الأرض، وكان على المسيح بناء الديانة المسيحية، وعلى الفلاسفة بناء العقل والفكر.

بنيت سفينة نوح والأهرامات والمسلات وهيكل سليمان، ووجدت الماسونية في مصر أصل البناء. ويرى الماسون أن الأديان في العالم العربي تأسست على فلسفة بنائية. ثم ظهر أصحاب النظريات الهندسية من العرب، لوضع أسس هندسية جديدة لفهم الهندسة بصورة أفضل، ثم جاء فرسان المعبد إلى القدس لتأسيس أولى التنظيمات السرية للبناءين. وأشارت المخطوطات الماسونية من العصر الوسيط في هذا الخصوص إلى أن إقليدس كان من الماسون الذين شيدوا في مصر صروحاً لملوكها^(٢).

وحاول مؤرخ الماسونية أوليفر Oliver التأصيل للماسونية، ونسبها إلى البناءين، الذين سكنوا أوربا قبل العصر المسيحي بخمسمائة عام - على الأقل - في إنجلترا، بناء على دلالات أثرية تشبه الرموز الماسونية، أرجعها الأثريون إلى خمسمائة عام قبل ميلاد المسيح، وهو بذلك يخالف الآراء التي تدعوا إلى أن أصول الماسونية شرقية عربية. ومن رأيه أن الآراء التي ترجع أصولها إلى الهرم والمسلة عند قدماء المصريين تفتقر إلى أدلة وشواهد أثرية وأدبية^(٣).

لقد اعتمد معظم الباحثين في تاريخ الماسونية على كتاب إيزيدور Isidor الإشبيلي Originum Sive Etymologiarum الذي أثبت فيه ما قرره هيرودتس وديودوروس من أن المصريين هم الذين ابتكروا الهندسة^(٤) وبهذا فالمصريين هم أصل الماسونية.

وكانت الهندسة عند إيزيدور واحدة من الفنون السبعة الحرة^(٥)، التي على الأرجح كانت بالنسبة للماسونية ذات قيمة وأهمية، إذ أنها كانت تعادل الماسونية نفسها.

وهكذا اختلف المؤرخون في البداية التاريخية للماسونية، وهل هي عربية شرقية أو أوربية غربية، ويرجع هذا الاختلاف إلى تقلبها وتغير أسمائها وأساليبها حسب تغير الأمم والشعوب والديانات والعصور. ومن الواضح أنها تأخذ في كل عصر وفي كل بيئة شكلاً يخدم أغراضها وأهدافها. ولكن ما هي الأصول العربية التي رأت فيها الماسونية دعماً لها ؟

الأصول اليهودية للماسونية؛

لقد حلم اليهود بإنشاء دولتهم في فلسطين منذ أكثر من ألفي عام، وتمثلت أحلامهم في دولة تسيطر على العالم وتستثمر خيراته وثرواته، وتجعل جميع الشعوب خداماً لها وأدوات لتحقيق مآربها وإنجاح مراميها.

ويزعم البعض أن نبي الله سليمان ﷺ كان أول أستاذ أعظم في محفل القدس، ويرى عوض الخوري أنه في سبيل تحقيق السيطرة على العالم أخذ اليهود منذ أقدم الأزمنة، منذ أن رجعوا من سبي بابل ينشئون جمعيات سرية أطلقوا عليها أسماء مختلفة عرفت اصطلاحاً باسم القوة الخفية، وانتشرت في معظم أنحاء العالم وعملت في جميع الحقول وبين مختلف طبقات الشعوب والمجتمعات.

إن الماسونية الحديثة هي صورة متطورة من تلك الجمعية القديمة، تعتمد السياسة حيناً والإغراء حيناً آخر والإرهاب أيضاً، ولها أهداف مباشرة تؤول إلى مراميها البعيدة، وأخصها: القضاء على النصرانية والإسلام، والقضاء على الفضيلة والأخلاق، وبناء الدولة اليهودية العالمية والسيطرة على العالم.

وكانت أهم سبلهم لتحقيق ذلك القيام بسلسلة من الاغتيالات في العالم

يسيطرون بعدها على الاقتصاد والسياسة، أيضا من سبلهم السيطرة على الماسونية في العالم واستخدامها لتنفيذ مآربها ثم القضاء عليها^(٦).

وبعيدا عن تلك الآراء وإذا سلمنا بأن الفكرة الماسونية ذات أصول يهودية، فيمكننا حصرها في أكثر من اتجاه، كل منهم يخدم المزاعم اليهودية بصورة مباشرة، أو غير مباشرة وهي، الماسونية في فترة نبي الله سليمان عليه السلام، وما دار حولها من جدل ونقاشات، ومخطوطات قمران وتعاليم الأسينيين، والحضارة الكنعانية، أيضا فرسان الهيكل والماسونية أثناء فترة الحروب الصليبية على الشرق الإسلامي.

أولاً: التراث الماسوني في فترة سليمان عليه السلام

كما علمنا فإن البعض يرجع أصول الماسونية إلى التراث اليهودي في فترة نبي الله سليمان عليه السلام، واعتبروا أن هيكل سليمان ما هو إلا أول محفل ماسوني. واستناداً إلى نصوص التوراة يدخل في صلب التعاليم الماسونية أصول يهودية، وكثير من وقائع التوراة تعتبرها الماسونية حجر الزاوية في تعاليمهم.

ويرجح العديد من المؤرخين أن المرحلة الطبيعية لإمكانية نشأة وتكوين الفكر السياسي والعقائدي الذي تعبر عنه الجمعيات الماسونية، هي الفترة التي أعقبت السبي البابلي لليهود في عام ٥٨٦ ق.م، هذه الفترة التي ازدهر فيها دور الحاخامات ورجال الدين اليهود في تفسيرهم لكلمات العهد القديم وتكوينهم للفكر التلمودي على ضوء ما فسروه ليعاونهم في واقعهم. والبعض الآخر يرى أن نشأة الماسونية أو حتى الفكر الماسوني مرتبط بالعداء للمسيحية، وأنها أسست بعد ظهور السيد المسيح عليه السلام لمحاربة أتباعه، ويقول صاحب تبديد الظلام أو أصل الماسونية أن تلك الفكرة تظهر في قول حيرام^(٧):

«لما رأيت أن رجال الدجال يسوع وأتباعهم يكثرون، ويجتهدون بتضليل الشعب اليهودي بتعاليمهم، مثلت أمام مولاي جلالة الملك هيرودس أكريبا، واقتрحت عليه تأسيس جمعية سرية مبدأها محاربة أولئك المضللين،^(٨).

يبدو أن هيرودس أكريبا هو الملك اليهودي (٣٧م - ٤٤م) الذي أهمه ظهور المسيح ﷺ بعد أن أخذ يبشر بزوال هيكل سليمان ﷺ بحيث لا يبقى حجر على حجر لا ينقض، وأخذت المسيحية تنتشر والناس يدخلون فيها، الأمر الذي دعا الملك ومستشاريه إلى إنشاء جمعية سرية باسم (القوة الخفية) تتلخص مهمتها في التخلص من المسيحية، وأسندت إلى الملك رئاستها، وتم تكوين مجلس سرى أعلى ليكون له مهمة الإشراف على عمل هذا التنظيم^(٩)، وكان أول شئ اتجه تفكيرهم إليه تسمية مكان الاجتماع فسموه هيكلًا تخليداً لهيكل سليمان ﷺ الذي تنبأ المسيح ﷺ بتقويضه^(١٠).

وقد لاحظت أن ثمة رواية أخرى بطلها حيرام أبيف في تاريخ أقدم من الرواية الأولى تعاصر بناء هيكل سليمان ﷺ، وكان مهندساً نابغة أرسله الملك إلى أورشليم مع بعثة من الصناع لبناء الهيكل وجاء في التوراة كابن أرملة من صور يصنع النحاس ويمتلى حكمة وفهما ومعرفة في عمل كل صنعة^(١١).

وثبت أن اسم حيرام أبيف ظهر أثناء بناء الهيكل وكان يهودياً اغتيل في ظروف غامضة، ونسب الكثير من المسيحيين أصحاب الأفكار المتطرفة لليهود قتله، وأن قتله لم يكن بتدبير من سليمان ﷺ وقد يكون بعلمه^(١٢)، لكن هذا الأمر مشكوك فيه لعدم التحقق منه بدلائل واضحة. ولفت نظري أن ملك صور في فترة سليمان ﷺ كان اسمه حيرام.

على أية حال ، توجد ثلاثة أسماء كلها حيرام يخلط كتاب الماسونية فيما بينها، فيوجد حيرام صانع النحاس عهد الملك سليمان ﷺ، وحيرام ملك صور في نفس العهد، وأخيراً حيرام وزير الملك هيرودس أكريبا. ولم يتساءل أى من كتاب الماسونية عن أى منهم صاحب الشهرة الكبيرة في عالم الماسونية، فهناك خلط واضح بين الشخصيات الثلاثة.

لكننى أرجح من خلال نعت الماسون لأنفسهم بأبناء الأرملة أن حيرام أبيف

ابن أرملة صور هو مهندس الملك سليمان ﷺ ورمز الماسون، وليس حيرام ملك صور أو حيرام الوزير، ويجوز أن تكون الصدفة قد جمعتهم في تاريخ الماسونية^(١٣). ومن المعروف أن الماسون يسمون أنفسهم (أحياناً) بأبناء الأرملة وهذا يبدو واضحاً إذا عدنا إلى نصوص التوراة^(١٤).

ثانياً: مخطوطات قمران وتعاليم الأسينيين؛

ما يمكن أن نعود إليه في التاريخ اليهودي نرى فيها شبهاً مع الماسونية، هي فترة السيطرة الرومانية على الشرق، وفي تلك الفترة انقسم اليهود إلى عدة فرق أهمها فرقة الأسينيين. وقد نشأت تلك الفرقة في فلسطين، واعتبرها اليهود من الفرق المحرمة، وعاشت هذه الفرقة على هامش المجتمع اليهودي ضمن مجتمع مغلق له أنظمتها وأسراره. قتل زعيم الفرقة حوالي ٦٥ ق.م. واستمرت الفرقة في حياتها السرية وانتقلت إلى منطقة قمران إلى الجنوب من (جرش) حيث أنشأت لها موطناً خاصاً في هذه المنطقة الصحراوية. بقيت الفرقة في عزلتها الجديدة حتى قضى عليها القائد الروماني تيتوس في عام ٧٠م. اختفت بعدها فرقة الأسينيين من التاريخ بعدما خبأت كتبها المقدسة.

نشأ الصدفة أن يكتشف أحد البدو الأردنيين مخطوطات قديمة في مغاور قمران في عام ١٩٤٧. وإذا هي كتب الأسينيين. اكتملت الاكتشافات في عامي ١٩٥٢ و ١٩٥٥. وانكب علماء العالم على دراسة هذه المخطوطات فإذا بها معلومات ثمينة للغاية تبرز بوضوح أسرار فرقة الأسينيين، ونمط عيشهم ومعتقداتهم وطرق شرحهم للتوراة^(١٥).

ويتضح التشابه الكبير بين فرقة الأسينيين والماسون، ففي فرقة الأسينيين شروطاً قاسية. إذ على الطالب فيها أن يطيع مرشده للوصول إلى المعرفة حتى إذا قبله المرشد، عليه أن ينتظر سنة كاملة قبل دخوله إلى الفرقة، ويكون بالتالي قد أصبح بين العالم الخارجي والعالم الداخلي. وخلال سنة الانتظار يخضع الطالب لامتحانات

مختلفة للتثبيت من صلابته وقوة عزمته وقناعاته الفكرية، فإذا نجح في فهم الأسرار عليه أن يخضع لسنن اختبار قبل دخوله النهائي الذي يقرره مجلس من قدامى الفرقة بعد فحص الطالب.

إذا قبل الطالب في امتحانات السنن، فعليه أن يحلف يميناً قاسية أمام جماعة المكرسين القدامى، بأن يحافظ على السر، وبأن يعطي المعرفة لمن يستحقها، وعليه أن يساعد أخوته، الذين يشكل معهم جسماً واحداً لا ينقسم. بعدما يخلع عليه الرؤساء لباساً أبيضاً مخصصاً للوليمة الكبرى. إن هذه الوليمة تعد طقساً أساسياً لفرقة الأسينيين.

تجرى عملية الطعام في صمت كامل، ويترأس الوليمة رئيس الفرقة الذي يبارك الطعام الأخوان. أما الطالب الجديد المقبول فيقوم بحلف يمين أمام إخوانه قبل بدء الطعام، وهو يمين قاس تقضى بأن يكون الطالب مخلصاً لله يسير بالعدل والحق مع كل إنسان ولا يضمر الحقد أو سوء لأحد. وعليه أن يصدق وأن يمقت الكذب. كما تضيف نصوصهم بأن الطالب يحلف أيضاً ألا يخفي شيئاً عن إخوته كما عليه ألا يبوح بشيء، وإن على حساب حياته، لمن هم من خارج الجماعة.

عرف الأسينيون أربع درجات أولها المبتدئ وأهمها الأستاذ الأكبر. وهذا الأخير مات قتيلاً على غرار حيرام. وقد وضعت حوله العديد من الأساطير.

آمن الأسينيون بأنهم وحدهم هم من يملكون الأسرار التوراتية. فالمعنى الباطني للنصوص بقي لهم وحدهم من دون سواهم أما الآخرون فقد فهموا ظاهر النصوص وليس رمزياتها التي هي في أساس التكريس. وإيمانهم بخلود الروح جعلهم يتحملون أشكال العذاب الذي أنزلهم به الرومان. وبالنسبة لهم فإن النفس الطيبة المكرسة تحيا وتخلد، حيث لا المطر غزيراً ولا الثلج كثيراً ولا الجفاف شديداً، وإنما هو النسيم عليلاً تنتعش به النفوس. أما نفوس غير المكرسين، فهي في أعماق الهاوية غارقة بين الظلمة والنور.

إن تعاليم الأسينيين تتماشى مع تعاليم الماسونية. وكانت مكتشفات قمران الأثرية حافزا مهما لمن يقول بالأصول اليهودية للماسونية. إذ جاءه إثبات حسى مهم ليؤكد النظريات القديمة.

ثالثاً، الحضارة الكنعانية،

لقد عرض كتاب أسرار الماسونية لحكمت المر للعديد من الآراء، التى ترى أن للماسونية أصول يهودية، ولعل أبرز تلك الآراء ذلك الرأى الذى يعتبر أن الماسونية هى بنت الحضارة الكنعانية. فالقول بالأصول الكنعانية للماسونية يعود إلى القرن العشرين. وهو تيار شرقى يحاول تبرئة الماسونية من الأصول المصرية أو اليونانية – الرومانية أو حتى اليهودية، لإرجاعها إلى نبع آخر لا يقل أهمية عنها، من حيث المعطيات الحضارية. وطالما أن الماسونية كانت بالنسبة لمفكريها فى كل حضارة، فلا يضيرها إن كانت بنت الفكر الكنعانى. وإذا كان الماسون يعتبرون أن شخصيات مهمة فى تاريخ الشرق وتاريخ كنعان، هم بمعظمهم فى أساس الفكر الماسونى العام فلماذا نكران فضل الحضارة الكنعانية على الماسونية.

ولما كان البناء ركيزة الماسونية العملية، والبنائية بأصولها المختلفة ارتكزت على البناء المادى وعلى البناء الروحى، فالحضارة الكنعانية يعتبرها أصحاب هذا التيار أنها كانت السبابة فى هذا المضمار. ويرجع أصحاب الفكر الكنعانى كل أبنية الشرق منذ الألف الرابع ق.م. وكل عظمائه إلى صلب الحضارة الكنعانية عاملين فى سبيل إرساء قواعد البناية الحرة.

وكعادة الماسون فى مزج المعطيات التاريخية والأثرية فيما يمكن أن يساهم فى خلق الصورة المعدة سلفاً عن الماسونية تماماً كما فعل الذين أرجعوها إلى غير ذلك من الأصول والانفراد به عن سواه. ويعتقد أصحاب التيار الكنعانى أن كل حضارات الشرق، ما عدا الحضارة المصرية، تعود كلها وإن اختلفت التسميات إلى الحضارة الكنعانية الأم.

والكنعانية هي صفة وليست اسما لشعب. وتعني التحضر والاستقرار. إذا فكل حضارة مستقرة بدءاً بالسومريين، هي حضارة كنعانية، وإن لم يثبت ذلك علم الآثار وعلم التاريخ القديم في الشرق. وأن الأبنية الدينية التي أنشئت منذ عهد السومريين حتى العهد الفينيقي هي في أساس المحفل الماسوني. يضاف إلى ذلك أن كل مكتسبات ومعطيات هذه الحضارة، إنما هي مكتسبات ومعطيات كنعانية للفكر الماسوني يغنيه ويبلوره ويزيد من أهميته^(١٦).

ولا يؤمن أصحاب هذا التيار بالأصول اليهودية للماسونية. وقد يقبلون ببعض الغنى الذي جاء الفكر الكنعاني الماسوني من حضارات، مثل الحضارة المصرية، أو اليونانية - الرومانية، إنما بعد إيجاد خيط اتصال بين الفكر الكنعاني وبقية الحضارات.

رابعاً: فرسان الهيكل والماسونية،

يتجه البعض اتجاهاً بأن فرسان الهيكل Templars في الحروب الصليبية كانوا أول من أسسوا الحركة الماسونية، وفرسان الهيكل كانوا من أحسن فرسان الجيوش الأوروبية ممن شكلوا تاريخاً حافلاً، نظراً لبدايتهم المتواضعة، ونموهم الواسع ونهايتهم المأسوية.

عرف فرسان الهيكل بالقدرة على قلب موازين المعارك. فذهبوا إلى القدس مع الحملة الصليبية الأولى في عام ١٠٩٧، وكان يغلب عليهم طابع الرهبنة. ودافعوا عن القدس باستماتة، ووضعوا أنفسهم في خدمة بلدوين الثاني، واقسموا قسم الولاء في حضرة جويس دي باينس فارس شهبانيا، فقبلهم بلدوين وخصصهم قسم في قصره مجاور لهيكل المدينة، ومن هنا كان عنوانهم دائماً فرسان الهيكل-Pauvres Che-valliers Du Temple

ورأى البعض أن تنظيمهم مأخوذ من أمثلة شرقية، وأن جمعيات الاغتيال المنظم مثل جمعيات (الكربوناري والنهليست وتنظيم الإخاء الجمهوري) مأخوذة

جميعها من اتصالات الفرسان بنظم الجمعيات السرية الإسلامية، مثل القرامطة والشيعة الإسماعيلية. وأصبح الفرسان حين شعروا بقوتهم خطرا على الصليبيين، وحين شعروا بتلك القوة انقلبوا على الصليبيين وسلبوهم بل وخيانتهم.

وهكذا لو تم فرض حسن النوايا يمكن أن يكون حياد الحملة الصليبية الأولى عن فكرتها الأساسية مبررا لما فعله الفرسان الذين انقلبوا على الصليبيين، حتى أن البابا كلمنت الخامس في عام ١٣٠٥ م أمر أساتذهم جاك دي موليه بمغادرة قبرص حيث كان يعنى بتنظيم القوات الصليبية، فعاد إلى فرنسا مع ستين من أعضاء الجمعية، وأخذ البابا يحقق فيما اتهم به الفرسان من الارتداد عن الدين واعتناق الوثنية وأحرقهم، وقرر في مجلس فيينا ١٣١٢ م حل الجمعية فلجأ من نجا منهم إلى النشاط السري.

وأكد البعض براءة الفرسان، ومنهم معاصروهم الشاعر الكبير دانتي الجيري، وفي العصر الحديث المؤرخ الإيطالي فيلاني والفرنسي ميديه، وجيزو ورينان، وأدانهم المستشرق فون هامار. وحلل يوهان هويزنجا ما وصل إليه الفرسان بأن طابع الزهد تغلب عليهم إبان الحرب الصليبية الأولى، فلا بد أن يكون المقاتل النبيل فقيرا ومعفى من الالتزامات الدنيوية.

ولو فرض بأن فرسان الهيكل هم أصل الماسونية، فمن المرجح أن وجودهم كان مرسوما كخطة مسبقة في أوربا من قبل أساتذتهم وظهرت بالشكل الذي فعلوه وكأنه الشئ الطبيعي، وأن تسميتهم جاءت من الهدف الذي أتوا من أجله وهو الكشف عن الهيكل وإعادة بنائه.

وعلى الرغم من أن الغالبية العظمى من العلماء يرون أن الماسونية هي امتداد طبيعي لحركة فرسان الهيكل إلا أن هناك من يدعون أن حركة الفرسان حينما انتهت تركت بدورها خلفها حركة سيون السرية، والتي في مجملها تبدو مزيجا من الوثنية والمسيحية فهي تؤمن بالمسيح وتعتقد بإتباعه، وتعتقد أيضا ببشريته وبالمعتقدات

السابقة للمسيحية. وأن يسوع المسيح كان شخصية تاريخية ذات تأثير مذهل، ألهم الملايين وابتكر فلسفات جديدة، وكان يمتلك حقاً شرعياً للمطالبة بعرش ملك اليهود؛ باعتباره ينحدر من سلالة الملك داود والملك سليمان.

ومن الممكن القول بأن السيونية امتداد لحركة فرسان الهيكل، وأن حركة الفرسان هي أصل رموزها ومعتقداتها، ويدللون على ذلك باضطهاد الكنيسة للفرسان وتشابه الرمزية فيما بينهما. مع أنني لم أجد أى أوجه تشابه بين السيونية والماسونية في الوقت الذي يعدها البعض امتداداً لفرسان الهيكل.

ومن الأمور المثيرة ما حدث عندما نشرت رواية شفرة دافنشي Davinci Code للروائي الأمريكي دان براون، وقد عرض في سرده لأحداث روايته أن قسطنطين - حسب اعتقاد السيونية - ظل وثنياً ولم يعتنق المسيحية، بل إنه لم يعتمد إلا وهو على فراش الموت عندما كان أضعف من أن يعترض على ذلك، وكان الدين الرسمي في عهده هو عبادة الشمس، لكن لسوء حظه كان هناك هياج ديني متزايد يجتاح روما؛ إذ تضاعف أتباع المسيحية على نحو مذهل وبدأ المسيحيون والوثنيون يتصارعون إلى درجة تهديد الإمبراطورية الرومانية بالانقسام. ورأى قسطنطين أنه يجب اتخاذ قرار حاسم، فقرر في عام ٣٢٥م توحيد الإمبراطورية تحت لواء دين واحد هو المسيحية، وأنشأ ديناً هجيناً مقبولاً من الطرفين، وذلك بدمج الرموز والطقوس الوثنية والمسيحية معاً.

ويستدل على ذلك بعدة شواهد من قبيل أقراص الشمس المصرية، التي أصبحت هالات تحيط برؤوس القديسين الكاثوليكيين، والرموز التصويرية لإيزيس، وهي تحضن طفلها الرضيع المعجزة حورس مثل مريم تحضن المسيح الرضيع، وتاج الأسقف والمذبح والمناولة كلها طقوس مستمدة مباشرة من أديان قديمة وثنية غامضة، وتاريخ ميلاد المسيح ٢٥ ديسمبر هو أيضاً تاريخ ميلاد أوزيريس وأدونيس وكريشنا ومثرا، وحتى يوم العطلة الأسبوعية الأحد هو يوم عبادة الشمس أيضاً (Sunday أى يوم الشمس) بعد أن

كان السبت (الشبط) مثلهم مثل اليهود فى ذلك الزمن.

كما تنسف الرواية، حقائق عقدية مسيحية غاية فى الرسوخ من قبيل أن ألوهية المسيح حاجة ملحة وضرورية للسلطة السياسية تم اعتمادها كضرورة فقط. والمثير ما تقوله الرواية من أن قسطنطين أمر بإنجيل جديد أبطل الأناجيل السابقة التى تتحدث عن إنسانية المسيح وبشريته وجمعها وحرقتها كلها.

ويفرد مؤلف الرواية صفحة كاملة يعنونها باسم حقائق، يؤكد فيها بناء على شهادات العلماء، أنه تم العثور فى المكتبة الوطنية فى باريس عام ١٩٧٥ على حزمة ورقية أطلق عليها اسم دوسيه الأسرار، وفيها أسماء أعضاء بارزين من الجمعية السرية المعروفة باسم رهبانية سيون، التى هى امتداد لجمعية فرسان الهيكل التى تأسست عام ١٠٩٩م أى أثناء الحملة الصليبية الأولى.

وأهمية هذه الجمعية فى الأدبيات المسيحية، أنها عثرت على الكأس التى شرب منها السيد المسيح فى العشاء الأخير، ومن ثم جمع تلاميذه فيها دمه. ومن بين أعضائها البارزين كل من ليوناردو دافنشى، واسحق نيوتن، وفنان عصر النهضة ساندرو بوتيتشيللى، والروائى الفرنسى فيكتور هوجو، والكاتب جان كوكتو، ووالث ديزنى، وهم أيضا أعضاء فى الماسونية.

ونتذكر اكتشاف وثائق البحر الميت التى ذكرناها قبلاً، وتنازعت عليها الأردن وإسرائيل، مما اعتبره العلماء دليلاً مخالفاً لأناجيل قسطنطين، فقد تحدثت تلك الوثائق عن كهنوت المسيح بمصطلحات إنسانية تماماً، وهى تلقى الضوء على فبركات تاريخية تؤكد أن الإنجيل قد أعد ونقح على أيدي رجال ذوى أهداف سياسية.

وهكذا فإن رواية شفرة دافنشى، ليست أكثر من محاولة لفهم تأثير المسيحية على ديانات كانت سائدة، وتأثير هذه الديانات والمعتقدات على فئات وطوائف مسيحية، فنشأت طوائف تمزج بين المسيحية والأديان السابقة، كما فى حالة فرسان الهيكل وأخوية سيون.

خلاصة القول أن مؤلف رواية شفرة دافنشي يتطرق لمواضيع حساسة تتعلق بصلب الاعتقاد المسيحي، وتتعرض روايته للدور الخطير الذي قام به الإمبراطور قسطنطين الروماني في ترسيخ المسيحية الحديثة. وقد تضمنت أموراً تشكك في مجمل الاعتقاد المسيحي، كالقول بأن مدينة نيقية هي التي شهدت عن طريق التصويت الذي شارك فيه كهان مسيحيون ولادة فكرة ألوهية المسيح، وغير ذلك من المسائل الأخرى.

والحقيقة أنه أمر يقلب الارتياح كله، وتقتل حتى النوم. بحجم الإثارة والسرية التي تحتويها منظمة سيون، وحرب الرموز الخطرة الدائرة فيها بين الوثنية والمسيحية والماسونية^(١٧).

الأصول المصرية للماسونية:

عاد البعض بالماسونية إلى أصول مصرية قديمة، مدللين على ذلك بأن طابع البناء الذي كانت تتسم به الحضارة المصرية القديمة يتفق والفلسفة الماسونية، وأن التعاليم الماسونية كانت موجودة في مصر، وتعمل على أسلوب قريب من أسلوب الماسونية، وينظم تقترب كثيراً من نظم الماسونية.

وتتمثل تلك الأصول في أكثر من محور، أولاً: جمعية إيزيس السرية، ثانياً: الأب باخوم والماسونية، ثالثاً: الماسونية في العصر الإسلامي، رابعاً: شبائاتى تسيفى ومرحلة مصرية.

أولاً: جمعية إيزيس السرية:

كان وجود جمعية إيزيس السرية التي عبدت إلهة الربة المصرية القديمة سراً في كل موانئ البحر المتوسط من المبررات القوية التي اتخذها البعض لاعتبار تلك الجمعية من أصول الماسونية^(١٨).

ويظهر من الآثار المصرية الباقية إلى هذا العهد أن صناعة البناء والهندسة

كانت عندهم فى غاية الإتقان، ويستدل من تاريخهم أن الذين كانوا يرسمون تلك الأبنية، ويناظرون على بنائها هم فئة من الكهنة^(١٩)، ولم يكونوا يعلمون هذه الصناعة لعامة الشعب، وإنما كانوا يستخدمونهم فى نقل الأحجار من أماكنها وتقطيعها، ويختارون من بينهم من يعهدون إليه نحتها على مثل جماعة البنائين، الأمر الذى حمل بعضهم إلى القول بأن الجمعية الماسونية فرع من الكهانة المصرية، أو أنها ظهرت فى العصر المسيحى أو بعد الفتح الإسلامى لمصر، واستدلوا على صدق دعواهم بأدلة كثيرة، لكن لم يستطع أحد منهم إثبات شىء نظرا لما تقتضيه صحة الكلام عن منشأ الماسونية فى مصر^(٢٠).

على أية حال، فى كثير من الأحيان اعتبر الماسون أن ديانتهم هى الديانة المصرية وأماكن إقامتهم بمثابة المعابد المصرية القديمة، وهم أنفسهم بمثابة رجال الدين المصريين. كما رأى البعض أن عبادة إيزيس فى العصرين البطلمى والرومانى هى أكبر الدلائل على عمق النشاط الماسونى فى التاريخ البشرى، وفى محاولة لإضفاء طابع من الموضوعية، فلا بد من معرفة رؤية الماسونية لتلك العبادة، والتى سموها فى التراث الماسونى جمعية إيزيس السرية المصرية القديمة، التى يحاول الماسون بها أن يؤصلوا للماسونية، ويجعلونها اللبنة الأولى فى صرح الماسونية العالمية، فيقولون:

«أن أصل الماسونية كان من مصر، فقد كانت توجد جمعية إيزيس التى اتسمت بطابع السرية فى كل شىء، وكانت ذاتعة الصيت فى سائر أنحاء العالم، وكان يقصدها الطالبون من أنحاء شتى. لا يقبل فيها إلا من تم التحرى عنه وثبت حسن نواياه، ومن هنا ينول أسرار الجمعية (ويقصدون هنا أسرار الماسونية).»

وكان الماسون يسومون الطالب عند قبوله مشقات عظيمة تختلف بين تخويف وتهديد، حتى إذا جازها بثبات قالوا أنه تغلب على الشر فيلقنونه الأسرار، وكيفية ذلك أنهم كانوا يأتون بالطالب بعد الإقرار على قبوله فيمرون به على امتحانات شتى، ثم

يوقفونه أمام أحد الكهنة المدعو أوزير (وهو عندهم نائب الإله أوزير) جالساً على كرسى مرتفع وبإحدى يديه سوط، وبالأخرى عقافة (عصا معقوفة من أعلاها) رمزاً عن العدالة والإحسان.

يقف الطالب جزعاً من هول الموقف فيسألونه عن سيرة حياته، وكل عمله ويدققون عليه كثيراً، فإذا لم يروا في سيرته ما يمنع إتمام قبوله يسلمونه إلى قائد متنكر على رأسه غطاء كلب يسير به في أتياه من الطرق تغشاها الظلمات إلى أن يصلوا إلى مجرى من الماء فيقف به وفي يده كأس فيه ماء، ويخاطب الطالب قائلاً: أيها الراغب في مؤاخاتنا الساعى وراء السوء الأعلى، هذا هو ماء النسيان، تجرعه لينسك جميع ما مربك من الأدناس، والنقائص فتصير أهلاً لاقتبال الفضيلة، والحق والصلاح التي ستتشرف بنوالها الآن. ويشرب ثم يتقدم به إلى أماكن أشد ظلاماً وإرهاباً من ذي قبل فيزيد وجلاً، ثم ينبثق النور بغتة ويتنسم الهواء المنعش مفوحاً بالروائح العطرية ثم يسمع الترنيمات الموسيقية تضرب نغم الانتصار إشارة إلى انتصاره على تلك التجارب المهولة، ثم يلقي الأسرار المقدسة وتتلّى عليه العلوم والمعارف، ويحسب ذلك الحين في عداد سعاة الكمال، ثم يرقى في سلك تلك الجمعية بموجب دستورها (٢١).

يتضح من تلك الرواية أنها محاولة الغرض منها اصطناع تاريخ للماسونية، والرواية تتضمن أكثر من عنصر، فهناك شخصية تطلب الانضمام إلى الجمعية، معرفة ما إذا كان الشخص خيراً أو شريراً، فضلاً عن الاختبارات القاسية ثم المثل أمام الإله أو نائبه. ونفس تلك المراحل في التراث المصري القديم تمر بالمتوفى أثناء رحلته في عالم الموتى، وقد ذكرت في كتاب الموتى المصري القديم، الذي يحاسب فيه الشخص ويسأل عنه حتى يعرف ما إذا كان خيراً أو شريراً، ثم يمر باختبارات قاسية وصعبة، فإذا ما نجح فيها يمثل بين يدي الإله أوزير، ثم يرافقه ابن آوى أو أنوبيس الذي كان برأس كلب أو ابن آوى كأصل الرواية، وفي النهاية يجازى الشخص

ویدخل العالم الآخر بنعيمه (الجنة) (٢٢).

ومن ناحية أخرى، رأى أدولف إرمان (١٨٥٤-١٩٣٧) وهو أحد علماء المصريات في كتابه الديانة المصرية القديمة، أنه في أعياد إيزيس وسيرابيس كانت توجد طقوس خفية، يقال أنها كانت تكنى بطريقة رائعة عن أفكار سامية مدهشة، ولكن هل كانت تلك الأفكار مثل الحرية الإخاء والمساواة عند الفكر الماسوني؟!

أما إرمان فيرى أن الناس في روما أقبلوا على العقيدة الجديدة في حماس، حتى أنه ليبدو أنها استولت على طوائف بأكملها من الشعب، وكأنها حركة دينية عامة، وإلا لما تيسر على الأقل فهم السبب الذي من أجله انتهى الأمر بالدولة أن ترى في عبادة إيزيس خطراً عليها. واضطهد ملوك الرومان تلك الديانة، فمثلاً اضطهد تيبيريوس بعد عام ١٩ م عبادة إيزيس وصلب الكهنة ودمر معبدهم، كما ألقى تمثال الإلهة إيست في نهر التيبر (٢٣).

وذكر «رأفت عبد الحميد» في كتابه الدولة والكنيسة أنه من بين عبادات الشرق العديدة التي حظيت باهتمام كبير من جانب الرومان على المستويين الشعبي والرسمي عبادة إيزيس المصرية، ولأجيال عديدة فإن الديانات ذات الأصل الشرقي كعبادة إيزيس والأم العظيمة مثراً قد أشبعت إلى حدٍ ليس باليسير الشعور الديني عند الرومان (٢٤).

كما ذكر أن الغموض والأسرار الخفية في تلك العبادة ذات أثر في اجتذاب عدد كبير من المتعلمين والأميين على السواء إلى رواقها. أما الإلهة المصرية إيزيس فإنها عُبِدَت كأم عالمية تحب الخير للنوع الإنساني كله، وقد عُبِدَ أيضاً معها ذلك القرين سيرابيس، ولقيا انتبهاً خاصاً عند كل من التجار والملاحين الذين كانوا يبشرون بهذه العبادة في كل ميناء يحطون فيها رحالهم، وقد ساعد على انتشار عبادتها في الإمبراطورية ما انطوت عليه قصة هذه الإلهة من الحنو والرأفة، وما اختصت به طقوسها من الرقة والمرح الذي يسود هيكلها، ولترحيبها الشامل بالناس جميعاً على اختلاف أممهم وطبقاتهم (٢٥).

ثانياً، الماسونية في مصر في العصر المسيحي،

لم يقف الحد عند محاولات وضع أساسات مصرية قديمة للفكر الماسوني، وهناك لوحة جدارية معلقة على جدران كنيسة الأنبا ريوس ببطيرقية الأقباط الأرثوذكس بالعباسية بالقاهرة، وهي لوحة رسمها فنان مصري مسيحي وهو إيزاك فانوس، وكتب تحتها بالقبطية الأب باخوم أبو الديرية^(٢٦). وهي تمثل الأب باخوم^(٢٧) (٢٩٢م - ٣٤٧م) يمسك بيساره لفافة، وفي اليد اليمنى أمسك بالزاوية والفرجار^(٢٨). تثير العديد من التساؤلات، ولكن الزاوية والفرجار لم يمثلوا يوماً رموزاً مسيحية.

وللوهلة الأولى يمكن أن نحكم على صورة الأب باخوم بماسونيته، وبالتالي يمكن التدليل على وجود الماسونية في مصر في العصر البيزنطي. ومما يدعم ذلك أن الأب كيرلس^(٢٨) بطريرك الإسكندرية في الفترة (٣٨٤م - ٤١٢م) مرسوم في كنيسة العذراء في لوس أنجلوس بالولايات المتحدة الأمريكية - وهو يتكى على عامود قصير من الطراز الروماني، وهو تقليد غير متبع عند تصوير القديسين بالفن المسيحي، لكنه متبع في تصوير الأساتذة العظام في الماسونية^(٢٩). وقد يكون إيزاك فانوس وقف على التعاليم الماسونية، وقد يكون دخلها أو تأثر بها، فأخذته حماسه حتى أنه صورهما بالرموز الماسونية^(٣٠). لكن يبقى احتمال الوجود الماسوني في العصر البيزنطي بمصر قائماً حتى يظهر الدليل الوثائقي الذي يثبت أو ينفي ذلك الاحتمال.

ثالثاً، الماسونية في العصر الإسلامي،

لم يفلت العصر الإسلامي من براثن مؤرخي الماسونية، فقد رأى الماسون أن الماسونية في العهد الطولوني بمصر كانت تمارس أعمالها.

يقول «شاهين مكاريوس» في كتابه الحقائق الأصلية في تاريخ الماسونية العملية أن الماسونية ازدهرت في بغداد كثيراً خلال أيام الدولة العباسية، وأن البنائين المهرة انتقلوا إلى سوريا وبلاد العرب من الغرب بعد سقوط القياصرة وساعدوا كثيراً

بصناعتهم وعلومهم على تقدم الماسونية في بلاد العرب.

ولكن مكاريوس لم يدعم ما ذهب إليه من وجود الماسونية في العالم العربي منذ تلك الفترة المبكرة بأي دليل تاريخي أو علمي. ولعله استنتج من ازدهار العمران في بغداد وارتقاء الحضارة العباسية، وجود عدد كبير من العاملين في حرفة البناء، وبالتالي قيام الجمعيات الماسونية.

ولكن هذا الاستنتاج، لو كان صحيحاً لأشارت إليه كتب التاريخ والأدب التي لم تترك شاردة ولا واردة عن الحياة الاجتماعية في العهد العباسي. في حين أننا لا نجد إشارة إليها، ولا قرينة تدل على وجودها في أي كتاب عربي أو أجنبي.

ويقول مكاريوس أن البناية العربية دخلت إلى أسبانيا في عهد الخلفاء الأمويين، فكانت البنايات تشيد تحت مراقبة الجمعيات الماسونية، واستدعى الخلفاء الكثير من البنائين من بغداد وأحلوهم قرطبة التي بناها الرومان سنة ٢٥٢ ق.م. فأنشأوا بنايات عظيمة وبلدان كثيرة وجوامع أنيقة كلها على النمط البيزنطي. واشتهرت قرطبة في ذلك الزمان بصناعتها وعلومها وتقدم البناء فيها، فقصدها البنائون من سائر أنحاء العالم. وإذا كانت أعمال هذه الجمعية وأسرارها مجهولة، التزمت أن تحرر قليلاً من قوانينها وشرائعها قبل أن تمتد في البلاد لتوافق طبائع الأهالي وآرائهم. وكان المسلمون في ذلك العهد ذوى سطوة عظيمة، وكان تقدمهم في التمدن والحضارة عظيم لا ينزع، وانضم كثيرون منهم إلى البنائين. ولم يأت مكاريوس بأي مصدر علمي تاريخي يثبت هذا الكلام.

* * *

أما في مصر، فقد حاول البعض إيجاد أصل للماسونية في أيام الدولة الطولونية، وسوف أقتبس من رسالتي للماجستير بعض المعلومات التي يمكن أن توضح الصورة، فقد ذكر فولكف أن (ابن طولون) حين شرع في بناء جامع واجهته مشكلة تدبير ثلاثمائة عامود من الرخام كانت ضرورية لحمل عقود الجامع^(٣١)،

وكان لابن طولون مهندس مسيحي قبطي، وربما عرض عليه أنه يستطيع بناء الجامع دون عمد عدا عمودي المحراب فقط. ولقد ذهب لينبول إلى أن مهندس جامع ابن طولون كان مسيحياً وقبطياً من غير شك، ويشير إلى أن المقریزی قد أطلق على هذا المهندس (النصراني) (٣٢).

من المرجح أن أحمد ابن طولون، ونشأته في مدينة سامرا (سر من رأى) بالعراق قد جعلته يفضل النمط المعماري الذي كان سائداً في وطنه، فاقتبس من تلك الزاخرة الآشورية شكل مئذنته، باقتباس أشكالها في بلاده مع استخدام نفس المواد وتقليد الدعائم المئمة الأضلاع، ومن ثم كانت استعانه بالكثير من الفنانين العراقيين تعتبر من الضرورات الملحة (٣٣).

ولما وجد التشابه بين عمارة الجامع الطولوني وبعض نواحي العمارة المسيحية في تلك الفترة، اعتقدوا أن البناء المسيحي المستخدم في بناء الجامع كان هو السبب في إخراج الجامع بهذا الشكل الفريد، خاصة وأن عمارته تختلف عن أسلوب بناء الجوامع المصرية.

ويجب التساؤل عن الضرورة التي تجبر الوالي على الاستعانة بذلك المسجون، وقد كانت مصر آنذاك مستنيرة بالتمدين الإسلامي، وفيها الكثير من الصنائع والعلوم، وأن إشراك مصريين في العمارة الإسلامية سوف يخرج نوع من العمارة الإسلامية الممتزج بالفن المصري الذي لا زال حتى تلك الفترة متأثراً كلياً بالفن المصري في العصر المسيحي. بالإضافة إلى تأثر ابن طولون ببيئته التي نشأ فيها بالعراق، والتي كانت تستخدم ألوان من العمارة القديمة البابلية والآشورية، تلك العمارة التي تتشابه كثيراً مع العمارة والفن المسيحي، نظراً للارتباط التاريخي بين المسيحية وتلك البلاد.

ومن هنا تتكشف أمامنا حقيقة أن اكتشاف مدينة السامرا، ونمطها المعماري يوضح الكثير من الأمور الغامضة أمام الباحثين، مما يعتبر حداً فاصلاً أمام مزاعم البعض أن العمارة الطولونية في مصر ذات طابع غريب، بسبب وجود ذلك المعماري

المسيحي بين صفوف معمارى مدينته.

وقد أدى ذلك بجورجى زيدان وغيره إلى ترجيح أن هناك نوعاً من الماسونية العملية فى مصر كانت فى ذلك العصر لوجود البناء المسيحى الذى استعان به ابن طولون فى بناء جامعہ فى القطائع. خاصة وأن التقاء خطوط الزخارف فى منافذ الجامع تشكل بصورة قريبة الشبه الرمز الماسونى (الزاوية والفرجار)^(٣٤) ولكن من المعروف أن تلك النوافذ التى يشير إليها زيدان هى من الزيادات التى زيدت على الجامع الطولونى فى العصر المملوكى. ولم يقدم زيدان الدليل على ماسونية ذلك المسيحى المصرى، وكل ما لدى الماسونية أنه كان يشتغل بالبناء، وهل كل من يشتغل بالبناء من الماسون؟ ولو سلمنا بذلك فالنتيجة هى أن كل من بنوا صروحاً لهم من الماسون، وهذا يبتعد عن المنطق بكثير.

ومن ناحية أخرى أكد «سعيد الجزائرى» أن الماسونية كانت محصورة لدى بعض الأفراد مستكنة فى ضمايرهم لا يكشفون بها أحداً، ومن وجهة نظره أن جماعة البنائين الأحرار كانوا قد انتشروا فى المشرق فى ذلك العصر، ومنهم باني جامع ابن طولون^(٣٥).

وعرض قاسم عبده قاسم فى كتابه عن اليهود فى مصر ما ذكره الكندى وابن دقماق، أن ابن طولون حين أراد بناء الميدان فى عاصمته القطائع قد أمر بتدمير قبور اليهود والنصارى فى هذا المكان^(٣٦)، فكيف يمكن لمسيحي ينتهج الحاكم مثل هذا النهج تجاه عشيرته أن يعرض على ابن طولون أن يبنى له المسجد على النحو الذى يرتضيه.

رابعاً، شبائى تسيفى ومرحلة مصرية،

وثمة رواية أخرى ذكرها «محمد على قطب» تؤدى بالماسون إلى ترجيح أن الماسونية كانت موجودة فى مصر، وهى عن يهودى يدعى «شبائى تسيفى» الذى ولد فى إزمير سنة ١٦٢٦ من أبوين مهاجرين من إسبانيا^(٣٧).

أصبح أستاذا للقبالة، وزعم أن سنة خلاص بنى إسرائيل هي سنة ١٦٤٧، وطارده رؤساء الدين اليهودي في إزمير لتطاوله على المسيح، فهرب إلى استانبول وتعرف على شخص في أدرنة يدعى إبراهيم باكينى ساعده في نشر دعوته. ولقد تسبب في إشاعة بقرب ظهور المهدي المنتظر انتشرت في أوساط المسلمين، وخرج إلى القدس ثم إلى القاهرة. وفي القاهرة تعرف على اليهودي روفائيل جلبى مدير الخزانة المصرية ورئيس الطائفة اليهودية بمصر، الذى آمن بشباتاي وأغدق عليه الأموال (٣٨).

وجرؤ شباتاي على إعلان أيديولوجيته علناً، وقسم فيها العالم إلى ثمان وثلاثين منطقة، وعين لكل منطقة حاكماً، وهذا التقسيم هو فى الحقيقة تقسيم الماسونية للعالم (٣٩). وقد يكون شباتاي جسراً للتعاون الماسونى وتبادل الأفكار الماسونية. وإذا كان شباتاي ماسونياً، فإنه ليس من المستبعد أن يكون قد بذر بذورها الأولى فى مصر وفلسطين أثناء رحلة هروبه إليهما. وسيظل دائماً السؤال مطروحاً، هل كانت هناك بعض الأفكار الماسونية تتناثر بين المصريين سواء كانوا يهوداً أو مسلمين أو مسيحيين أو أجانب فى المنطقة العربية ١٢

* * *

وهكذا نخلص من كل ما سبق بفكرة، وهى أن التدقيق العلمى لتلك الآراء يؤدى إلى ترجيح أن أصول الماسونية لا ترجع إلى مصدر واحد، فلعلها قد اشتقت من جميع المصادر والنظريات والشخصيات المذكورة، فقد تكون النظم المادية قد اشتقت من الجمعيات الرومانية والبيزنطية وجماعة البناءين فى العصور القديمة فى مصر والعراق وسوريا وفلسطين، خاصة وأن الشام ومصر كانتا تستقبلان كل يوم من كافة الأجناس من كل الألوان والأشكال، ويخرج منهما إلى كل موانئ العالم أفكار ومعتقدات ومبادئ فلسفية من تعاليم الكنيسة وشيوخ المسلمين والجمعيات السرية السياسية والثقافية.

هوامش الفصل الثالث

(١) عبد السميع الهرأوى، الصهيونية (١٩٧٧: ١٠١)؛ حسين اللاز؛ أحمد مختار نجا، كيف أنشئ المحفل الأكبر الوطنى السورى اللبناى (بيروت: ١٩٤٦)، ٢٨ .

(٢) مارتن برنال، أثينا (١٩٩٧: ٣٠٧) .

(3) Chr., Vol. I (London: 1880), 148; Oliver, E., Dictionary of Symbolic Freemasonry, Vol. I (London: 1853), 20.

(٤) مارتن برنال، أثينا (١٩٩٧: ٣٠٧) .

(٥) فى مقال للأستاذ سعيد عبد الفتاح عاشور، ذكر أن العلوم الدينية فى عصور الإيمان - تلك التى تغلب الدين عليها رجالها - اقتصرت على ما عرف بالفنون السبعة الحرة Seven Liberal Arts، وهى تنقسم إلى مجموعتين، الأولى ثلاثية شملت النحو والبلاغة والجدل، والثانية رباعية شملت الموسيقى والحساب والهندسة والفلك، وكانت المعلومات التى احتوتها تلك الفنون تتصف بمظاهر دينية كنسية. فالهدف من النحو والبلاغة والجدل هو تمكين رجال الدين من إلقاء مواعظهم على وجه سليم وإقناع الناس بما تبثه الكنيسة من آراء، فى حين كانت الموسيقى دينية تخدم التراتيل الكنسية، والحساب لحسابات الكنيسة ودخلها ومصروفاتها، والفلك لمعرفة مواقيت الأعياد الدينية، وكانت جميع تلك الفنون ذات أصول رومانية؛ سعيد عبد الفتاح عاشور، الطب الإسلامى فى الجامعات الأوربية فى فجر عصر النهضة، أنظر:

<http://www.islamset.com/arabic/aislam/civil/civil1/saed.html>.

(٦) محمد زكى الدين قاسم، الإسلام والمؤامرات (١٩٩٠: ٣-٣٢)؛ وائل إبراهيم الدسوقي، الماسونية (٢٠٠٥: ١٨٤، ١٨٥) .

(٧) حيرام أبيف جزء من أسطورة ماسونية وجدت فى القرن السادس عشر، وإزاء ما كان مفترضا من أن الرجل قتل بعد إتمامه بناء الهيكل، فمن المؤكد أنه فى الوقت الذى أعيد فيه إنشاء الجماعة الماسونية فى بداية القرن الثامن عشر كان حيرام قد أصبح رمزا رئيسيا من طراز الإله أوزير. وذكر برنال أن حيرام ذكر فى الترجمة الخاصة بالكتاب المقدس التى ترجمها كفيرديل Coverdell فى أربعينيات القرن السادس عشر، ولم يظهر فى الترجمة الخاصة ببواكير القرن الثامن عشر فى عهد الملك جيمس؛ برنال (٢٠٠٥: ٦٦٥) .

(٨) تبديد الظلام أو أصل الماسونية مجهول المؤلف، تعريب: عوض الخوري (بيروت: مطبعة الاجتهاد، ١٩٢٩)، ١٠٢، ١٠٣ .

(٩) أسعد السحمراني، الماسونية (١٩٩٢: ٣٢) .

(١٠) عبد الجبار الزيدى، الماسونية تحت الأضواء (بيروت: مؤسسة الريان، ١٩٩١)، ١٦، ١٧ .

(١١) نجدة فتحي صفوت، الماسونية (١٩٨٠: ١٣) .

(12) Hiram Abif (1998) : www.Grandlodgeoflibanon.org/hiram.html.

(١٣) كما ذكرنا في حاشية (٧) أن اسم حيرام أبيف لم يذكر في العهد القديم سوى مرة واحدة، ومن المعروف أن أصل أبيف نفسه مجهول، وهناك تخمينات تقبل بعض الاستحسان بأنه ترجمة عبرية لكلمة (هورام أبى) وتعنى ابن حيرام، وفي كل الأحوال وحسب نصوص التوراة كان حيرام من صمم الهيكل ولكن لم يبدأ في الإنشاء؛ أنظر:

Thomas, P.E. (1990), The Origin and fate of The Temples at Jerusalem, 965BC, www.Freemasonry.com/jerusalem.html, 1999; And: Hiram Abif 958 BC, www.templar.org /milititempliscotia.html .

(١٤) نجدة فتحي صفوت، الماسونية (١٩٨٠: ١٣) .

(١٥) المجموعة الأولى من مخطوطات قمران التي اكتشفها محمد حماد ومحمد الذيب هربت عن طريق رجل دين، وتجمعت لدى الأثرى والسياسى الإسرائيلى إيغال يدين . لكن المخطوطات التي تم كشفها عن طريق دائرة الآثار الأردنية وضعت في المتحف الفلسطيني بالقدس المعروف باسم متحف روكفلر، وبعد الاحتلال عام ١٩٦٧ ، نقلت المخطوطات وآثار أخرى هامة إلى متحف الكتاب في القدس الغربية، علما بأن متحف روكفلر في القدس الشرقية تحت سيطرة الاحتلال أيضا . وما زالت المخطوطات حتى الآن ماثار جدل واسع، يبرز بين كل سنة وأخرى، خصوصا أن حكومات إسرائيل المتعاقبة متهمة من قبل البعض بعرقلة الكشف بشكل كامل عن مضمونها . وفي حين اعتبر بعض الباحثين ذلك، محاولة لإخفاء حقائق جديدة عن فترة نزول الكتاب المقدس والديانة المسيحية والتاريخ اليهودى في فلسطين، كان باحثون إسرائيليون يبررون ذلك بأن العمل في المخطوطات لم ينته بعد، أو يكتفون بالإشارة إلى ما نشره إيغال يادين من أجزاء منها، بعد أن تجمع لديه القسم الأعظم المعروف من المخطوطات، بعد احتلال ما تبقى من الأراضي الفلسطينية عام ١٩٦٧ . وفي حين تؤكد معلومات أن المخطوطات أو صورها عنها

موجودة في إسرائيل والأردن وجامعات أميركية، يُعتقد أن الحديث يدور عن عدد كبير من المخطوطات موجود في هذه البلدان وربما غيرها أيضا، خاصة بعد أن نشط بدو التعامرة في البحث عن وثائق جديدة، بعد انتشار قصة محمد الذيب ومحمد حماد. التي تعتبر أهم كشف أثرى من شأنه أن يعيد النظر في تاريخ البشرية المعروف، أو على الأقل في ما يتعلق ما يعرف الآن بالشرق العربي؛ أنظر للاستزادة: جريدة الشرق الأوسط، القصة الكاملة والمثير لاكتشاف مخطوطات البحر الميت (العدد ٩٧٦٧، ٢٥ أغسطس ٢٠٠٥)؛ أيضا توجد دراسات كاملة عن تلك المخطوطات ومنها: أسد رستم، مخطوطات البحر الميت وجماعة قمران، ط٢ (لبنان: المكتبة البولسية، ١٩٩٠)؛ إلا أن أهم تلك الأعمال على الإطلاق ما كتبه الكاتبة باربرا تيرينج عن تلك المخطوطات، وهي دراسة علمية متقنة تعرض فيها الكاتبة في أكثر من ٦٠٠ صفحة لكل ما استطاعت أن تستشفه من تلك المخطوطات ومقارنتها بالكتب المقدسة واكتشافات رجال الدين والمؤرخين؛ أنظر:

Thiering, B., Jesus The Man "Decoding The Real Story of Jesus and Mary Magdalene" (London: 1993).

(٦) حكمت المر، أسرار الماسونية، ط١ (دار الكاتب العربي: ١٩٩٢)، ٢٩-٣٤.

(١٧) دان براون، شفرة دافنشي (رواية)، ترجمة: سمة محمد عبد ربه، ط١ (بيروت: الدار العربية للعلوم، ٢٠٠٤)؛ أيضا: مجلة الصبار اللبنانية، رواية شفرة دافنشي مملوكة في لبنان (عدد ١٧٩، أكتوبر ٢٠٠٤)؛ وللاستزادة: طارق ديلواني، شفرة دافنشي ووثنية المسيحية، موقع إسلام أون لاين: في ٧ مارس ٢٠٠٥؛ أيضا يتضح التشابه بين رموز فرسان <http://www.islamonline.net> الهيكل والسيونية والماسونية في:

Fanthorpe, L., Fanthorpe, P., Secrets of Rennes Le Chateau (U.S.A: Weiser Books, 1992), 55- 73; Chazan, R., European Jewry and First Crusade (Univ. of California Press: 1987); More Info. See: Young, J.K., Sacred Sites of the Knights Templar: Ancient Astronomer and Freemasons at Stonehenge, Rennes Le Chateau and Santiago De Compostela (Canada: Fair Winds Press, 2003); Martinez, L.O., El Priorato De Sion, The Priory Of Sion (Obelisco: 2004).

- (١٨) وائل الدسوقي، الماسونية (٢٠٠٥: ٢٤٩، ٢٥٠)؛ أيضا: الموسوعة العبرية: ٨٧٧ .
- (١٩) سعيد الجزائري، الماسونية ماضيها وحاضرها لغاية عام ٢٠٠٠ ط٢ (بيروت: دار الجيل، ١٩٩٢)، ٣٢٥ .

(٢٠) يرجح أن الماسونية جاءت إلى المشرق من الغرب على أثر الاضطهاد الديني، وكان لمصر حظ وافر منها. وكانت لا تزال عملية، وغايتها الأولى إقامة المباني والقلاع والأسوار والكاتدرائيات، ويقال أن الحكومة المصرية عهدت في عهد الخلفاء إلى فئات من البنائين الأحرار هندسة وبناء الكثير من الجوامع والقلاع والأسوار، ويدللون بأنه في عهد أحمد بن طولون في أواسط القرن الثالث للهجرة عهد إلى أحدهم هندسة جامع ابن طولون الذي لا يزال قائما إلى الآن في مصر ويرون أنه بناء حرا مسيحيا؛ راجع: سعيد الجزائري، الماسونية (١٩٩٢: ٣٢٦)؛ شاهين مكاريوس، الآداب الماسونية (١٩٩٤: ٥٢٥) .

(٢١) المجلة الماسونية (عدد ١٠، نوفمبر ١٩٢٠، السنة ١)، ١٢؛ أيضا عن عبادة إيزيس وعلاقتها بالرموز الماسونية، أنظر:

La Couture, J., Champelion, Une Vie de Lumières (Paris: Bernard Grasset, 1988), 15.

(٢٢) لقد كتبت كثير من المؤلفات عن عقيدة المصري القديم في رحلة المتوفى بالعالم الآخر، ويتضح فيها مدى التشابه مع عمليات تكريس الماسون داخل محافلهم، وهي التي يكتنفها حتى الآن الكثير من الغموض؛ للاستزادة: إريك هورنونج، وادي الملوك أفق الأبدية، ترجمة: محمد العزب موسى (القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٩٩٦)، ٢٥٥-٢٥٩؛ محرم كمال، تاريخ الفن المصري (القاهرة: سلسلة صفحات من تاريخ مصر الفرعونية، مكتبة مدبولي، ١٩٩١)، ١١٠، ١١١؛ أيضا:

Lichthim, M., Ancient Egyptian Literature, The old and middle Kingdoms, Vol. I (London: w.d), 30- 51.

(٢٣) أدولف إرمان، ديانة مصر القديمة، ترجمة: عبد المنعم أبو بكر، محمد أنور شكرى (القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٩٩٥)، ٤٦٧-٤٨٩ .

(٢٤) رافت عبد الحميد، الدولة والكنيسة، ج ١، قسطنطين (القاهرة: ١٩٧٥)، ١٨، ١٩ .

(٢٥) نفسه: ٢٢ وللمزيد عن عبادة إيسث المصرية أنظر:

Witt, R.E., Isis in the Graeco-Roman World (London: 1971).

(٢٦) وائل إبراهيم الدسوقي، الماسونية في مصر (٢٠٠٥: ٣١)؛ أيضاً:

Ashraf, S.; Bernadette, S., L' Incarnation de la Lumière, Le Renouveau Iconographique Copte à travers l' uvre de Isaac Fanous, (Le Monde Copte 29- 31, Limoges, Décembre: 2000), 356, 357.

(٢٧) عن الأب باخوم Pacôme أنظر: ج. م. هسي، العالم البيزنطي، ترجمة: رأفت عبد الحميد (القاهرة: مؤسسة عين للدراسات، ١٩٩٧)، ٢٣٩؛ وائل إبراهيم الدسوقي، الماسونية في مصر (٢٠٠٥: ٣١).

(٢٨) عن الأب كيرلس السكندري Cyrille d' Alexandrie أنظر: رأفت عبد الحميد، الفكر المصري في العصر المسيحي، ط٢ (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٠)، ٢٩٠، ٢٩١؛ وائل إبراهيم الدسوقي، الماسونية في مصر (٢٠٠٥: ٣١).

(٢٩) أنظر وصف اللوحة في:

Ashraf; Bernadette, L' Incarnation (2000: 346, 347).

(٣٠) ذكر الأب باخوم دون أن يذكر له أية ألقاب ماسونية، ولا حتى إشارات على ماسونيته في؛ مجلة المشرق (عدد ٥، السنة ٢٢: ١٩٢٤).

(٣١) وائل إبراهيم الدسوقي، الماسونية في مصر (٢٠٠٥: ٣٢)؛ أولج فولكف، القاهرة مدينة ألف ليلة وليلة، ترجمة: أحمد صليحة، الألف كتاب الثاني رقم ١٢ (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ت)، ٣٤.

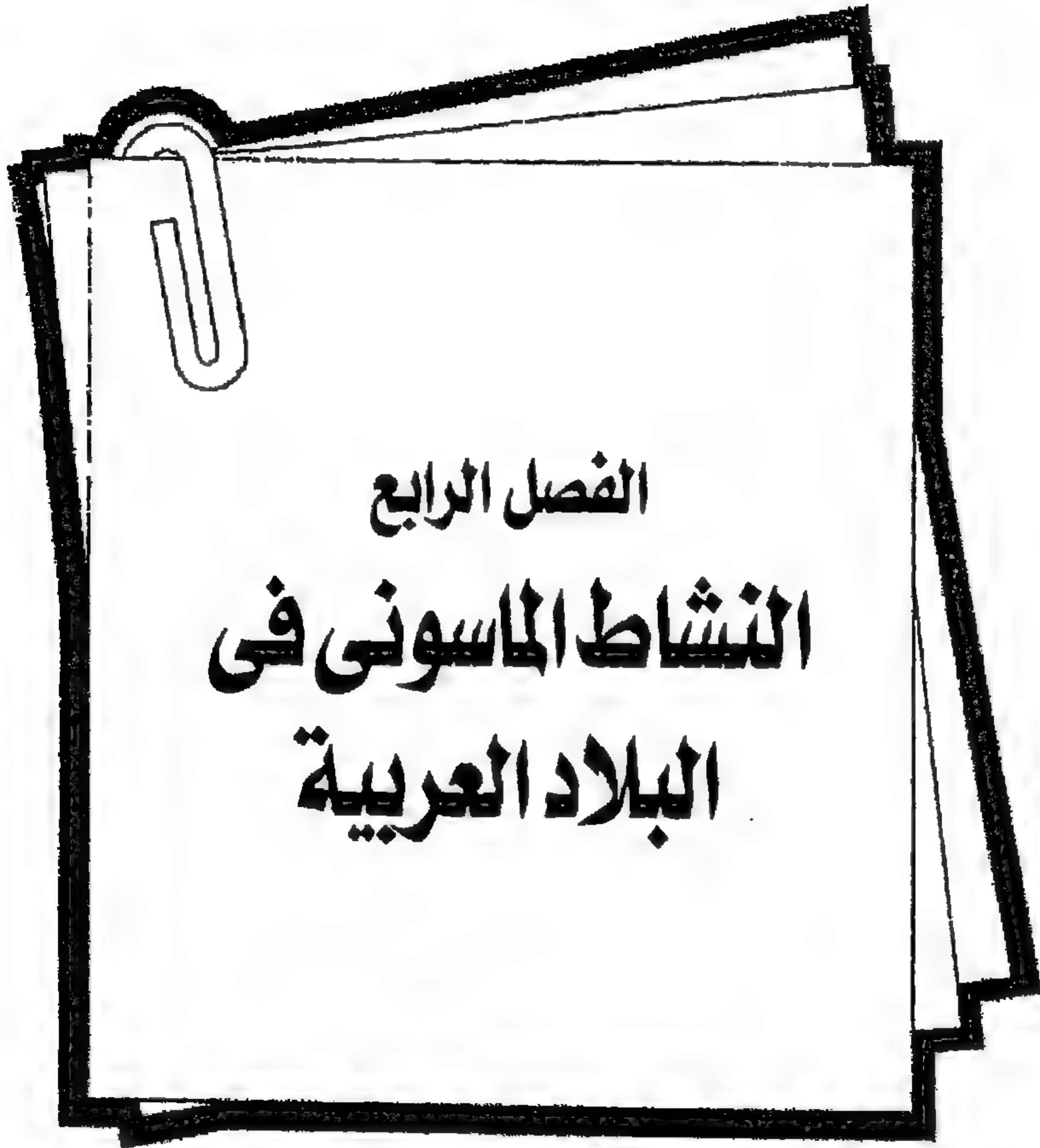
(٣٢) ستانلي لينبول، سيرة القاهرة، ترجمة: حسن إبراهيم حسن، على إبراهيم حسن، إدوار حلیم (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٧)، ٨٥.

(٣٣) أولج فولكف، القاهرة (القاهرة: ٣٤)؛ محمد الحسيني عبد العزيز، الحضارة في الدولة الإسلامية، (الكويت: وكالة المطبوعات، ١٩٨٦)، ١٠٦، ١٣٩؛ ستانلي لينبول، سيرة القاهرة (١٩٩٧: ٨٨، ٨٦).

(٣٤) وائل إبراهيم الدسوقي، الماسونية (٢٠٠٥: شكل ١١، ٣٤٦).

(٣٥) سعيد الجزائري، الماسونية (١٩٩٢: ٣٢٦).

- (٣٦) قاسم عبده قاسم، اليهود في مصر (القاهرة: دار الشروق، ١٩٩٣)، ١٣٥ .
- (٣٧) محمد على قطب، يهود الدونمة في تركيا (القاهرة: الدار الثقافية للنشر، ٢٠٠٢)، ٩، ١٠، عبد الوهاب المسيري، الجماعات الوظيفية اليهودية نموذج تفسيرى جديد، ط١ (القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٢)، ٣٤١ .
- (٣٨) أنظر للاستزادة: وائل إبراهيم الدسوقي، الماسونية في مصر (٢٠٠٥: ٣٤-٣٦)، محمد عبد الحميد، يهود الدونمة، مجلة العربي (الكويت: عدد ٢٥٥، فبراير ١٩٨٠)، عبد القادر القادري، الدونمة، مجلة دعوة الحق (الرباط: عدد يناير ١٩٥٩)، مصطفى طوران، يهود الدونمة، ترجمة: كمال خوجة (القاهرة: مجلة المختار الإسلامى، ١٩٧٩) .
- (٣٩) محمد على قطب، الدونمة (٢٠٠٢: ٩-٢٢) .



الفصل الرابع
النشاط الماسونى فى
البلاد العربية

لم يختلف وضع الماسونية في البلاد العربية من حيث التنظيم عن واقعها في أوروبا أو أمريكا. لكن حقيقة أن الماسونية غير مؤرخة إلا من قبل الماسون تجعل من الصعوبة على غير الماسون معالجة موضوعاتها. لأن الجميع يخافون منها ومن ردود أفعال الماسونية. وقد علق في أذهان الناس بأنها غير مرغوبة ومجهولة الأصول وأسرارها مرعبة وإلى ما هناك من تخيلات لا تمت إلى الحقيقة بصلة.

ومع ذلك فالماسونية ليست بريئة عن إطلاق هذه التخيلات للجم الطامعين في الدخول إليها وكى يتم اختيارهم بدقة خدمة للفكر الماسوني وخدمة لمصالح الماسونية والماسون.

والبلاد العربية أرض خصبة مضيافة واسعة القلب والروح. استقبلت الماسونية الرمزية العامة منذ القرن الثامن عشر. لذا لا يمكن اعتبارها تأخرت عن ركوب هذا التيار. كما لا يمكن إهمال دور البعثات الغربية الماسونية، أو البعثات الدبلوماسية أو الاحتلال الفرنسي لمصر ثم البريطانى... فى الترويج للفكر الماسونى ولقيام المحافل، ليس فى مصر وحدها بل فى العالم العربى كله. وللأسف فإن المعلومات عن الماسونية فى العالم العربى قليلة جدا وتعتمد على شذرات توجد فى كتابات المعاصرين، والمجلات الماسونية وأرشفات الحكومات العربية، إلا أن الاعتماد على الأخيرة أمر صعب لأن الحكومات العربية حتى الآن تحرم على الباحثين الإطلاع على وثائق الماسونية إلا فيما ندر وظروف خاصة بتصاريح خاصة تخدم البحث العلمى فقط.

وفى الوقت الذى اكتشفت فيه البلاد العربية مدى التورط الماسونى فى الصهيونية، واجهت بعض الحكومات المسألة بعنف زائد، فأحرقت ودمرت وثائق الماسونية وآثارها، مع العلم أن وثائقهم كانت ستكشف غموض الكثير من المسائل التى يكتنفها الغموض حتى وقتنا الحاضر، وفى بعض الدول العربية لا نجد عن تاريخ المحافل الماسونية فيها شيئا نظرا لاختفاء الوثائق التى تدل على وجود الماسونية فيها.

وقد انتشرت المحافل الماسونية طوال القرن التاسع عشر والعشرين في مصر وسوريا ولبنان وفلسطين والعراق ودول الخليج والمغرب وتونس والجزائر والسودان. وكانت تستظل كما علمنا بمظلة الاستعمار وحماية الدول الأجنبية.

الماسونية في مصر:

في التاريخ المصري الحديث أسماء كثيرة انضمت إلى الماسونية، كان أبرزهم جمال الدين الأفغانى - محمد عبده - محمد فريد - إبراهيم ناصف الوردانى - سعد زغلول - عبد الله النديم - الخديو توفيق - الأمير عبد الحليم - الأمير عمر طوسون - الأمير محمد على - سيد قطب - أحمد ماهر باشا - إدريس راغب - بطرس غالى - محمود فهمى النقراشى - مصطفى السباعى - عبد الخالق ثروت - فؤاد أباطة - خليل مطران - إسماعيل صبرى - حفى ناصف - حسين شفيق المصرى، ومن الفنانين يوسف وهبى - كمال الشناوى - محمود الميلى - زكى طليمات - أحمد مظهر^(١).

وقيل عن انضمام الرئيسين جمال عبد الناصر وأنور السادات^(٢)، وغيرهم من زعماء ووجهاء المجتمع المصرى الذين كان لهم دور فى نهضة مصر السياسية والاقتصادية والفكرية من أمثال أحمد لطفى السيد - قاسم أمين - طه حسين، وغيرهم من قادة الفكر والأدب والسياسة.

والماسونية دخلت مصر فى تاريخها الحديث فى وقت مبكر، ومع أنه لا توجد شواهد دقيقة تقطع بأن الماسونية فى مصر قد بدأت بتاريخ يسبق الحملة الفرنسية على مصر.

على أية حال ذكر جورجى زيدان أن نابليون بونابرت حين دخل مصر، ووصل إلى القاهرة أوعز للجنترال كليبر باختيار بعض الضباط من الماسون للعمل على تأسيس محفل لهم يجتمعون فيه ويمارسون نشاطهم، فأسس كليبر المحفل فى مدينة القاهرة فى أغسطس ١٧٩٨^(٣). وكان المحفل يحمل اسم محفل (إيزيس)، وكانت

عناصر من اليهود وسط صفوفه وربما من المصريين أنفسهم، وأرجعوا اسمه إلى الطقوس الغامضة لكهنة إيست أخت وزوجة أوسير.

وعلى الرغم من أن كافة الكتابات عن الماسونية في مصر ذكرت مسألة إنشاء المحفل الفرنسي في مصر، لكن لا نشرات الفرنسيين في مصر ولا صحفهم في فترة الحملة ذكرت شيئاً عن ذلك المحفل من قريب أو بعيد^(٤). ويرجح أن يكون سبب تسمية المحفل باسم محفل (إيزيس) أنهم ربما اتبعوا الطريقة الممفيسية^(٥) في المحفل. وحينما خرج الفرنسيون من مصر انتهت أعمال المحفل الماسوني.

على أية حال ذكرت مجلة المقتطف أن صلة مصر بالماسونية استمرت حتى عام ١٨٣٠ وهو العام الذي أنشأ فيه جمع من الإيطاليين محفلاً في الإسكندرية على الطريقة الاسكتلندية^(٦).

وعن ظهور الطريقة الممفيسية في مصر بعد رحيل الحملة الفرنسية عن مصر، فقد حدد «عبد المجيد يونس» أستاذ أعظم المحفل الأكبر الوطني المصري في تقريره عن أعمال المحفل الأكبر الوطني المصري لعام ١٩٢٨ مصير محفل (إيزيس) بعد انتهاء أعماله في القاهرة برحيل بونابرت، فذكر أن أحد المصريين ويدعى صموئيل حنس Samuaïel Honnis كان ميالاً إلى المبادئ الماسونية ومغرماً بها، فسافر إلى فرنسا في عام ١٨١٤، وأنشأ في مدينة مونتبان محفلاً على الطريقة الممفيسية بتاريخ ١٣ أبريل عام ١٨١٥ بمساعدة اللبناني جبرائيل متى وهو مقيم في فرنسا والفرنسي دومر كونيس والبارون دumas والماركيز دي لاروك وهيبوليت لابرونييه والأديب ماركوني.

وقد سمي هذا المحفل (تلامذة ممفيس)، وفي ٢٣ مايو من تلك السنة كرس المحفل رسمياً^(٧). وعندما ازداد عدد أنصار الماسونية الممفيسية أسسوا محفلاً أعظم لكهنة ممفيس مقره باريس^(٨).

وقد اصطبغت الماسونية في مصر منذ بدايتها بصبغة أجنبية، وتعتبر المحافل

الماسونية الفرنسية من أقدم المحافل الماسونية في مصر في عصرها الحديث، ففي عام ١٨٣٦ أصدر المجلس الأعلى لمحفل ممفيس في فرنسا تفويضا كاملا لإنشاء مجلس ماسوني إقليمي أكبر لمصر بلغ عدد محافله تحت السلطة الإيطالية عشرات المحافل التي عملت في انسجام كامل مع المشرق الأعظم الفرنسي^(٩).

وكان أشهر محفل فرنسي تم تأسيسه هو محفل (الأهرام) في عام ١٨٤٥، وقد انضم إليه الكثير من الماسون من جميع الطوائف^(١٠).

ويعتبر أشهر من دخلوا محفل الأهرام الإيطالي سالفاتوري أفينتوري زولا الذي أصبح أستاذا أعظما للمشرق الأعظم والمحفل الأكبر المصري فيما بعد، وقد أسس زولا المحفل الإيطالي التابع للمحفل الأكبر الإسكتلندي في الإسكندرية عام ١٨٤٩^(١١).

وختم زولا حياته حاملا على الماسونية مشهرا بها لتفشي الخلافات بينه وبين الماسون فحكمت عليه الماسونية الإيطالية بالطرد، وحكم عليه المشرق الأعظم الممفيسي الذي رأسه بشطب اسمه، وعدم ذكره أبدا واعتباره كأنه مات قتيلا فخلفه في منصبه الماسوني الإيطالي «ديونيس ايكونو موبولو»^(١٢).

وفي تقرير مرفوع من المحفل الأكبر الوطني المصري إلى الملك فؤاد في ١٣ مارس ١٩٣٣، ذكر وجود ٤٨ محفل تابع للمشرق الفرنسي بمصر، وأن أعمالها تقوم على الدستور الماسوني الفرنسي دون غيره وتنتشر بطول القطر المصري تعمل على نشر الماسونية في ربوع البلاد المصرية دون كلل^(١٣).

لقد كان للماسونية الإيطالية نصيب كبير من تاريخ الماسونية في مصر، فكانوا سباقين في تأسيس المحافل الماسونية. وفي عام ١٨٣٠ وفد إلى مصر بعض الماسون الإيطاليين^(١٤) وأسسوا في شرق مدينة الإسكندرية محفلا جعلوا يجتمعون به، إلا أنهم لم يعلنوا ماسونيتهم خوفا من الاضطهاد، وما زالوا مواظبين على الطقوس الماسونية حتى كثر عددهم وانتشروا في أنحاء مصر، وانتسب إليهم العديد من وجهاء البلاد فاشتد أثرهم ونشطوا للعمل^(١٥).

نسب البعض بداية النشاط الماسوني الإيطالي في مصر إلى محفل إيطالي تأسس في عام ١٨٤٩ على الطريقة الإسكتلندية، ورعاه المجلس السامي الإيطالي بشرق روما^(١٦). ويؤكد تأسيس ذلك المحفل الإيطالي «شاهين مكاريوس» لكنه لا يقدم له ترتيباً^(١٧).

وفي عام ١٨٥٦ أرسل المحفل الممفيسي من فرنسا مندوباً عنه مزوداً بتفويض رسمي ليقوم في الإسكندرية شرقاً وإيطاليا على الطريقة الممفيسية، وفوضه أن ينشئ محافل فرعية تحت رعايته فتم له ذلك. وأسس في عام ١٨٥٩ محافل أخرى تحت وصاية المحفل الأعظم الممفيسي الفرنسي^(١٨)، منها محافل (كايو جراكو - نوبا بمباي) بشرق الإسكندرية و(الكوكب الإسكندري - شنشانتو) في وسط الإسكندرية، ثم نقل المحفل الأعظم الممفيسي نشاطه إلى القاهرة، فأنشأ تحت رعايته عدة محافل منها (أهرام منف - الكون - النيلو - مصر الجديدة - الأبولسك - الجمال - ماتزيني) بالقاهرة^(١٩)، وغيرهم من المحافل التي كانت جميعها في وفاق تام مع المحفل الرئيسي ومحفل الأهرام. ثم وسع المحفل الممفيسي الفرنسي نشاطه وافتتح محافل إضافية في بور سعيد والسويس والإسماعيلية^(٢٠).

كما تأسس (المجلس الأعلى الإيطالي) في الإسكندرية، وكان يشغل بالدرجات العليا حتى الدرجة ٣٣ في عام ١٨٦٤ بتفويض مباشر من المحفل الأعظم الإيطالي.

ومن أشهر رجالات الماسونية الإيطالية في مصر «نجيب عازوري» الذي أسس محفلاً يخدم الأهداف التحررية في إيطاليا متأثراً بالحركة القومية الإيطالية، أيضاً «إبراهيم لقلوفة» ذو الأصل الشامي من صيدا، ومؤسس محفل (مصر الجديدة)، وقد انتخب رئيساً لمحفل (الألوسك)، ونال الدرجة ٣٣ من الشرق الأعظم الإيطالي ودرجة العقد الملوكي^(٢١).

وكان لإنجلترا نصيب في الماسونية المصرية، وقد تأسس أول محفل إنجليزي في مصر في عام ١٨٦٠ وكان مقره فندق السويس، وعرف باسم محفل (الشرق رقم

(٤٧٢)، وكان مسجلا ومتحدا مع المحفل الأكبر الإنجليزي في إنجلترا وتبع المحفل الأكبر الإسكتلندي الذي انضم له في أغسطس عام ١٨٦٧، ومن المحتمل أن يكون قد أصابه بعض الإهمال لبعض الوقت. ولقد نشط المحفل في عام ١٨٨١، وكان ذلك العام هو قمة النشاط الماسوني الإنجليزي في مصر، وبعد أن كان الإنجليز يعملون في محافل أجنبية منذ عام ١٨٦٢ وحتى ١٨٧١ أصبح لهم محافلهم الإنجليزية الخاصة بهم، فشكّلوا ثمانية محافل تعمل تحت لواء المحفل الإقليمي المتحد لإنجلترا ومصر، التي كانت جزءا من الدولة العثمانية، والتي كانت تابعة لنطاق تفتيش أستاذ أعظم تركيا السير «هنري بولوير»^(٢٢) والبارون «داليج بولوير»، ومنها محفل (جريسا رقم ١١٠٥) في عام ١٨٦٦ م ومحفل (بولوير رقم ١٠٦٨) في القاهرة، ومحفل (هيد كلارك رقم ١٠٨٢) في عام ١٨٦٩^(٢٣).

وتذكر «حكمت المر» أن الماسونية الإنجليزية لم تدخل مصر قبل عام ١٨٦٧^(٢٤) ولا تقدم الدليل على ذلك.

وكانت معظم المحافل الإنجليزية تعمل باللغة الإنجليزية إلا محفل (جريسا) الذي كان يعمل باللغة اليونانية، ومحفل (كوكب الشرق رقم ١٣٥٥) الذي عمل باللغة العربية، وكان لا يؤمه إلا المصريون أو من هم في حكمهم، وملهم جمال الدين الأفغاني - محمد عبده - وسعد زغلول الذين بثوا فكرة الاستقلال والمقاومة للنفوذ الأجنبي في البلاد وهياؤا الوسط المصري للانتفاض^(٢٥).

وكانت توجد محافل ماسونية في مصر خاضعة للشرق الأعظم العثماني بالآستانة، وكان البرنس عزيز باشا حسن - ابن عم الخديو عباس حلمي الثاني - على رأس البناية الماسونية العثمانية بمصر، حيث تبعته عدة محافل منها (نور المحبة - ومحفل الاجتهاد) بالإسكندرية، ومحفل (الصدق)^(٢٦). وكان هناك آخر بنفس الاسم تابع للمحفل الأكبر الفرنسي في الزقازيق^(٢٧)، أيضا محفل (نيزي) بالقاهرة.

ولقد وجد ما يسمى (المحفل الأكبر الأورشليمي) بالقاهرة، وهو محفل خارج

على المحفل الأكبر المصرى الذى أسسه ماسون كانوا تابعين لسلطة المحفل الأكبر المصرى وانفسخوا عنه لأسباب مجهولة ليتبعوا السلطة الماسونية الأمريكية^(٢٨).

ولقد نشرت الجريدة الماسونية فى عام ١٩٠٥ خبراً بعنوان أخبار المحفل الأورشليمى الجديد جاء فيه: لا تستغرب من ظهور ذلك المحفل فهو كغيره من المحافل التابعة لسلطات ماسونية غير قانونية، ولا تسأل عنه غدا فهو ابن الساعة (ومن عاش يشوف ومن فات قديمه تاه)، والله الهادى إلى الصراط المستقيم ووقعه باسم ماسونى مصرى^(٢٩). وفى ١٦ أكتوبر ١٩٠٥ أعلنت الجريدة الماسونية عن إنشاء محفل (المروءة) تحت السلطة الأورشليمية^(٣٠). أى أن أعماله كانت مستمرة دون اعتراضات من المحفل الأكبر الوطنى المصرى.

ولم يبتعد الألمان فى مصر عن الماسونية فأسسوا محفل (جرمانيا). فقد ذكرت الجريدة الماسونية تحت عنوان (محفل جرمانيا الموقر بالإسكندرية) فى عام ١٩٠٤ خبراً يقول: سيفتح بالإسكندرية محفل جديد بعنوان جرمانيا تابع لشرق برلين برئاسة الأخ المحترم المستر كيمتر، وسيتولى مركز الخطابة فيه الأخ المستر بلوم، وأن الغرض من إنشائه هو مساعدة بنى الإنسان، فنسأل لهذا المحفل الجديد التقدم السريع حبا بالفائدة المطلوبة وسننشر عن أعماله ما يصلنا عنه بالتفصيل^(٣١).

وبعيداً عن الصبغة الأجنبية فقد تأسس شرق ماسونى مصرى عرف بـ الشرق الأعظم الوطنى المصرى. وإن لم يكن بالإمكان تعيين سنة الاستقلال المحلى للماسونية المصرية، إلا أنه يمكن تحديده بعام ١٨٦٤^(٣٢)، ذلك العام الذى حصل فيه الماسونى اسكاروترا على تفويض من المجلس السامى الإيطالى للدرجة ٣٣ للمملكة الإيطالية فرع وادى النيل، بناء على وثيقة غير مؤرخة ذكرت ديباجتها الأولى تاريخ إنشاء (الشرق الأعظم الوطنى المصرى) بعام ١٨٦٤^(٣٣)، وليس فى عام ١٨٦٥ كما ذكر البعض^(٣٤).

وكان داخل (الشرق الأعظم الوطنى المصرى) مجلس أعلى للطرق يقرر

قانونيتها، ويقبل منها من تتوفر فيه الشروط الشرعية، وعلى أساس هذه الشروط انضمت الطريقة السويدية إلى سلطة مشرق مصر. وقد تقرر في جلسة الشرق الأكبر المصري في ٢ أغسطس ١٨٧٧ تأسيس المحافل الإقليمية الكبرى الآتية:

١- المحفل الأكبر الإقليمي للدلتا الغربية ومركزه الإسكندرية.

٢- المحفل الأكبر الإقليمي للدلتا الشرقية ومركزه طنطا.

٣- المحفل الأكبر الإقليمي لمصر العليا ومركزه أسيوط.

وهكذا اتفقت الآراء في ٢٥ سبتمبر ١٨٧٧ على نقل المحفل الأكبر الوطني من الإسكندرية إلى القاهرة، وفي ٢٥ مايو ١٨٧٩ وضعت القاهرة معاهدة حددت فيها حقوق وواجبات كل من الهيئات الماسونية الموجودة بمصر وهي: المحفل الأكبر واتخذ له (الطريقة اليوركية)^(٣٥)، والمجلس السامي واتخذ له (طريقة ممفيس) خوفاً عليها من الضياع.

وتكونت شروق الأقاليم التي رعت بدورها المحافل التابعة لها بالأقاليم المختلفة، وقد ورد في أحد التقارير الماسونية كافة الشروق العاملة بالأقاليم المصرية، وهي (شرق القاهرة - شرق المنصورة - شرق طنطا - شرق كفر الزيات - شرق بور سعيد - شرق الإسكندرية - شرق أبو قير - شرق المنيا - شرق السويس) وهي الشروق الصغيرة العاملة تحت لواء المحفل الأكبر الوطني المصري^(٣٦).

وكانت الخلافات تتفشى من وقت لآخر بين جنبات المحفل الأكبر الوطني المصري لأسباب مجهولة يصعب استنتاجها لغياب الوثائق. حتى أن الأمر وصل إلى حد حرق المحفل الماسوني على يد الماسون المعارضين، كما حدث في الثلاثينيات في عهد الأستاذ الأعظم عبد المجيد يونس، ومن الواضح أن أخطاء عبد المجيد يونس لم يغفرها له إخوانه الماسون.

وحيثما تأزمت ظروف الإنجليز في مصر بعد أن زادت الحركة الوطنية حدة

في الثلاثينيات بشكل كان يقلق الماسون الإنجليز، فقرر تشكيل (المشرق الماسوني الأعظم لمصر والسودان) District Grand Lodge of Egypt and Sudan، وبالتالي تمت السيطرة على كل المحافل الماسونية في مصر والسودان نظرا لكثرة المشرق الماسونية التابعة لأكثر من دولة أجنبية في مصر والسودان، وقد تشكل المشرق في عام ١٨٩٩، وكان أحد أساتذته العظام هوراتيو هيربرت كتشتر مؤسس محفل (جربسا رقم ١١٠٥) في عام ١٨٩٠ عندما بدأ العمل على النمط الإنجليزي^(٣٧).

وبعد قيام الثورة المصرية في عام ١٩٥٢ بدأ الاختفاء التدريجي للمحافل الماسونية يتزايد بعد أن كان تدريجيا منذ عام ١٩٤٨، فانسحب الكثير من الأعضاء الماسون، وخاصة من المصريين والبريطانيين والأجانب أصحاب الوظائف الهامة في الجيش البريطاني، كما انسحب بعض المسؤولين في الحكومة المصرية، وأثر الأجانب مغادرة البلاد وممارسة النشاط الماسوني في بلادهم. كما استمرت الحال هكذا حتى أزمة السويس ١٩٥٦، عندئذ بدأت المحافل الماسونية الأجنبية في التوقف عن النشاط في مصر ونقل نشاطها إلى خارج مصر أو إنهاء النشاط بصورة نهائية. إلا أن المحفل الأكبر المصري كان ما يزال عاملا ويريد الاستمرار، وبالتأكيد كان يحاول تأمين نشاطه بأية وسيلة حتى وإن كان ذلك بالتنازل عن شخصيته التنظيمية، وتسجيل نفسه كجمعية تابعة للدولة، وكان يأمل أن تتركه الدولة ومحافله ليمارس النشاط كعهد الماسونية بالدولة منذ بداية الماسونية نشاطها في مصر في القرن التاسع عشر.

وارتأبت الدولة المصرية من نواياهم فقررت إنهاء الوجود الماسوني في الجمهورية العربية المتحدة في عام ١٩٦٤ .

الماسونية في السودان:

بعد تأسيس المشرق الماسوني الأعظم لمصر والسودان في عام ١٨٩٩، أصبح الإشراف على المحافل السودانية مباشرة من خلال ذلك المشرق الماسوني الجديد، والذي ربما أنشأته إنجلترا رغبة منها في فصل الماسونية في السودان عن مصر بشكل

مباشر بمشرق جديد يخضع لرقابتهم.

لقد كان المحفل يعمل على النمط الإنجليزى، وكما علمنا أن أحد أساتذته العظام كان هوراتيو هيربرت كتشنر وغيره من كبار العسكريين البريطانيين.

كان وريث كتشنر للأستاذية العظمى السير ريجنالد وينجت، الذى شغل منصبه حتى عام ١٩٢٠، وخلفه جون لانجلى الذى عمل فى كافة المحافل المصرية حتى مات فى عام ١٩٢٣، وتلاه السير دلى ستاك، عام ١٩٢٤، واغتيل فى القاهرة فى ١٩ نوفمبر ١٩٢٤ قبل أن يمارس أى من مسؤولياته الماسونية، فتولى مهامه الماسونية ويلسون ذلك القائد العسكرى البريطانى فى عام ١٩٢٦ وحتى عام ١٩٣٣.

وكانت العلاقات جيدة بين المحافل المصرية والمشرق الأعظم لمنطقة مصر والسودان، فكانوا يتراسلون للتهانى وتقديم النصح والإرشاد، والحث على مزيد من القوى التى يجب أن يعطيها للماسونية فى مصر والسودان كما عمل أسلافه من الإنجليز مثل رافايل جورج أحد الأساتذة العظام للمحفل الأكبر الوطنى المصرى، وقنصل بريطانيا فى مصر فى عهد الخديو إسماعيل، فالرعاية الإنجليزية للماسونية فى مصر قديمة العهد (٣٨).

بعد ذلك نُصب الأسقف د. هـ. جوين، عام ١٩٣٣ أستاذا أعظم، وساعده بكفاءة نائبه الأسقف د. ف. ف. جونستون، وكان جوين يملك رضا ماسونى المنطقة، فواصل أعماله حتى أحس أن أعمال الأبرشية ورئاسة المنطقة الماسونية تشكل عبئا عليه فى سنه المتقدمة، فعاد إلى إنجلترا ليمارس أعماله الماسونية من هناك حتى مات فى عام ١٩٥٧ بمدينة إيبينج بإنجلترا، وكان عمره يصل إلى ٩٤ سنة، فخلفه نائبه جونستون آخر أستاذ إنجليزى للمشرق الماسونى الأعظم لمنطقة مصر والسودان، وعين د. ب. ج. هاربور، نائبا له فى السودان، وازدهرت المنطقة فى عهده حتى عام ١٩٥٦. وعلى غرار كل الإنجليز فى مصر الذين تركوها طلب الأسقف أن يتركها، ومع ذلك مارس نشاطه بصورة عادية فألقى الخطب فى محافل مصر وواظب على الزيارات،

لكنه مات في سبتمبر ١٩٦٣ ، ليترك أعماله لشخص سوداني يدعى «محمد صالح الشنقيطي» وهو الذي أصبح أستاذاً أعظم للمنطقة الماسونية بعد ذلك، وتم تكريسه في المحفل الماسوني بالخرطوم في فبراير ١٩٦١ ، وكان من المعتاد أن يكون نائب الأستاذ الأعظم موجود في الخرطوم والأستاذ الأعظم في مصر، ولكنها كانت المرة الأولى التي يكون فيها الأستاذ الأعظم سودانياً ويتم تكريسه في الخرطوم، وفي عهده انفصلت الماسونية المصرية عن السودان، نظراً لمنع ممارسة الماسونية في مصر، وهكذا نالت السودان شرفاً ماسونياً، ولكن مات الشنقيطي حينما كان يقوم بشعائر الحج أثناء فترة تكريسه أستاذاً أعظم عام ١٩٦٨ بنوبة قلبية حادة (٣٩) .

عين نائبه «يحيى عمران» أستاذاً أعظم ، وواصل أعماله حتى منعت الحكومة السودانية الماسونية في عام ١٩٧٠ .

الماسونية في سوريا

في عام ١٩١١ نشر «نعم أفندي مكرزل» صاحب صحيفة الهدى: الماسونية السورية أضرب وأضر هيئة عمومية أوجدها الاقتداء والجهل والتواطؤ. في الماسونية السورية المجرم والمتشرد والبطال. في الماسونية السورية مزور الشهادات. في الماسونية السورية المتهتك والجاهل والمتعصب والمارق والمتجر بالدين والمقلق والمخرب. وأقبح ما في الماسونية السورية أن ٩٥ ٪ منها لا يفهمون إلا أن فلاناً الكبير والمقلب والمثري منهم، فهم يريدون أن يقتدوا به ليكونوا كباراً وملقبين ومثريين ولو بالجوار والشفعة (٤٠) .

إن تاريخ الماسونية في سوريا مر في مراحل عديدة. فخلال الحكم العثماني في القرن التاسع عشر عرفت الماسونية في سوريا فترة قهر واضطراب بسبب السياسة القاسية التي انتهجها السلطان عبد الحميد ضد الماسونية والماسون. وعندما سقطت الخلافة العثمانية تنفست البلاد الشرقية للإمبراطورية العثمانية الصاعدة وعادت المحافل الماسونية للظهور.

وكان أول دخول الماسونية في سوريا على يد الأمير عبد القادر الجزائري سنة ١٨٥٦ في دمشق بعد عودته من مصر للإقامة في دمشق تنفيذا لاتفاقه مع السلطات الفرنسية، وكان الأمير الجزائري قد انتسب إلى الماسونية أثناء زيارته الطويلة لمصر على يد الأمير حليم باشا، حيث شارك في إنشاء أول محفل ماسوني سوري في دمشق كان تابعا لمحفل شرق إيطاليا الأعظم، وقد لاقى هذا المحفل بعض الاضطهاد في أول الأمر ولكن وجود الأمير عبد القادر وبصفته العليا في الماسونية (القطب الأعظم) وهي درجة تعلو الدرجة ٣٣ الماسونية، ساعد ذلك المحفل على التغلب على كل الصعوبات التي تواجهه.

ومن أكثر الحوادث التي زادت من شعبية الأمير عبد القادر الجزائري، أنه بالإضافة إلى قضايا بلاده تدخل بصفته الماسونية لحل القلاقل التي حدثت بين المسيحيين والدروز في جبل لبنان سنة ١٨٦٠ بعد أربعة سنوات من عودته من مصر، وكانت تلك المشكلة بسبب طفل وامتدت إلى جميع القرى الدرزية التي تجاورها قرى مسيحية، وحمل الجميع السلاح واصطدموا في معارك دموية ذهب ضحيتها الكثير من الأبرياء من الطرفين، وهنا تدخل الأمير عبد القادر الجزائري في هذه الحوادث واستطاع أن ينقذ خمسة عشر ألف مسيحي، وذلك بحمايته لهم في منازلهم والأماكن التي استأجرها خصيصا لذلك رافعا رايته عليها.

ويتدخل الأمير السياسي مع السلطات الفرنسية التي كانت تكن له الاحترام بغض النظر عن الخلافات السياسية فيما بينهم، استطاع أن يعيد عشرة آلاف جندي فرنسي إلى فرنسا بعد نزولهم على الشواطئ اللبنانية، وكان لهذه المواقف الإنسانية صدى عظيم لدى الأوساط السياسية والاجتماعية العالمية فجاءته الأوسمة ورسائل الشكر من أعظم الرجال من ملوك ورؤساء، كما نوهت به الصحف الكبرى في العالم والنشرات الماسونية، ومن المعروف أن الأمير تابع نشاطه الماسوني حتى وفاته^(٤١).

وقد نفى البعض ماسونية الأمير عبد القادر الجزائري، ولكن من الثابت أنه

أثناء عودته من الحجاز مر بالإسكندرية وانتظم في سلك الجمعية الماسونية، فالأمير كان يرى في الماسونية أنها جمعية ذات روح دينية عالية؛ وأدعى آخرون أن الأمير هو أول ماسوني مؤسس جاهر بماسونيته في سوريا.

لقد بقيت تلك القضية تتأرجح بين الثبات والنفي حتى كتبت مجلة (الحقائق السورية) مقالا بقلم الأمير «محمد سعيد» حفيد الأمير عبد القادر الجزائري، محاولا تبرئة الأمير مما نسب إليه من دخوله في تلك الجمعية المجهولة الحقيقة والشروط، مدلا على ذلك بأن الجمعية الماسونية اغتنمت فرصة وجود الأمير في مصر فأوفدت هيئة من الماسون لتعرض عليه مبادئ الماسونية، فشكرها الأمير على عملها، وذلك ما اتخذ به البعض لإثبات دخوله في الماسونية^(٤٢).

لكن ما يعطى الدليل على أن الأمير «عبد القادر الجزائري» كان ماسونيا ولو لفترة من حياته أنه صور بالشعارات الماسونية التي لا يلبسها سوى حامل الدرجات الماسونية العليا والمشتغلين القدماء فيها^(٤٣).

وتوفي الأمير في ٢٤ مايو ١٨٨٣ بدمشق وصلى عليه في المسجد الأموي، ودفن في مقبرة الشيخ محي الدين بن عربي، وبقي جثمانه في هذا المكان حتى حصلت الجزائر على استقلالها من فرنسا في ٥ يوليو ١٩٦٢، فطلبت من سوريا الموافقة على إعادة رفاة الأمير عبد القادر إلى الجزائر كي يعاد دفنه بما يليق به من التكريم والاحترام فوافقت الحكومة السورية، وتم نقل الرفات في طائرة خاصة أرسلتها الحكومة الجزائرية، ودفن بموكب مهيب شارك به قادة الجزائر^(٤٤).

وبدأت الماسونية بشكلها التنظيمي الحديث في سوريا بإنشاء محفل ماسوني في بيروت التي كانت جزء من سوريا في عام ١٨٦٢ باسم محفل (فلسطين) تحت رعاية محفل الشرق الأعظم الاسكتلندي ، وقد ترأسه قنصل بريطانيا العام في الشام المستر أولدرج، وعلى الرغم من الإشاعات والأفكار السائدة عن الماسونية في ذلك الوقت فقد انتظم في سلكها عدد من أعيان البلاد وعلمائها، ورجال الحكومة وسراتها من وطنيين

وأجانب، ثم توقف عن النشاط بعد عودة «أولدرج» عام ١٨٦٨ حتى عام ١٨٨٨ حيث جددت له الرخصة من الحكومة.

وتبعه محفل آخر في بيروت سنة ١٨٦٩ أى بعد إنشاء محفل بيروت الماسوني سنة ١٨٦٢، وكان عيب هذه المحافل كغيرها هو عملها في الخفاء الذي لا يرى سوى المقاومة والاضطهاد. وبعد محفل بيروت الماسوني أقيمت محافل في دمشق وحمص وحلب وعينات وإسكندرونة وأضنة^(٤٥).

وفي عام ١٩٣٦ أنشأ الأمير «محمد سعيد الجزائري» محفلا ماسونيا، وبعدها انشغل في مزارعه وقراه في فلسطين، وتابعت الماسونية نشاطها مرة أخرى فتأسس في دمشق محفل (نور الشرق) تحت رعاية الشرق الأكبر الوطني المصري، وكان من أعضائه: حنا مالك، فؤاد نصرى، محمود عزة الكيال، حسن غزاوى، هاشم رحمون، ونجم الدين الباهى.

وتم تكريس ذلك المحفل في عام ١٩٣٧، ومن أسماء الأعضاء يتضح أنهم من أبرز العائلات السورية، ومنهم أيضا المستشار حسن غزاوى وهو مصرى، وهو محامى فى محاكم الجنايات والاستئناف بدمشق، ويقطن قصر بمنطقة كيوان، وتحول هذا القصر فيما بعد إلى متحف واستلمته وزارة السياحة السورية حتى وقتنا هذا.

وفى الخمسينيات كان فى سوريا ستة محافل رئيسية، وهى: المحفل الأكبر السورى بدمشق، محفل فاروق بدمشق، محفل نور الشرق بدمشق، محفل قاسيون بدمشق، ومحفل خالد بن الوليد بحمص، ثم محفل النجاة بطرطوس.

ونظرا لعدم انتظام العمل الماسونى فى سوريا لأسباب أهمها عدم اهتمام الماسونية فى سوريا بفحص المستوى الاجتماعى للأعضاء بدقة الماسونية المعتادة، فقد كان هناك تسامح فى عملية قبول الأعضاء فى المحافل. ولذلك فكر البعض فى طريقة لإنقاذ الماسونية فى سوريا، ووجدوا أن أحسن وسيلة هى توحيد المحافل تمهيدا لاستقلال الماسونية فى محفل كبير يستظلون برعايته.

وهكذا تقرر تشكيل محفل أكبر إقليمي يتحول بدوره إلى شرق مستقل. وبما أن ذلك يستوجب اتحاد ثلاثة محافل نظامية على الأقل تكون تابعة لسلطة ماسونية واحدة، وبما أنه يوجد في دمشق أربعة محافل نظامية تحت رعاية المحفل الأكبر الوطني المصري، فقد جرت المفاوضات وتم الاتفاق في نهايتها على اندماجها في محفل أكبر متحد.

واجتمعت الوفود وتمت الموافقة على تشكيل المحفل الأكبر الإقليمي السوري، واستدعى لهذا الإجراء محمد رفعت بك سكرتير الشرق المصري الماسوني للحضور إلى دمشق ويرعى توحيد المحافل وافتتاح المحفل الأكبر الإقليمي نيابة عن الأستاذ الأعظم ورئيس المحفل المصري المشرف إدارياً بلغة الماسونية على المحافل السورية من مصر حسب الاختصاص، وتم الافتتاح في ١٤ مارس ١٩٣٧، وهكذا اتحدت محافل دمشق، ولكن ذلك لم يمنع من استمرار بعض المحافل الماسونية في عملها تحت لواء المحفل الأكبر الوطني المصري، فقد ارتبطت بعض محافل سورية بالمحافل المصرية أولاً ثم انفصلت عنها بعد العام ١٩٥٨ .

ومن أبرز تلك المحافل محفل (نور دمشق رقم ١٠٥٨) ويسميه البعض (نور الشرق) ، وأسس في العام ١٩٠٥ فارس الخوري ومصطفى السباعي مرشد الإخوان في سوريا^(٤٦). وكان من أعضائه البارزين: جبران لويس، عبده القدسي، أمين الأسطواني، عبد الرحمن الشهبندر وكان يعمل تحت رعاية المحفل الاسكتلندي. وكان هناك محفل (خالد ابن الوليد) الذي كان يعمل تحت رعاية الشرق الأكبر المصري وتأسس في عام ١٩٣٨ برئاسة إبراهيم كنعان. وكان من بين أعضائه، حين كان مازال طالباً بالمدرسة الحربية جمال فيصل الذي أصبح من بعد فيما بين عامي ١٩٥٨ - ١٩٦١ قائداً للجيش السوري.

وفي عام ١٩٢٤ تأسس محفل (إبراهيم الخليل) تحت رعاية المحفل الأكبر بولاية نيويورك. ومن مؤسسيه: داود المارديني، مصطفى القباني، مصطفى شوقي،

عثمان سلطان، خليل الهبل، توفيق بيضون، عبد الرازق عابدين، رفيق الجلاد، ومصطفى القلعي. وكان من أهم أعضائه الأحياء حتى فترة ليست ببعيدة السيد بدر الدين الشلاح (الرئيس الأسبق لغرفة تجارة دمشق) الذي لم يجد في حياته أى حرج بالمجاهرة بماسونيته.

وتوقف العمل في الشرق الأعظم السوري بسبب الحرب العالمية الثانية ثم عاد إلى مزاولة نشاطه في ٢٧ أكتوبر من العام ١٩٤٦. وتأسس المحفل الأكبر السوري العربي عام ١٩٥٠. وكان هذا المحفل يعمل تحت سلطة الشرق الأكبر المصري. وسارت الأمور الماسونية في سوريا على أحسن ما يرام حتى الخمسينيات حيث تنبعت أغلب الدول العربية إلى خطر الماسونية ومؤامرتها فأخذت تمنعها.

الماسونية في لبنان:

يصعب الفصل بين المحافل اللبنانية والسورية قبل انتهاء الانتداب، لأن المحافل في بلاد الشام (سورية ولبنان) كانت تحت لواء المحفل الأكبر الوطني المصري، مما يشكل صعوبة بالغة أمام الباحثين، خاصة وأن كل أوراق المحافل الشامية محفوظة في مكتبة الأسد الوطنية في دمشق وممنوع الإطلاع عليها.

وقد وجدت بعد بحث طويل أن لفيف من الماسون الذين كانوا يعملون تحت الرعاية الماسونية المصرية، ومن أشهرهم شاهين مكاريوس هم الذين بدءوا حركة إنشاء المحافل الماسونية في لبنان منذ عام ١٨٩١ حينما أنشأ محفل (فينيقيا).

ولم يلبث أن أغلق «خالد بك» والي بيروت العثماني محفل (فينيقية) بناء على أوامر تلقاها من الآستانة، فاضطر أعضاء هذا المحفل إلى عقد اجتماعاتهم في الكهوف والمغاور خارج بيروت، لكن المحفل الأكبر الوطني المصري أمرهم بوقف نشاطهم لبعض الوقت، ريثما تمر هذه السحابة، ويقنع السلطان بسمو أهدافهم وإخلاصهم لصدته الملكية.

لقد كان السلطان يرتاب من ذلك المحفل بالذات لتبعيته للمحفل الأكبر الوطني المصري، وكأنه كان يخشى تغلغل النفوذ البريطاني عن طريقه إلى بلاد الشام، مما يؤكد أن تدخل المحافل في الأمور السياسية كان واضحا.

ولما حدث الانقلاب العثماني ١٩٠٨، الذي كان دور الماسونية فيه كبيرا، تغيرت حالة الماسونية الخاضعة الضعيفة إلى النقيض، وأخذ الماسونيون يرفعون رؤوسهم مفتخرين زاعمين أنهم هم الذين قاموا بالانقلاب، وأن الدولة أصبحت في أيديهم. وصار الكثير من الناس يتزلفون إليهم، وقد أدى هذا الانتعاش الذي أصاب الماسونية في عهد الدستور إلى زيادة عدد المحافل العاملة في لبنان، وأيضا إلى زيادة حدة العداء بين الماسونية وبين رجال الدين في لبنان، وبهذا الانقسام والاختلاف أصبح في القرى اللبنانية فريقين متنازعين، فريق من الماسون وفريق من القساوسة^(٤٧).

وبقيت المحافل الماسونية في لبنان في حالة مد وجزر إلى ما بعد الحرب العالمية الأولى. بعدها وتيسيرا لسير الأعمال فيها اجتمع عدد من الرؤساء المحترمين، وقدموا إلى سمو الأمير محمد علي، الأستاذ الأعظم للمحفل الأكبر الوطني المصري ملتَمسا يرجون فيه تأسيس محفل إقليمي يعمل تحت سلطته في لبنان وسورية وفلسطين، برئاسة سمو الداماد أحمد نامي، بك بصفة أستاذ أعظم إقليمي، وكان ذلك في أوائل عام ١٩٢٣. وبعد دراسة طويلة ومراجعات متكررة صدر عن الأستاذ الأعظم في مصر بتاريخ ٣٠ ديسمبر ١٩٢٣ أمر عال يحمل رقم ٥٣٥ رخص بإنشاء محفل أكبر إقليمي تحت اسم المحفل الأكبر الريفى الإقليمي لسوريا وفلسطين (وكان لبنان وسوريا حين ذاك بلدا واحدا) وعيّن سمو الداماد أحمد نامي بك أستاذا أعظم إقليميا.

بدأ هذا المحفل الأكبر الإقليمي يعمل بجَد ونشاط حتى أصبحت محافله في لبنان اثني عشر محفلا انضم إليها الكثيرون من أبناء المحافل العاملة تحت السلطات

الأجنبية برغم التعاون الذي كان قائما معها. وبعد أن مرت المدة القانونية على تأسيس المحفل الأكبر الإقليمي وهي سبع سنوات، تنادى الأخوان الرؤساء في لبنان ورفعوا في ٢٢ يونيو ١٩٣٠ ملتصقا إلى سعادة الأستاذ الأعظم للمحفل الأكبر الوطني المصري الأستاذ محمد فهمي بك يرجون فيه منح الاستقلال للمحفل الأكبر الرفي الإقليمي تحت اسم الشرق الأكبر اللبناني.

وقد وقع هذا الملتصق الأستاذ الأعظم الإقليمي سمو الداماد أحمد نامي بك ممثلا محفل (الرشيد رقم ٢٢٥) ومحفل (بيروت رقم ٢٢٦) ومحفل (الثبات رقم ٢٢٤) ومحفل (الوليد رقم ٢٤٦) ومحفل (الاتحاد رقم ٢٤٠) ومحفل (المعارف رقم ٢٤٧) بشرق بيروت، ومحفل (فينيقيا رقم ٢٣٧) بشرق الحدث في جبل لبنان، ومحفل (الميناء الأمين رقم ٢٤٥) ومحفل (حرمون رقم ٢٣٨) بشرق طرابلس، ومحفل (حرمون رقم ٢٤٢) بشرق راشيا الوادي، ومحفل (البقاع العزيز رقم ٢٥٠) بشرق زحلة، ومحفل (الهرمل رقم ٢٥٢) بشرق الهرمل.

ووقع معه أيضا من الماسون (أمين أبو مرشد، بديع الهاشم، جرجي بندلي، كامل الجميل، إلياس المدور) وهم أعضاء المجلس الماسوني السامي المصري، أيضا جميل الخطيب رئيس محفل الوليد، وتوفيق أبو مرشد رئيس محفل حرمون راشيا، ومحمود أبو حمزة رئيس محفل المعارف، وعوض إبراهيم رئيس محفل البقاع العزيز، وفرحان العماد رئيس محفل الهرمل، وجورج بندلي رئيس محفل الميناء الأمين، واسكندر بندلي رئيس محفل حرمون طرابلس.

أحيل هذا الملتصق إلى اللجنة الدائمة التي اجتمعت بتاريخ ١٥ أكتوبر عام ١٩٣٠ ووافقت بالإجماع على تأسيس الشرق الأكبر اللبناني المستقل وإبلاغ ذلك إلى جميع السلطات المتحابة مع المحفل الأكبر الوطني المصري. وبتاريخ ٢٠ أكتوبر عام ١٩٣٠ صدر عن الأستاذ الأعظم محمد فهمي بك (أمر عال رقم ٦٣٧) يعلن الشرق الأكبر اللبناني سلطة ماسونية مستقلة ذات سيادة ويولي الداماد أحمد نامي بك

سلطة الأستاذ الأعظم الماسوني.

بعدها تأسس المحفل الأكبر اللبناني برئاسة «جورج رزق الله، والشرق الأكبر اللبناني برئاسة الداماد نامي، والمحفل الأكبر السوري اللبناني برئاسة الدكتور «مصطفى فخري، والمحفل الأكبر المثالي للجمهورية اللبنانية برئاسة «جورج حنا أبي راشد، والشرق العربي الأعظم برئاسة «يوسف بطرس الحاج، والمحفل الأكبر الإقليمي التابع للشرق الأكبر نيويورك برئاسة «خالد ثابت».

أما الشرق الأكبر اللبناني فقد تأسس في ٢٠ يوليو ١٩٣٤ بعدما اعترف به المحفل الأكبر الوطني المصري، وتولى رئاسته «سامي الصلح».

ونشبت الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٣٩ فأمرت السلطات المنتدبة في لبنان بإقفال المحافل على اختلاف شقوقها حتى متى انتهت الحرب عاد الشرق الأكبر اللبناني إلى العمل برئاسة الأستاذ الأعظم دولة «سامي بك الصلح».

وعندما استقل لبنان وسوريا عن الانتداب الفرنسي في عام ١٩٤٣ عمل فريق من الماسون لتأليف محفل أكبر للبلدان فولد المحفل الأكبر الوطني اللبناني السوري العام ١٩٤٣، وانفصل عن المحفل الأكبر المصري، انضم معظم المحافل الرمزية في البلدين إلى المحفل الجديد. ثم انقسم هذا المحفل في عام ١٩٥٨ . إلى شطرين: لبناني وسوري. فانفرد الدكتور فؤاد عسيران في رئاسة الجناح اللبناني إلى حين تأسيس الشرق الأكبر اللبناني الذي ترأسه بشير الأعور.

وعقد مؤتمر ماسوني عام في بيروت في عام ١٩٥٧ قررت فيه المحافل المشاركة الانضمام إلى الشرق الأكبر اللبناني برئاسة سامي الصلح الذي كان آنذاك رئيساً للوزراء في لبنان^(٤٨).

وفي سنة ١٩٥٨ أسندت الأستاذية العظمى إلى سعادة الأخ «سليم بك الترك، الذي حزّ في نفسه أن يرى الماسونية أحزاباً وأشتاتاً، فعمل ما بوسعه على جمع شملها،

ووضع لها قانونا حديثا يساير التجديد الذي أراده لها. وتمّ له ما شاء سنة ١٩٦٠ إذ ضمه اجتماع مع الأستاذ الأعظم للمحفل الأكبر الوطني السوري اللبناني في لبنان معالي بشير بك الأعور والأستاذ الأعظم للمحفل الأكبر الوطني السوري اللبناني في سوريا سعادة محمد بك الميداني واتفقوا على توحيد البنائية الحرة، فانضموا جميعا تحت سلطة ماسونية جديدة أطلقوا عليها اسم (الشرق الأكبر اللبناني) لخدمة لبنان واللبنانيين في المهجر، ليكون استمرارا للسلطة السابقة التي كانت تحمل هذا الاسم مع الإبقاء على أستاذها الأعظم الذي تنازل له زميلاه وحصر السلطة فيه.

وبتاريخ ١٣ نوفمبر سنة ١٩٦٤ اعترفت الحكومة اللبنانية بالشرق الأكبر اللبناني كسلطة عليا للماسونية في لبنان بموجب العلم والخبر رقم (٥٣٢/د١).
وبتاريخ ٢٧ نوفمبر سنة ١٩٦٤ وتحت رقم (٩٤١/ص٤) وجّه معالي وزير الداخلية إلى الأستاذية العظمى كتابا يعلمها به أن العلم والخبر يعتبر تسوية لوضع جميع المحافل العاملة في لبنان منذ تاريخ إنشائها في العهد العثماني وما يليه.

وبتاريخ ٢٦ مارس سنة ١٩٧٠ بسبب انتهاء ولاية الأستاذ الأعظم جرى انتخاب سعادة الشيخ محمد الباشا أستاذا أعظم جديدا للشرق الأكبر اللبناني.

بلغ المنتسبون للشرق حوالي خمسة وثلاثون ألف شخص في أواخر عام ١٩٧٥ وبلغت محافله الرمزية، العاملة تحت رعايته حوالي اثنان وثلاثون محفلاً. وفي أوائل الحرب اللبنانية أي خلال عام ١٩٧٥ عقد الشرق الأكبر اللبناني اجتماعا في مقرّه - القنطاري غرب وسط العاصمة، وأعلن إيقاف أعماله وتعليق اجتماعاته وأنشطته، معللا ذلك بعدّة أسباب تتعلّق بظروف الحرب، وصعوبة انتقال الأعضاء نظرا للوضع الميداني والمفروض على الأرض وعلى المقر.

وبذلك أوقف المجلس السامي أعماله حيث اعتبر أعضاؤه في عطلة غير محددة. وبالفعل وبعد ثلاث سنوات من اندلاع الحرب الأهلية، تدمر مركز الشرق ولم يعد باستطاعة المحافل الرمزية التابعة له الاجتماع كون بيروت انقسمت إلى

شطرين: الغربية والشرقية.

آنذاك كان أمين السر الأعظم للشرق الأكبر اللبناني الأستاذ الأعظم جورج نجيم والذي كان وما يزال يقيم في بيروت الشرقية. ولما طالبت الحرب، أخذ أمين السر الأعظم للشرق الأكبر اللبناني مبادرة دعوة بعض أعضاء المجلس السامي المقيمين في بيروت الشرقية وبعض الضباط العظام لتنسيق ما يلي:

بعد الاستحالة للدعوة العامة لكل أعضاء المجلس السامي كون بعضهم موجود في الغربية وبعضهم قد غادر البلاد. وبعد الاستحالة من عقد اجتماعات ماسونية في بيروت الغربية نظراً للأمر الواقع. وبعد التأكد من عدة مراجعات بأن الاجتماعات الماسونية في الشرقية لا مانع من عقدها نظراً للأمر الواقع، وبعد تعهده الشخصي وعلى نفقته الخاصة، وبعد عدة اجتماعات قرر دعوة ما تبقى من أعضاء المجلس السامي للشرق اللبناني، عقد أول اجتماع بعد ثلاثة عشر عاماً من التوقف في العاشر من أكتوبر ١٩٨٨ بحضور الأساتذة العظام:

- المحامي أديب مجاعص (أستاذ أعظم الشرق الأكبر اللبناني).
- المهندس نبيل سليمان (عضو المجلس السامي الأكبر اللبناني).
- إميل معماري (عضو المجلس السامي للشرق الأكبر اللبناني).
- الأستاذ الأعظم جورج نجيم (أمين سر الشرق الأكبر اللبناني).
- البروفسور إيلي حداد.

وبحضور اثنين وعشرين عضواً، وضابط أعظم من الشرق الأعظم الفيدرالي اللبناني، ليقرروا مجتمعين ما يلي:

- تأسيس الشرق الأعظم الفيدرالي اللبناني.
- تأليف هيئة تأسيسية لوضع النظام العام والأنظمة الملحقه به.

وباعتبار أن الشرق الأعظم الفيدرالي اللبناني هو المؤتمن والمحافظ على التراث الماسوني للشرق الأكبر اللبناني. فهو: المشرف على الطقوس والجلسات الماسونية حسب الطريقة الأيكوسية القديمة والمقبولة والمعمول بها.

- يعطى الشهادات والبراءات والألقاب.
- يشرف على المراسلات الداخلية والخارجية.
- يحدد الاشتراكات والرسوم ويقبل التبرعات.
- مسئول تجاه الدولة محددًا بذلك مصاريفه، وإيراداته حسب القوانين .

بعد هذه القرارات كان لابد من إيجاد مقر وهيكل التمويل اللازم لذلك وخصوصا في إبان الحرب الأهلية. وعندها وبمبادرة فردية منه، قرر الأستاذ الأعظم «جورج نجيم»، كونه مالك بداية حيث المقر الحالي للشرق الأعظم الفيدرالي اللبناني ما يلي:

- تحويل الطابق الأول من البناية إلى مكتب استقبال وغرفة اجتماعات ومكتبة وأمانة سر.

- تحويل الطابق الثاني إلى هيكل وغرفة التأملات حيث تتم الاجتماعات النظامية للمحافل التابعة له وطقوس التكريس.

- طبع الشهادات والبراءات والشعائر والرموز العائدة للأوشحة والمآزر.

- إقرار النظام العام والتقدم من الدولة اللبنانية بأذن مزاولة الأعمال حسب الأنظمة المرعية الإجراء.

والجدير بالذكر، أن كل تكاليف هذه الإنشاءات والمطبوعات الآنفة الذكر قد قام بها الأستاذ الأعظم جورج نجيم، على نفقته الخاصة وبمبادرة فردية منه.

وفي ١٩٨٩/١/٢٠ اجتمعت اللجنة التأسيسية وقررت ما يلي: نحن أعضاء هذه

اللجنة، الأساتذة العظام والضباط العظام والمحترمون للشرق الأكبر اللبناني، وبعد التداول وبالإجماع نعلن ما يلي:

- أديب مجاعص (أستاذ أعظم الشرق الأكبر اللبناني، أستاذاً أعظم للشرق الأعظم الفيدرالي اللبناني).

- البروفسور إيلي حداد (قطب أعظم للمجلس السامي للشرق الأعظم الفيدرالي اللبناني).

- الأمير داود شهاب (نائب القطب الأعظم).

- الأستاذ الأعظم جورج نجيم (أمين سر أعظم للشرق الأكبر اللبناني، أمين سر أعظم للشرق الأعظم الفيدرالي اللبناني).

- إميل معماري (الخازن الأعظم).

- نبيل سليمان (عضو المجلس السامي).

ونعلن مع الأعضاء المتواجدين الهيئة التأسيسية للشرق الأعظم الفيدرالي اللبناني وفي ١ / ٢ / ١٩٨٩ وافق المؤسسون على النظام العام كما هو متداول به حالياً وابتدأت الجلسات النظامية^(٤٩).

وتعمل الماسونية في لبنان حتى يومنا هذا بنفس النشاط والقوة التي اعتادت عليها طوال عهدها وتضم أعضاء من نخبة المجتمع من رجال أعمال وحكوميين وفنانين وأدباء، ومن الطبيعي كعادة الماسونية في لبنان توقف نشاطها حتى انتهت الحرب التي دارت بين حزب الله والمعتدى الإسرائيلي، والتي دمرت العديد من القرى اللبنانية، واستغلت هذه الأحداث بالدعاية إلى نفسها وعمل الحفلات لجمع التبرعات لانقاذ المنكوبين من جراء القصف الاسرائيلي الوحشي على المدن والقرى اللبنانية.

الماسونية في العراق:

لقد تعرف الشعب العراقي على الماسونية من خلال التأثير الأجنبي الرجعي عبر الحملات والإرساليات الدينية المسيحية ونوادي إخوان وأخوات الحرية، ومكاتب الإرشاد والمعاهد الأهلية لتدريس اللغة الإنجليزية، وجامعة الحكمة وكلية بغداد. وتأسيس حزب البعث والاتحاد الوطني لطلبة العراق، وعبر خريجي وأعضاء المؤسسات التعليمية الملكية البريطانية والأمريكية في ميادين الطب والهندسة والاقتصاد.

وأغوت الماسونية في العراق النخب الشيعية السياسية منذ النصف الأول للقرن العشرين التي رأت فيها الظهير القوى لإسناد ودعم نفوذها والحفاظ على سمعتها ولجم التأثيرات الديمقراطية المعادية للرأسمالية والقوة الروحية المعادية للاستعمار. فتورطت هذه النخب في الطقوس الماسونية، ولتعيش ازدواجيتها داخل وخارج العراق خاصة إبان العهد الدكتاتوري البائد، أي كان دخولها في الماسونية لمصلحة شخصية في نفوسهم^(٥٠)...

وكثرت الاحتمالات حول الكيفية التي دخلت بها الماسونية إلى العراق، إلا أن أكبر الاحتمالات أن الماسونية قد انتشرت في البصرة عن طريق شركة الهند الشرقية التي تأسست لخدمة المصالح البريطانية التجارية في الهند ومنطقة الخليج العربي. ولقد عثر على مصدر ماسوني إنجليزي جاء فيه: «أخبرنا الأخ الماسوني (ج.ف. كولز) أن الماسونية ازدهرت في العراق منذ نهاية الحرب العالمية الأولى حتى قيام دولة إسرائيل. وعند ذلك تعطلت مؤقتاً ثم انتعشت من جديد حتى قيام الجمهورية العراقية»^(٥١).

ولكن سبقت فترة الازدهار فترة من التأسيس للماسونية العراقية، وكان أول المحافل التي تأسست في العراق هو محفل في العراق سنة ١٨٣٩، وكان مقره مدينة البصرة، وقد نشرت جريدة البلد (بغداد - ١٩٦٥) أن الصحف العراقية في عام

١٩٢٥ نشرت أن: المحافل الماسونية في البصرة احتفلت بوضع حجر الأساس لبناء المحفل الماسوني الواقع على طريق الهند، وأن المحفل افتتحه المستر مومبينا وأن المحافل الماسونية في البصرة قد تأسست في سنة ١٨٣٩ . وأنها تضم الآن ما يقارب السبعمئة عضو.

وفي عام ١٩١٨ تأسس محفل (ما بين النهرين) ، ثم تأسست محافل عديدة كانت جميعها تابعة للمحفل الأكبر الإنجليزي باستثناء محفل (صدق الوفاء) في البصرة الذي كان تابعاً للمحفل الأكبر المصري.

ففي عام ١٩٢٢ تأسس في البصرة محفل (بابل رقم ٣٢٦) . وكان يعقد اجتماعاته في مقر شركة أندروير في العشار، كما كان يجتمع في عبادان أحيانا. أيضا تم افتتاح عدة محافل ماسونية في العراق ومنها، محفل (دار السلام رقم ٥٢٧٧) في بغداد، محفل (البصرة رقم ٥١٠٥) ، محفل (الفيحاء رقم ١٣١١) وهو للعراقيين الذين لا يتحدثون الإنجليزية وكانت اجتماعاته تدور باللغة العربية. ثم محفل (العراق رقم ٤٤٧١) ، وكان يعقد اجتماعاته في الدار رقم ١٧ أ - لشركة نستيفن لينج، وكان يمتلك تلك الدار البريطانيان كولين ومالكولم لينج، وكانت عضويته تنحصر في البريطانيين الموجودين في العراق.

وتم تكريس محفل (كركوك رقم ٧٠٧٩) ، وكان يعقد اجتماعاته في مقر شركة النفط العراقية. أيضا محفل (دجلة رقم ٧٠٢٤) ومقره الحبانية، ثم محفل (بغداد رقم ٤٠٢٢) وكان مقره بغداد. وكل تلك المحافل كانت تابعة للمحفل الأكبر الإنجليزي، باستثناء محفل (صدق الوفاء) في البصرة، الذي كان تابعا للمحفل الأكبر الوطني المصري (٥٢).

وبعد ثورة ١٤ يوليو عام ١٩٥٨ تمت تصفية المحافل الماسونية بالعراق، ووضع حظر شامل على نشاطها. وبذلك كان العراق أول دولة عربية اتخذت الإجراءات اللازمة والحازمة ضدها.

وهاجمت المظاهرات الشعبية العراقية منذ الساعات الأولى للثورة المحافظ الماسونية وحطمت ما فيها وتمت السيطرة على الخزائن الحديدية الموجودة في البنك المركزي والعائدة لبعض المشبوهين، وعثر بداخلها على قائمة بأكثر من ١٥٠ اسماً ماسونياً من الشخصيات العراقية، والذين كانوا يسرون العراق حسب أهوائهم وأهدافهم لخدمة الصهيونية والاستعمار. إلا أن هذه القائمة الخاصة بالأشخاص الماسونيين في العراق لم تعلن للجماهير، بل حفظت وصار يعاقب كل من يشير إليها.

ومن الأسماء المتداولة:

١- محمد فاضل الجمالي، وقد أعلن جهاراً عن انتمائه للماسونية أثناء محاكمته، وشغل الجمالي منصب وزير خارجية العراق عدة مرات.

٢- توفيق السويدي.

٣- عبد الجبار فهمي.

٤- نوري السعيد.

٥- صالح جبر.

وكان منهم ٣٥ وزير سابق، ورئيس وزارة واحد، ٣٠ من العسكريين وكبار الضباط، ٤٠ طبيب، ١٢ محام، ١٨ سفير وموظف في الخارجية، ١٥ من حملة شهادات الدكتوراة، ٨ موظفين كبار من المحافظين والمديرين (٥٣).

وكان من التأثيرات السلبية للماسونية في العراق إسهاماتها الباطنية في تأجيج الطائفية الشيعية وطائفية الدولة العراقية معاً، وفي إيجاد نوع من التغريب الثقافي والروحي للمواطن العراقي، وبذر روح العداء بين الأقليات الدينية والتعشير الجديد... وفي مراحل أخرى كانت تعمل في الخفاء لتحقيق المشروع الصهيوني.

ومن الأشياء التي يجتّب أن نقف عندها، تلك الأصوات التي تنادي بإسهامات الماسونية اليوم بقسط أساسي داخل العراق في تصعيد نجم الادعاءات المجانية في

الدفاع عن الحقوق المهضومة لهذه الطائفة، أو تلك ليجرى اختراق الميدان من بوابة الزعم بتمثيل طائفة بعينها من منطلق تقسيمى مرضى ينزع الهوية الوطنية، ويرجع بالشعب العراقى إلى الورا قرونا عديدة. حيث نظام الطوائف ما قبل الدولة، وقبل التنظيمات الحديثة التى تفرضها سنن التطور، والاستجابة لحاجات الإنسان وحقوقه، التى يتطلع إليها، وفى أحيان أخرى، تنتشر الأقاويل بأن الرئيس الراحل «صدام حسين، ما هو إلا صنيعة ماسونية»^(٥٤).

وفى ٢ مايو ٢٠٠٦ أعلن محفل نيويورك الأكبر أنه أسس أول محفل ماسونى أمريكى بعد تحرير العراق فى مطار الأسد على بعد ١٢٠ كيلومتر إلى الغرب من بغداد، وأعلنوا أنه لخدمة الماسون من القوات الأمريكية فى العراق، وحددوا موقعه على خريطة نشرها على موقعهم على الانترنت^(٥٥).

الماسونية فى دول الخليج العربى،

لم تبعد المحافل الماسونية عن منطقة الخليج كما يعتقد البعض، ومن الطبيعى أن توجد ما دامت الجاليات الأجنبية موجودة، لكن ليس من الثابت إنشاء محافل وطنية فى منطقة الخليج، بل كانت كل المحافل التى أنشأت ذات رعاية أجنبية خارجية، وتتبع شروق ماسونية كبرى فى البلاد العربية المجاورة لها. وكان هناك فى البحرين محفلاً ماسونياً تحت رقم (٧٣٨٩) يرتبط ارتباطاً وثيقاً بجمعية (الأخوة) Brotherhood فى بغداد.

أما أهل الكويت فكانوا ينفرون من الماسونية والماسون، لكن ذلك لم يمنع من وجود محفل ماسونى كويتى سمي باسمها (محفل الكويت رقم ٦٨١٠)، وكان يرتبط أيضاً بجمعية (الأخوة)، والجمعية البغدادية فى بغداد. فقد كان النشاط الماسونى بالكويت لا يخرج عن السيطرة الماسونية العراقية طوال عهده^(٥٦).

ومن الحوادث السياسية التى ارتبطت بالماسونية فى دولة الكويت، والتى تؤكد ابتعاد أهل الكويت عن الماسونية، وعدم إقبالهم على الانضمام إلى محافلها وأن

الأغلب من المنضمين إلى المحافل الماسونية من الأجانب، عندما كان الشيخ «أحمد جابر الصباح» أمير الكويت رحمه الله مهتما برفع مستوى التعليم ببلاده. وقرر في مجلسه جلب مدرسين لائقين من إحدى البلدان العربية المجاورة، وأقرت الأكثرية جلبهم من العراق حيث رأوا من الأفضل تطبيق المنهاج الدراسي العراقي في المدارس الكويتية كيما يتسنى لخريجي المدارس الابتدائية في الكويت القبول في المدارس الثانوية العراقية التي لا تكلف الطالب الكويتي نفقة باهظة أو سفرا بعيدا.

لكن الشيخ أحمد الجابر الصباح أمير الكويت أبى الموافقة على ذلك لأسباب لم يعلنها آنذاك، ربما لأنه لا يثق في التعليم العراقي، وأشار بجلب المدرسين من الديار المصرية، وقرر أنه سيراجع الأستاذ الأعظم الماسوني «محمد رفعت بك» سكرتير المحفل الوطني الأكبر المصري الماسوني.

لكن غالبية أعضاء مجلس المعارف عارضوا في ذلك معارضة قوية، لأن جمهور الكويتيين ينفرون من الماسونية والماسون فضلا عن احتجاجهم بأن أجور المصريين فادحة، وعرضوا على الشيخ أحمد الجابر الصباح أن يختار بين جلب مدرسين من العراق أو من فلسطين على أن يوصى عليهم مجلس المعارف نفسه، فقرر الشيخ أحمد الجابر بأنه: لا بأس من جلب مدرسين من فلسطين^(٥٧).

ولقد تبين أن السفارة البريطانية في بغداد وقنصليتها في البصرة تمدان محافل الخليج العربي بالمساعدات المالية، وأن محفل بابل في البصرة كان يعقد اجتماعاته أحيانا في كنيسة القديس سانت بيتر، وهي نفس الكنيسة التي لوحقت بعد ثورة يوليو ١٩٦٨ بسبب صدور إشارات لاسلكية منها، وتبين من إفادات بعض الجواسيس الذين أعدموا بعد ذلك أنهم نقلوا جهازا لاسلكيا إلى الكنيسة، ولم تتمكن أجهزة الأمن من العثور عليه، بسبب نقل أحد الجواسيس قبل إعدامه الجهاز من الكنيسة إلى إحدى السفن الإنجليزية حيث كان يعمل موظفا في ميناء البصرة. نعلم أيضا أن الأمن القومي المصري عثر على أجهزة لاسلكي في المحفل الماسوني بالإسكندرية عند اقتحامه.

وقد عثر على رسالة موجهة من الإنجليزى «إيفور جون» إلى سكرتير محفل بابل فى البصرة يذكر فيها أن محفل (الكويت) لديه قائمة انتظار ست سنوات، وهو لا يستطيع الانتظار للدخول إلى المحفل مدة ست سنوات (٥٨).

ولا توجد أدلة قاطعة بوجود محافل ماسونية فى دولة الإمارات العربية المتحدة، ولكنها كغيرها من الدول العربية أصدرت قرارات بتحريم ومنع الماسونية. ولكن ما الذى يمنع وجود محافل ماسونية فيها والخليج العربى كله كان يقع تحت سيطرة إنجليزية واتفاقيات بين الحكومة البريطانية وشيوخ الخليج، وبالتأكيد هناك جالية أجنبية تحتاج لممارسة الطقوس الماسونية.

الماسونية فى الأردن،

أسس الفلسطينيون الذين انتقلوا إلى عمان محفلاً ماسونياً تابعاً للمحفل الاسكتلندى، وذلك بعد حرب عام ١٩٤٨ فى فلسطين، وضم الضفة الغربية من نهر الأردن إلى المملكة الأردنية الهاشمية. وقرر الماسونيون الأردنيون تأسيس منظمة ماسونية خاصة باسم (الحركة الماسونية العربية) هدفها التعاون مع المحافل الماسونية المتعاطفة معهم فى مختلف أنحاء العالم، من أجل إنصاف عرب فلسطين وإطلاع العالم على مأساة اللاجئين الفلسطينيين، وعدم ترك الساحة للصهيونية لتبقى حرة تعمل فى الماسونية ما تشاء (٥٩).

وفى مطلع السبعينيات قامت قوات تابعة لمنظمة التحرير الفلسطينية باقتحام مبنيين للمحفل الماسونى الأردنى، الأول بجبل عمان، والثانى قرب القلعة. وصادرت المنظمة كل الأوراق التى وجدوها ونشروها فى العددين ١٤٢، ١٤٣ من مجلة فلسطين الثورة فى عددين مدمجين فى ١ فبراير ١٩٨٥. وكانت الأوراق المنشورة تضم وثائق فى غاية الخطورة، وهى بعض الخطابات المتبادلة بين الملك حسين عاهل الأردن والأستاذ الأعظم مدى الحياة «حنا أبى راشد». كما ضمت الأوراق كل أسماء أعضاء المحافل الماسونية فى الأردن حتى عام ١٩٧٥. وقد تبين من تلك الأوراق أن كبار

رجال الدولة ورجال الجيش والأعمال ورئيس الديوان الملكي «بهجت التلهوني»، كانوا أعضاء في المحفل الماسوني الأردني.

ومن أخطر تلك الأوراق هذان الخطابان اللذان كانا تأكيداً على ماسونية الملك حسين ورئيس وزارته، وهذا نص الأولى:

حضرة السيد حنا أبو راشد المحترم - بيروت...

تلقيت ببالغ السرور والتقدير كتابكم المؤرخ في ١٤/٠٦/١٩٥٧م، ومرفقه فشكرت لكم أعظم الشكر نبيل عواطفكم وصادق مشاعركم وأمانيتكم. وإنني إذ أتقبل بالغبطة والابتهاج قراركم الأمثل بمنحى أسمى درجات الماسونية الأخيرة، ووضع رسمي في صدر المجلس السامي المثالي العالمي ليطيب لي أن أعرب لكم عن عميق شكري وخالص امتناني وتقديري مع أطيب التمنيات لكم بدوام النجاح في خدمة المثل السامية التي تقصدون لتحقيقها والمبادئ الرفيعة التي تدأبون على نشرها لخير البشر وهداية الإنسانية... حفظ الله ذاتكم الرفيعة وأيدكم بالصحة والسعادة والسودد.

في ٢٤ ذي الحجة ١٣٧٦ الموافق ٢٣ تموز ١٩٥٧

(حسين بن طلال)

ومن المعروف أن «بهجت التلهوني» كان ماسونياً، وكان يعمل كحلقة وصل بين الملك حسين والمحفل الماسوني، وربما يكون الملك حسين قد تأثر بالتحاليم الماسونية أثناء فترة تعليمه في بريطانيا بكلية (ساندهيرست).

والرسالة الثانية من بهجت التلهوني إلى حنا أبي راشد، وفيها:

حضرة الفاضل السيد حنا أبي راشد المحترم - عميد الطرق الماسونية المثالية العالمية والقطب الأعظم - بيروت.

السلام عليكم والرحمة: وبعد:

فقد تسلمت رسالتكم الرقيقة المؤرخة في ١٤/٠٦/١٩٥٧ ومرفقه، فإنني أشكركم على كريم عواطفكم وجميل مشاعركم الطيبة وإنني إذ أتقبل بالسرور والتقدير قراركم لانتسابي إلى الماسونية وملحى الدرجة ٣٣ يسرني أن ابعث لكم شكرى وامتنانى مع أطيب تمنياتى بدوام التوفيق لخدمة المقاصد السامية... منتهزا هذه الفرصة لأقدم لشخصكم الكريم أجزل تحياتى وتمنياتى القلبية.

عمان في ٢٥/٠٧/١٩٥٧

المخلص، بهجت التلهوني

ولا يمكن تجاهل تأثير الماسونية العالمية على نظام الحكم وعلى تطور الحياة السياسية في المملكة الأردنية... والندهش أن الوثائق التي كشف عنها تبين أن كبار المسؤولين الأردنيين الذين لعبوا أدوارا رئيسية في السياسة الأردنية كانوا أعضاء في المحفل الماسوني وتبين أن رئيس الوزراء سمير الرفاعي كان عضواً في المحفل الماسوني وعثر على كتاب تكريمه وتعميده في خزائن المحفل في جبل عمان.

وكان أشهر المحافل الماسونية في الأردن يعرف باسم محفل (النصر)... وكان أبرز قادته «عبد المجيد مرتضى» الذي كان يشغل منصب وكيل وزارة المواصلات، وكان لقبه القطب الأعظم وكان من خلال منصبه يشرف على جميع الهواتف في المملكة.

أيضا صلاح الدين الصلاحى وإبراهيم عنز. وتبين أيضا أن عبد الرزاق الحباشنة كان من أهم قادة المحفل. وكان المطرب توفيق النمرى عضواً في المحفل، ومكلفا بإحياء ليالى السمر في المحافل الماسونية بإشراف أمين سر المحفل حنا حاطوم.

ووفقا للوثائق التي كشف عنها فان آخر جلسة للمحفل في عمان وقبل مداهمة المقر من قبل الفلسطينيين كانت مخصصة لترفيه خمسة من الإخوان الماسون

والأعضاء الخمسة الذين رفعوا هم: «راضى على المومنى، داود يوسف سروجى، حنا وديع حنا، على عز الدين بيشة، ادوارد ريجنالد لدجر، عادل عبد القادر الطراونة».

وفى ختام الجلسة تم تنصيب رجا غندور رئيسا للمحفل والتصويت على قبول عضوية ثلاثة أشخاص هم: «أنور محمد العطار، محمد إسماعيل كامل الأجزى، أنطون يعقوب قصير».

ومع أن المحافل الماسونية في الدول العربية كانت موجودة وتمارس نشاطها بالسر والعلن إلى أن تم إغلاق مكاتبها في مصر وسوريا والعراق، إلا أن أعضاء هذه المحافل ظلوا في هذه الدول على هامش الحياة السياسية. أما في الأردن فانتشروا في كل مرافق الحياة وسيطروا على القصر ورئاسة الوزارة وجميع أجهزة الدولة.

ولا يزال المحفل الماسونى في الأردن من أنشط التنظيمات السياسية، التى تعمل فى السر، ويزيد عدد أعضاء المحفل الماسونى عن عدة آلاف، ولا زالوا حتى اليوم يوزعون بيان السكرتير الأعظم الدكتور «سيف الكيلانى، الذى أعلنه باسم الماسون فى عام ١٩٦٤، واعتبر دستورا للحركة الماسونية فى الأردن»^(٦٠).

الماسونية في فلسطين:

تأسس أول محفل ماسونى فى القدس فى مايو سنة ١٨٧٣ واسمه محفل (سليمان الملوكى الأساسى) تحت رقم ٢٩٣. وبعدها توالى تأسيس المحافل الماسونية فى فلسطين حتى إذا حلت العشرينيات كانت المحافل الماسونية الفلسطينية تملأ المدن الفلسطينية كلها بشكل ملحوظ^(٦١).

وقد تأسس محفل (الباكس) فى القدس وكان يرأسه وهبة تمارى، ومحفل (هيكل سليمان) فى يافا، ومحفل (الاتحاد الفلسطينى)، ومحفل (سيناء) فى غزة.

وتأسس أيضا (المحفل الفلسطينى) وكان رئيسه «يعقوب نزهة» وسكرتيه «اسبيرو الخورى».

وكان كثير من أعضاء المحافل الماسونية في فلسطين يتبوءون أعلى المناصب في فلسطين. وكانوا ممن أنيطت بهم قيادة القضية الفلسطينية. فقد كان أربعة من أعضاء الوفد الفلسطيني الذي انتخب بقرار من المؤتمر الفلسطيني الرابع المنعقد في القدس (٩ مايو - ٢ يونيو ١٩٢١) للسفر إلى أوروبا ومفاوضة الحكومة البريطانية في أغسطس ١٩٢١ من الماسون. وكان عدد أعضاء الوفد ستة.

كما أن الحاج (توفيق حماد) كان الوحيد الذي لم يكن ماسونياً بين الأشخاص الخمسة الذين أنيطت بهم متابعة القضية في الدوائر السياسية وفي جديف.

وفي الثلاثينيات كان في فلسطين أكثر من سبعة عشر محفلاً يتبع المحفل الأكبر الوطني المصري، منها محفل (يافا) الذي كان يرأسه «عمر البيطار» رئيس الجمعية الإسلامية - المسيحية، ومحفل (غزة) وكان رئيسه «فهمي الحسيني» رئيس بلدية غزة، وكان اثنا عشر محفلاً منها يؤلف اليهود أغلبية أعضائها حتى قيل أن نسبتهم فيها بلغت ٨٥٪.

وقد حملت الظروف العامة في فلسطين وحركة توحيد الماسونية أعضاء هذه المحافل إلى عقد عدة اجتماعات خرجوا منها بنتيجة واحدة، وهي ضرورة تشكيل محفل وطني فلسطيني أعظم.

وقد أعلنوا تشكيل هذا المحفل فعلاً برئاسة «أدون كروتسكي» المحامي في تل أبيب. إلا أن المسؤولين في المحافل الأخرى تداعوا إلى اجتماع، واحتجوا لدى المحفل الاسكتلندي الأعظم ملتمسين منه الاعتراض على ذلك. كما طلبوا إلى محفلي مصر العظميين.

وقد كانت الماسونية في مصر منشقة على نفسها حينئذ، ويتنازع الشرعية فيها محفلاًها عدم الاعتراف بالمحفل الأعظم الفلسطيني. لكن محفل الشرق الأعظم المصري بدلاً من أن يستجيب لهذا الطلب، استرد من جميع المحافل التابعة للماسونية المصرية براءات تشكيلها، ثم أصدر قراراً بنذب وفد لتثبيت المحفل الأكبر الفلسطيني

برئاسة «فؤاد حسنى بك» رئيس نيابات الاستئناف المختلطة. ولما وصل الوفد إلى ميناء يافا كان في استقباله الدكتور «يعقوب نزهة» نائب رئيس المحفل الفلسطيني الأكبر، والمهندس «سبيرو الخورى» سكرتير المحفل، ومستر «كوخ» مهندس مدينة القدس، ورئيس محفل (الباكس)، أيضا «وهبة تمارى» رئيس محفل (هيكل سليمان) في يافا.

وبعد أن زاروا جميعا رئيس المحفل المحامى كروتسكى فى تل أبيب غادروها إلى القدس حيث جرى الاحتفال بتكريس المحفل الفلسطيني الأعظم مساء ٩ يناير ١٩٣٣، وقد صرح رئيس الوفد لمراسل جريدة المقطم فى فلسطين قائلا: «أن محفل فلسطين مستقل تماما، وإن المحفل المصرى يعترف له بهذه الصفة». ولما سأله المراسل، هل جميع المحافل التى أنشئت وستنشأ فى فلسطين يجب أن تكون تابعة لهذا المحفل الفلسطينى الجديد؟ أجابه أن القانون الماسونى يقضى بذلك وينص عليه. ثم سأله المراسل عن صحة ما يشاع فى فلسطين من أن هذا المحفل يهوى، فأجاب رئيس الوفد: «إن الماسونية لا تفرق بين الأديان».

وبعد حرب عام ١٩٤٨، وضم الضفة الغربية من نهر الأردن إلى المملكة الأردنية الهاشمية، بقيت المحافل التى كانت قائمة فى المدن الفلسطينية المنضمة تمارس أعمالها كالسابق، كما أسس الفلسطينيون الذين انتقلوا إلى عمان محفلاً ماسونياً تابعا للمحفل الاسكتلندى (٦٢).

المحافل الإسرائيلية فى فلسطين؛

تشكلت أولى المحافل الإسرائيلية التى كانت تضم اليهود فقط فى عام ١٩٣٣، وكان ذلك قبل تكوين دولة إسرائيل. وظلت المحافل الإسرائيلية تعمل فى عزلة تامة نظرا لرفض المشرق الدولية رعاية الماسونية الإسرائيلية، وخاصة المحفل الأكبر الإنجليزى الذى كان رافضا لسلوك المحافل الماسونية الإسرائيلية.

وعملت المحافل الإسرائيلية على توحيد صفوفها وتحسين سلوكها الدولى كى

يتم الاعتراف بها دولياً . وتحقق هذا في عام ١٩٥٣ في مؤتمر ماسوني أقيم في القدس، حضره الأخوين إيرل الجين وكينكاردين أستاذ أعظم سابق للمحفل الأكبر الاسكتلندي، وهو من كبار رجال الماسونية في إسرائيل. أيضاً حضره و.م. برو وشبتاي ليفي رئيس بلدية حيفا، وأنشئت أولى المحافل الماسونية الكبرى الإسرائيلية.

لقد تأسس في إسرائيل حوالي ٣٠ محفل ماسوني، وازداد عدد تلك المحافل التي عملت تحت رعاية المحفل الأكبر الإسرائيلي زيادة ملحوظة خلال السنوات الأخيرة. وتعددت اللغة التي يعملون بها ولكنها في أغلب الأحيان بالعبرية.

ذلك لم يمنع وجود بعض المحافل الماسونية في إسرائيل تنطق بلغات أخرى غير العبرية، فهناك محفل (فرنسا رقم ٧٧) الذي ينطق بالفرنسية، ويعمل حتى وقتنا الحاضر. وقد شيد هذا المحفل في حضور ليفي من كبار الماسون الفرنسيين.

ويقولون أن تاريخ الوجود الماسوني في الأرض المقدسة بدأ عندما كان الماسون يحتفلون بالهيكل المقدس في فلسطين في عام ١٨٦٨، ويقال أن الاحتفال كان في واحد من الكهوف العميقة تحت أسوار مدينة القدس، وعمل بعد ذلك الاحتفال الدكتور «روبرت موريس» أستاذ أعظم (محفل كنتاكي الأكبر) في أمريكا على محاولات لتأسيس بعض المحافل الماسونية في فلسطين الأرض المقدسة بمنطوقهم.

وفي عام ١٨٧٣ نجح الدكتور موريس في الحصول على تفويض بإقامة محفل ماسوني من المحفل الأكبر الكندي في أونتاريو، وأنشأ محفل (مملكة سليمان رقم ٢٩٣) في القدس. وكان هذا المحفل هو أول محفل يخدم الأهداف اليهودية في الأرض المقدسة، وكان معظم أعضائه من الأمريكيين المستوطنين في يافا.

لقد كانت أهداف ذلك المحفل صهيونية واضحة، فقد أسس جمعيات كان هدفها تهجير الفلسطينيين، والعمل على تمهيد الوجود الإسرائيلي بالأراضي المقدسة. ولكن ذلك المحفل توقف عن العمل فجأة في عام ١٩٠٧ .

أما ثاني المحافل الماسونية فقد تأسس في عام ١٨٩٠، حينما قامت مجموعة من اليهود والعرب بتقديم التماس للعمل بطريقة (مصريايم) لدى المحافل الماسونية في باريس. وكانت تلك الطريقة نشطة آنذاك في مصر.

وتأسس محفل (ميناء معبد الملك سليمان) Le Port du Temple de Roi Salomon وكان يعمل باللغة الفرنسية. وبعد فترة قصيرة من إنشاؤه تدفق عدد كبير من المهندسين الفرنسيين الذين أتوا للعمل في بناء خط سكة حديد (يافا - القدس) وانضم معظمهم إلى المحفل.

وتوالى بعد ذلك إنشاء المحافل التي كانت ذات طابع إسرائيلي صهيوني مثل محفل (الكرمل رقم ١٠٨٥) في حيفا الذي تأسس في ٤ مايو ١٩١١ وكان يعمل باللغة العربية والإنجليزية معا، ثم تحول إلى الإنجليزية كلية، ومحفل (الأردن رقم ١٣٣٩) في يافا وتأسس في ٢٨ مايو عام ١٩٢٥ ويعمل باللغة العبرية وبعد انتقاله إلى الأردن فيما بعد أصبح باللغة العربية، ومحفل (المدينة المقدسة رقم ١٣٧٢) في القدس وتأسس في ١٢ يناير ١٩٣١ ويعمل باللغة الإنجليزية، ومحفل (رابين رقم ١٣٧٦) في حيفا وقد تأسس في ١٤ سبتمبر ١٩٣١ ويعمل باللغة العبرية، ومحفل (متزاف رقم ١٣٨٣) في القدس وتأسس في ١٩ يناير عام ١٩٣٣ ويعمل باللغة العبرية، ومحفل شارون رقم (١٣٨١) في تل أبيب وتأسس في ٣٠ يناير عام ١٩٣٥ ويعمل باللغة الإنجليزية، ومحفل (أبيب رقم ١٣٩٧) بتل أبيب وتأسس في ١٨ يناير عام ١٩٤٠ ويعمل باللغة الإنجليزية ثم تحول إلى العبرية، ومحفل (المنورة رقم ١٩) في حيفا وقد تأسس في عام ١٩٤٤ ويعمل باللغة العبرية^(٦٣).

الماسونية في تونس والجزائر والمغرب:

تحت عنوان (محنة الماسونية هي محنة الحرية) نشرت صحيفة التاج المصري الماسونية في مصر، متسائلة، لماذا تغلق المحافل الماسونية في سوريا ولبنان بعد أن أغلقت في تونس والجزائر، كان هذا الخبر في عام ١٩٤٠، وغالبا فإن قرار إغلاق

المحافل في تلك البلاد نتيجة لظروف الحرب العالمية الثانية.

وذكرت الصحيفة «أن الماسونية نعمة ومنحة سامية، ولهذا فهي تمنع من الشعوب التي تقع فريسة للبرابرة الجدد. كيف يفكر هتلر وعبيده؟ أنهم يقسمون الناس إلى طائفتين سادة وعبيد، ولهم آداب للسادة وآداب للعبيد، ونحن الشرقيين جميعاً لا نظفر في قاموس الطغاة إلا بتعبير العبيد، والآداب التي تطبق علينا هي آداب العبيد. والماسونية - من هنا - لا تكون إلا من امتيازات السادة لأن حق التفكير والنقد والتمرد محظور على العبيد، ومن هنا تحارب المحافل الماسونية وتلغى محافلها في سوريا ولبنان بعد أن حوربت في تونس والجزائر» (٦٤).

وهكذا نكون قد تأكدنا مع أن البيانات لازالت غائبة من وجود الماسونية في تونس والجزائر. ولقد أثرنا ذكر ذلك هنا كي تصمت الألسنة التي تنفى وجود الماسونية في تونس والجزائر.

في عام ١٩٥٢ قامت مجموعة من الماسون الإنجليز والفرنسيين المستقرين في المغرب بالعمل على تأسيس محافل ماسونية بعد أن رأوا أن الجاليات الأجنبية كثيرة العدد، وخاصة أن بعض الأمريكيين والفرنسيين والإنجليز ممن كانوا من الماسون في بلادهم لا يجدون محفلاً عاملاً يخدمهم، حتى إذا ما استقرت الأمور فقاموا بتدشين قاعة (الكونكورد) الماسونية في الدار البيضاء.

وأصبح هذا المحفل الجديد هو حجر الزاوية لكل المحافل الماسونية التي تأسست بعد ذلك. وسرعان ما بدأت التماسات الانضمام تتدفق على المحافل نظراً لوجود قاعدة جوية أجنبية على بعد ٣٠ ميل بحري من الدار البيضاء.

وجهزت القاعة الماسونية بالدار البيضاء بأفخر الأثاث وزينت الجدران بالورود والزخارف المتقنة، وحين الانتهاء من تجهيزها طلب الكولونيل «سام سميث»، قائد القاعدة الجوية بأن يكون عدد الاجتماعات الشهرية ثمانى اجتماعات، وكان هذا المحفل من أروع المحافل تنظيماً، ويضاهي تلك المحافل التي تنتشر في باريس.

ومع أن طبيعة الأعضاء العسكرية، ودوام تنقلهم إلا أنهم حرصوا على عدم ترك النشاط الماسوني في أماكن وجودهم، وحرصوا على ضم المدنيين، على الرغم من أن المغاربة كانوا حريصين جدا من التعامل أو الانضمام إلى النشاطات الماسونية. وتم تأسيس محافل في باقي مدن المغرب في الموانئ الساحلية والمدن الصغيرة والقرى وكل مكان يتواجد فيه الأجانب. ومن أشهر المحافل التي تأسست، محفل (آرثر ت. ويد رقم ٥٨)، ومحفل (جون ج. كيسلبي رقم ٦٠) وكانوا بالقرب من مراكش.

واستمرت الحال هكذا حتى منعت المحكمة العليا في المغرب في مارس ١٩٧٣ وبعد إجراءات قضائية طويلة تأسيس المحافل الماسونية في المغرب نظرا لتنافي تعاليمهم مع تعاليم الإسلام^(٦٥).

ولكن في عام ١٩٩٩ أعيد تأسيس المحفل الأكبر المغربي، بواسطة الأستاذ الأعظم الماسوني «كلود شاربونيادو»، وقد دعا إلى حفل التأسيس الأستاذ الأعظم لمحفل تركيا الأكبر «ساهر طلعت أكيف»، لكنه لم يستطع الحضور نظرا لمرضه المفاجئ الذي استمر حتى وفاته في ١٤ يونيو عام ٢٠٠٠. ومن الواضح أن الماسونية في المغرب كانت وما زالت ذات طابع أجنبي لا يضم الوطنيين إلا فيما ندر.

شخصيات ماسونية:

كثيرا ما سمعنا عن شدة انتماء الماسون لعشرتهم الماسونية، وقرأنا على لسان الماسون أنفسهم أن انتمائهم الأول في دنياهم للماسونية والماسون، لدرجة أن أعلن أحد الماسون في محفل (صلاح الدين) بالمنصورة ذات مرة لو لم أكن ماسونيا لوددت أن أكون ماسونيا...^(٦٦).

ولكن الماسون اتخذوا شعار (حرية - إخاء - مساواة)، ذلك الشعار الجميل الذي بنت عليه الشعوب المقهورة آمالهم في الحرية، وجميل أن يؤمن الجميع بذلك الشعار. ولكن...

من وجهة نظري أن تلك الشعارات عظيمة في نطاق المجتمع ورفعته في كافة المجالات، ولكن ما أن نقصره على فئة معينة أو جمعية خاصة، وينصب كامل انتماء العضو لها يفقد هذا الشعار مضمونه. والماسونية جمعية دولية ينتمى إليها الملايين من البشر المختارين بدقة، وكلهم يحملون ذلك الشعار رمزا لانتمائهم المطلق للعشيرة الماسونية ليسمو بهم فوق الأديان والأوطان.

وهكذا فهذا الشعار الماسوني يدغدغ الانتماء للوطن والدين والأهل، ولا يؤكد له لو كان موجها لفئة أو جماعة معينة.

ولقد انضم العديد من مشاهير العرب إلى الماسونية. ولكن لماذا وكيف وما أهدافهم من دخولها؟ وهل الماسونية حققت أهدافهم؟ أم أن الماسونية حققت أهدافها من خلالهم؟.. أنا أرى أن الاثنين معاً قد تحققا، فيمكن للماسونية أن تحقق أهدافها من خلال ذوى النفوذ من الماسون، ويمكن للماسون تحقيق كل ما يحلمون به من خلال الماسونية. ولكن... ليس كل الماسون بتلك الصورة، ومنهم من دخلها لإضفاء وجاهة اجتماعية، ومنهم من دخلها لتجمع أكبر عدد من وجهاء المجتمع فيها، فيمكنه عرض قضية يتبناها أو يعرض عملاً أدبياً أو فنياً، أو أى من المسائل التى يمكن أن يستفيد من ذلك التجمع الهائل فيها^(٦٧).

ولقد تعرضت الجرائد والنشرات بالنقد والقدح لبعض أعضاء المحافل الماسونية، ووصفتهم بالمفسدين والسفلة، وإن حاولت فى نفس الوقت تبرئة ساحة الماسونية من هؤلاء الذين دخلوها لأغراض دنيئة، والتأكيد على أن السواد الأعظم من الماسون أجلاء فضلاء، وأنه يجب تنقية المحافل من العناصر الرديئة. واستشهدت تلك الجرائد بأوامر الأستاذ الأعظم للمحفل الأكبر المصرى بضرورة انتقاء غير الماسون قبل قبولهم فى الماسونية، وضرورة التحرى عنهم فى قلم السوابق بالمديريات والقنصليات^(٦٨).

ونحن نحتار دائماً فى تقييم هؤلاء الماسون حينما نرى أفعالهم لمجتمعاتهم

وأقوالهم، وها هو «أمين الريحاني، هذا الأديب والفيلسوف اللبناني (دينى ووطنى وبطيرىكى مبدأى وكنيستى أدبى وطائفتى أمتى) . ويطبع التمرد الكثير من كتابات أمين الريحاني . وذلك لعدة أسباب منها انتقاله المبكر من تقاليد قديمة غاية فى التخلف نشأ فى ظلها، إلى تقاليد الحياة والمجتمع فى نيويورك التى هاجر إليها وهو طرى العود وترعرع فى جوها البروتستانتى، واخذ من التعاليم الماسونية ما يكفيه . فقد كانت الماسونية آنذاك حركة تحرر وتنوير . وكان الأفغانى، على سبيل المثال من الماسون فى نهاية القرن الماضى .

وفى مذكرات مارون عبود (١٨٦٨-١٩٦٢) : «من الواضح أن دعوة الماسون إلى إنشاء مدارس مجانية ليست بدعة وقد سبقهم إليها الإكليروس بتطوير وصية المسيح (بيتى بيت صلاة لتصبح بيتى بيت صلاة وعلم)» .

ولقد تأثر أديب إسحق (١٨٥٦-١٨٨٥) بالثورة الفرنسية، وتكرس على يد الأفغانى فى الماسونية، وانخرط فى حزب مصر الفتاة، وكان بإشراف الشيخ «محمد عبده» ومشاركة القس لويس صابونجى وكان ماسونياً . وشارك «محمد جميل بيهم» (١٨٨٧-١٩٧٨) «جرجى نقولا باز» فى معركته لتحرير المرأة، وكانا من الماسون، وكان جميل بيهم معارضاً شديداً للانتداب الفرنسى . وفى عام ١٩٢٢ انتخبه المؤتمر الماسونى العام فى دمشق رئيساً له . أما «جرجى نقولا باز» (١٨٨١-١٩٥٩) فهو أديب ومؤرخ وصحافى، صاحب مجلة الحساء، وله عشرات التراجم والعديد من المقالات الاجتماعية والأدبية، وكان منصبه الماسونى هو الخطيب الأعظم لمحفل لبنان المثالى الأكبر .

وكان الماسونى «نسيب داود أبو شقرا» (١٩٠٧-١٩٨٩) هو أول قائد للشرطة القضائية فى لبنان، وحامل أكبر عدد من الأوسمة البوليسية والقضائية العربية والدولية . ودخل الماسونية فى عام ١٩١٤ . إلا أنه فى إحصاء نفوس لبنان فى عام ١٩٢٢ رغب فى كتابة مذهبه لا دين .

أما «اسكندر البارودي» (١٨٥٦-١٩٢١) فكان أول مؤسس لجمعية الأطباء والصيادلة، وتم تكريسه في محفل لبنان ثم محفل حرمون ثم رئيساً لمحفل السلام ١٨٩٩ . ويعتبر من مؤسسي المحافظ في دمشق وطرابلس وزحلة وحيفا. وكان «جبران تويني» (١٨٩٠-١٩٤٧) الناطق باسم اللبنانيين الأحرار ماسونياً حراً أيضاً، وصاحب جريدة النهار ١٩٣٣ ووزيراً للمعارف في حكومة «أوجست أديب».

واقترن اسم طه حسين باسم أحد أقطاب الأدب العربي أنيس الخوري المقدسي (١٨٨٥-١٩٧٧) في ميدان الجهاد الأدبي، والمقدسي من مواليد طرابلس وحائز على الماجستير في الآداب، ونظم الدائرة العربية في كلية أسيوط بمصر. وكان من أنشط الماسون في المنطقة العربية^(٦٩). ومن المعروف أن «طه حسين» كان عضواً في محافظ ونوادي الروتاري في مصر حينما كان وزيراً للمعارف.

ولقد انضم إلى سلك الماسونية العديد من السياسيين وأصحاب الرأي، فدرى أن «شكري بك القوتلي» عضو الكتلة الوطنية بدمشق ورئيس الدولة فيما بعد كان في حقبة الأربعينيات ماسونياً نشطاً. وكما علمنا أثناء حديثنا عن الماسونية في العراق بأن وجهاء المجتمع العراقي انضموا إلى الماسونية وكان لهم تأثير ونفوذ واضح على مستقبل بلادهم.

ومن الواضح أن خدمات «سعد زغلول» للماسونية لم تنتهي، وكان من الماسون الذين انضموا إلى محفل الأفغاني، وقد منح في العشرينيات لقب الأستاذ الأعظم الفخري للمحفل الأكبر الوطني المصري، مما جراً المحفل الأكبر على أن يكتب ذلك بصورة رسمية على غلاف جريدة حيرام التي كانت تصدر في الإسكندرية، فقد كتب عليها بجوار اسم الجريدة (حرية - إخاء - مساواة، الأستاذ الأعظم الفخري وصاحب الدولة سعد زغلول باشا)^(٧٠). إلا أنه كان يتزعم حركة وطنية تهدف إلى الحصول على الجلاء البريطاني الكامل.

وكان «جمال الدين الأفغاني» صاحب فكرة الجامعة الإسلامية ورائد الحركة

الإصلاحية، وكان ماسونياً وصاحب محفل ماسونى، وكان من مريديه الإمام محمد عبده ويعقوب صنوع والنديم وسعد زغلول وغيرهم ممن تولوا بعد ذلك حركة الجهاد الوطنى.

ولقد رأى «عبد الرحمن الرافعى» أنه لا حرج على المرء من انتسابه إلى تلك الجمعيات، وقد أفاد منها الأفغانى، ويؤكد أنه من خلال اشتراكه فى جمعية الماسون العربية سنة ١٨٧٨ أصبح كثير الأصدقاء والصلات بأصحاب المناصب العالية حيث وجد من خدم أفكاره وعبر عنها، فكان الشيخ محمد عبده وإبراهيم اللقانى وعلى بك مظهر، والشاعر الزرقانى وأبو الوفا التونى فى القاهرة وسليم نقاش وأديب إسحق وعبد الله النديم بالإسكندرية^(٧١).

وهكذا ليس شرطاً أن يسبب الماسونى أذى لمجتمعه بل منهم المفيدون للمجتمع، ولكننا لا ننفى عن البعض استغلالهم للجمعيات الماسونية فى زيادة نفوذهم وثرواتهم، واستفادة الماسونية منهم فى كثير من المسائل التى تضمن لها البقاء بدورها.

هوامش الفصل الرابع

(١) للمزيد عن أسماء الشخصيات التي انضمت إلى الماسونية، ودلائل انضمامها بالصور والوثائق؛ أنظر: وائل إبراهيم الدسوقي، الماسونية في مصر (٢٠٠٥: ١٧٣-٢١٥).

(٢) ذكرت حكمت المر أن المحفل الأكبر السوري العربي الذي تأسس في عام ١٩٥٠ قد (قبل) عضوية الرئيس جمال عبد الناصر والرئيس السوري شكري القوتلي، وكان هذا المحفل يعمل تحت سلطة المحفل الأكبر الوطني المصري. ولقد كان المصدر الذي استقت المرمز منه المعلومة هو ما كتبه حنا أبي راشد وهو من أقطاب الماسونية في الشام، في (دائرة المعارف الماسونية)، والذي ذكر أيضاً: أن المجلس السامي الـ٣٣ السوري العربي، قرر اعتماد محمد أنور السادات أستاذاً أعظم شرفي في المحفل الأكبر السوري العربي؛ أنظر: حكمت المر، أسرار (١٩٩٢: ١٢٥)؛ اسكندر شاهين، الماسونية ديانة أم بدعة (١٩٩٩: ٤٨)؛ حنا أبي راشد، دائرة معارف ماسونية، ج ١، ط ١ (بيروت: مكتبة الفكر العربي، ١٩٦١)، ٣١٧-٣١٩؛ وائل إبراهيم الدسوقي، الماسونية في مصر (٢٠٠٥: ١٦٦، ١٦٧)؛ أيضاً: أنظر البرقيات التي نشرها حسين عمر حمادة في: الماسونية والماسونيون (دت: ٣٢٧) بين المحفل الأكبر السوري والرئيس جمال عبد الناصر؛ وقد نشرنا تلك البرقيات في الملاحق في آخر الدراسة التي بين أيدينا.

(٣) جورج زيدان، تاريخ الماسونية العام منذ نشأتها إلى اليوم (بيروت: ط ٢، دار الجيل، ١٩٨٢)، ٢١١؛ المقتطف (ج ١، مجلد ٦٦، ١ يناير ١٩٢٥)، ١٠٠.

(٤) لجأ الفرنسيون في مصر في إذاعة أخبارهم وأعمالهم إلى الصحافة إذ أنشأ بونابرت في مصر صحيفتين أولهما (كوربيه دوليجيت Courier de Le Egypte) والثانية (لا ديكاد إيجيبتين La Décade Egyptienne)، وعزم الجنرال منو على إصدار جريدة باللغة العربية باسم (التنبية Ad-vertisement)، وأصدر أمراً لكها لم تصدر؛ أنظر: صلاح الدين البستاني، صحف بونابرت في مصر ١٧٩٨-١٨٠١ (القاهرة: ط ٢، دار العرب، ١٩٩٦)؛ محمد نجيب أبو الليل، الصحافة الفرنسية في مصر منذ نشأتها حتى نهاية الثورة العربية (القاهرة: ط ١، ١٩٥٣)، ٢٦.

(٥) الطريقة الممفيسية Memphis - Misrîm Rite: هي إحدى الطرق الماسونية الفرنسية ذات الدرجات الكبرى. أخذت رموزها من الحضارة المصرية القديمة وبعض الحركات السرية مثل (الحركة الإسماعيلية - الروزيكروسيان أو أصحاب الصليب الوردى)، ومصريين أو مصريين في العبرية تعنى

مصر، وبدأت الطريقة في عام ١٧٣٨، وأغلقت على نفسها بشدة في مرحلة التكوين حتى عام ١٧٨٤، وساعد في تكوينها رجالا من مالطة كان أشهرهم مانويل بينتودي فونسيكا Manual Pinto Del. وبين عامي ١٧٦٧ و ١٧٧٥ وصلت إلى الدرجات الثلاث العالية، وأثبتوا طريقتهم في عام Fonseca ١٧٨٨ ليصبح لهم حق منح الدرجات الماسونية العالية والبراءات، وتطورت سريعا في ميلانو وجنوا والمدن الإيطالية. ويرى الممفيسيون أنه في عام ١٨٠٣ استطاع جوزيف مارك ومعه مايكل بيداريدي ضم بونابرت إلى صفوف الماسونية إلا أنه لم يذكر في مذكراته أو كتابات الآخرين أية إشارة إلى ذلك، وكانت محافظهم في إيطاليا تأخذ طابعا كاريوناريا ثوريا. وفي مصر تطورت الطريقة سريعا منذ أن تولى سالفاتور أفنتوري زولا الماسونية المصرية، لكن ذلك لا يمنع قدم عهدها في مصر. ونظرا لأساسها المصري فقد رفعت درجاتها إلى الدرجة ٩٠ عندما بهر الماسون في الحملة الفرنسية برموز الفراعنة على قبورهم، وعند الكشف عن مقبرة توت عنخ آمون رفعت الدرجات إلى ٩١، ٩٢، ٩٣، ٩٤، ٩٥، وتوقفوا عندما شاهدوا آثار أبي سنبل عند الدرجة ٩٦، وهي أعلى الدرجات التي راجت في فرنسا والدول الأوربية والأمريكية؛ للاستزادة: اسكندر شاهين، الماسونية ديانة أم بدعة (بيروت: ط ١، دار بيسان، ١٩٩٩)، ٥٧؛ أيضا:

<http://www.memphis-misraim.us/>; CF.:

<http://www.iss-ic-memphis-misraim.org/htm>; and:

<http://www.lebensland.de/memphis-mizraim.en/>.

(٦) المقتطف (ج ١، مجلد ٦٦، ١ يناير ١٩٢٥)، ١٠٠.

(٧) عبد المجيد يونس، المحفل الأكبر الوطني المصري، تقرير أعمال لعام ١٩٢٨ (القاهرة: الدار الماسونية المصرية، مطبعة عطايا، ١٩٢٨)، ص ١؛ سعيد الجزائري، الماسونية (١٩٩٢: ٣٢٧)؛ حكمت المر، أسرار الماسونية (١٩٩٢: ١١٧).

(٨) إسكندر شاهين، الماسونية ديانة أم بدعة (١٩٩٩: ٥٨، ٥٩).

(9) Bulwer Lodge, Freemasonry in Egypt: [www.sites.selectronics.co.uk / bulwer/intro.pdf](http://www.sites.selectronics.co.uk/bulwer/intro.pdf).

(١٠) شاهين مكاريوس، الآداب الماسونية (١٩٩٤: ٥٢٦).

(11) Bulwer, Freemasonry: www.sites.selectronics.co.uk/bulwer/intro.pdf.

(١٢) حكمت المر، أسرار (١٩٩٢: ١٢٢)؛ حسين عمر حمادة، الماسونية (د.ت: ٢١٩).

(13) A Sa Majeste Fouad, Roi d'Egypte Que Dieu Protégé Son Regne et son Oeuvre, In:

وثائق عابدين، المحفل الماسوني، محفظة ١٣، ٥٧٩، مارس ١٩٣٣.

(١٤) يعد الإيطاليون من أقدم الجاليات التي نظمت وجودها بمصر؛ أنظر: حكمت المر، أسرار (١٩٩٢):

(١١٧)؛ شاهين مكاريوس، الآداب الماسونية (١٩٩٤: ٥٢٦)؛ عمر بكر سليمان، إطلالة على الماسونية

(د.ت: ٦٠)؛ عاصم الدسوقي، الجالية الإيطالية في مصر نظرة عامة، مجلة أوزيريس، المجلد الأول،

س ١، (القاهرة: أغسطس ١٩٩١)، ١٩-٢٧؛ أيضا:

Brinton, J.Y., The Mixed Courts of Egypt (London: 1930), 3- 6; Cromer, Modern Egypt Vol. II (London: 1908), 248.

(١٥) سعيد الجزائري، الماسونية (١٩٩٢: ٣٢٨).

(١٦) حسين عمر حمادة، الماسونية (د.ت: ٢١٨)؛ حكمت المر، أسرار (١٩٩٢: ١١٩).

(١٧) شاهين مكاريوس، الآداب الماسونية (١٩٩٤: ٥٢٦).

(١٨) سعيد الجزائري، الماسونية (١٩٩٢: ٣٢٨).

(١٩) حسين عمر حمادة، الماسونية والماسونيون (د.ت: ٢١٨)؛ الجريدة الماسونية (عدد ٩، السنة ٣،

٢٧ مايو ١٩٠٥)، ٦؛ سعيد الجزائري، الماسونية (١٩٩٢: ٣٣٠)؛ شاهين مكاريوس، الآداب

الماسونية (١٩٩٤: ٥٢٦).

(٢٠) عمر بكر سليمان، إطلالة على الماسونية (د.ت: ٦٠)؛ الجريدة الماسونية (عدد ٩، السنة ٣، ٢٧

مايو ١٩٠٥)، ٦.

(٢١) عمر بكر سليمان، إطلالة على الماسونية (د.ت: ٦٠).

(٢٢) ولد هنري ليتن (إيرل) بولوير في فبراير عام ١٨٠١ ودرس في جامعة أكسفورد، وانضم للسلك

الدبلوماسي عام ١٨٢٤، وتم إرساله إلى جزر المورة في جنوب اليونان كنائب عن الحكومة البريطانية

لتمويل حرب الاستقلال في اليونان، وبعد تجارب دبلوماسية في برلين وفيينا وبروكسل أصبح سكرتير

السفارة البريطانية في الأستانة في عام ١٨٣٧، وقائم بأعمال السفارة البريطانية في باريس عام ١٨٣٩،

وعين سفيراً لبريطانيا في مدريد عام ١٨٤٣ حتى عام ١٨٤٨، وبعدها اختير كسفير لبريطانيا في واشنطن، وعقد اتفاقية (كلايتن - بولوير) وهي المعاهدة التي وقعها مع جون كلايتن وزير خارجية الولايات المتحدة الأمريكية التي أقرت القواعد المعمول بها حالياً في قناة بنما ونوعية السيطرة السياسية التي ستمارس على القناة، ونصت على عدم استعمار بريطانيا لأي جزء من أمريكا الوسطى لضمان حياد القناة، بعدها أصبح سفيراً لبريطانيا في الأستانة عام ١٨٥٨، وكرس كأستاذ أعظم لمنطقة تركيا الماسونية حتى تقاعد في عام ١٨٦٥، وهي نفس السنة التي تأسس فيها محفل (بولوير) بالقاهرة على شرفه وسمى باسمه، ومات في نابولي في ٢٣ مايو ١٨٧٢؛ أنظر للاستزادة:

Bulwer, Henry Bulwer: www.sites.selectronics.co.uk/bulwer/bulwer.

(٢٣) **الجريدة الماسونية** (عدد ٩، ٢٧ مايو ١٩٠٥، السنة ٣)، ٦؛ أيضاً:

Bulwer, Freemasonry: www.sites.selectronics.co.uk/bulwer/intro.pdf.

(٢٤) **حكمت المر، أسرار الماسونية** (١٩٩٢: ١٢٠).

(٢٥) **حسين عمر حمادة، الماسونية (د.ت: ٢٢١)؛ وائل إبراهيم الدسوقي، الماسونية (٢٠٠٥: ١٠٩-١١٨).**

(٢٦) **عمر بكر سليمان، إطلالة (د.ت: ٦١).**

(٢٧) **الجريدة الماسونية** (عدد ٩، ٢٧ مايو ١٩٠٥، السنة ٣)، ٦.

(٢٨) **نفسه** (عدد ٨، ١٥ مايو ١٩٠٥، السنة ٣)، ٧.

(٢٩) **نفسه** (عدد ٩، ٢٧ مايو ١٩٠٥، السنة ٣)، ٧، ٨.

(٣٠) **نفسه** (عدد ١٧، ١٦ أكتوبر ١٩٠٥، السنة ٣)، ٦؛ وللاستزادة عن السلطة الأورشليمية وطريقتها: شاهين مكاريوس، **الدستور الماسوني العام للطريقة الأورشليمية** (بيروت: دار الجيل، ١٩٩٠).

(٣١) **الجريدة الماسونية** (عدد ١٦، ١٦ سبتمبر ١٩٠٤، السنة ٢)، ٥.

(٣٢) **حسين عمر حمادة، الماسونية والماسونيون (د.ت: ٢٢٦).**

(٣٣) **بلاغ عن تثبيت بعض الشخصيات الماسونية (وثائق عابدين، المحفل الماسوني، محفظة ٥٧٨، غير مؤرخة).**

(٣٤) حسين عمر حمادة، الماسونية والماسونيون (د.ت: ٢٢٥) .

(٣٥) واحدة من الطرق الماسونية العديدة مثل الطريقة الأيكوسية والأيكوسية المعدلة الفرنسية الحديثة، بالإضافة إلى الأيكوسية السويدية والنوحية، وطريقة الشرايدر والطريقة الممفيسية السابقة الذكر. وسميت الطريقة اليوركية نسبة إلى مدينة يورك التي فيها تم تنظيم هذه الطريقة، ومن مدينة يورك انتشرت إلى البلاد الأوربية وأستراليا وأمريكا الشمالية؛ أنظر: اسكندر شاهين، الماسونية ديانة أم بدعة (١٩٩٩: ٥٥) .

(٣٦) تقرير بالفرنسية غير مؤرخ يتضمن أسماء الشروق العاملة التابعة للمحفل الأكبر الوطني المصري بالأقاليم المصرية والعربية بعنوان List Des Loges Actives (وثائق عابدين، المحفل الماسوني، محفظة ٥٧٨) .

(٣٧) هوراثيو هيريت كitchener: بدأ نشاط كitchener الماسوني في مصر بانضمامه إلى محفل (كونكورديا) بالقاهرة في عام ١٨٨٣، ثم انضم إلى محفل (بولوير) الإنجليزي بالقاهرة في عام ١٨٨٥ ثم محفل (جريسيا)، وأصبح عضوا نشطا بمحفل (نجمة الشرق رقم ١٣٣٥) في عام ١٨٩٢، ثم عمل أستاذا أعظم لمحفل (جريسيا رقم ١١٠٥) بالقاهرة عام ١٨٩٢، وشارك في تأسيس المحفل الوطني الأكبر المصري عام ١٨٩٥، وتم منحه الرئاسة الشرفية للمحفل الأكبر عام ١٨٩٥، وفي عام ١٨٩٥ عمل أستاذا أعظم لمنطقة مصر والسودان الماسونية، واختير في عام ١٨٩٨ أستاذا أعظم لمحفل (النوبة رقم ٥١١)، ومنعته الواجبات العسكرية من البقاء في مصر، وبعد أن أجبر على الاستقالة في عام ١٩٠١ انتقل إلى الهند ليمارس نشاطه الماسوني في محافلها، وفي الهند عمل أستاذا أعظم لمحافلها، وعضوا مؤسسا للعديد من المحافل الهندية من عام ١٩٠٢ وحتى عام ١٩٠٧، وكان كitchener ينال تقدير الماسون المصريين والأجانب على السواء دون النظر لواجبه السياسي الذي كان يلبيه، أنظر :

http://www.freemasonry.bcy.ca/biography/kitchener_h/kitchener_h/

ومن المعروف أن عشرة من المعتمدين البريطانيين كانوا مسؤولين عن مصر في فترة الاحتلال البريطاني لمصر، كان أولهم ريفرز ويلسون، وهم على الترتيب من بعده، إيفلان بارنج (كرومر)، إدون جورست، اللورد كitchener، هنري مكماهون، ونجت باشا، اللورد ألباني، اللورد لويد جورج، السير برسي لورين، ومايلز لامبسون، وكان منهم خمسة من رجال الجيش كرومر، كitchener، مكماهون، ونجت، ألباني، وجميعهم لهم مناصب ماسونية سواء في مصر أو في بلادهم؛ راجع: تقويم الهلال، السنة ٧ (القاهرة:

دار الهلال، ١٩٣٦، ٩٦ .

(38) Letter from (Grand Orient d' Egypte) to (Grand Chancellor) C.B. Wilson, 11 May. 1933, In:

وثائق عابدين، المحفل الماسوني، محفظة ٥٧٩ (١١ مايو ١٩٣٣؛ وأرفق الخطاب الرد، نفس المحفظة، ٢٣ مايو ١٩٣٣)

(39) Freemasonry, www.sites.select ronics.co.uk/bulwer/intro.

(٤٠) صحيفة الهدى (٢٤ أبريل ١٩١١)؛ عبد الله سمك، حقيقة الماسونية (١٩٩١: ١٧٢).

(٤١) سعيد الجزائري، الماسونية (١٩٩٢: ٢٤٤-٢٤٦).

(٤٢) محمد سعيد الجزائري، الأمير عبد القادر والجمعية الماسونية، مقال بمجلة الحقائق (دمشق: ١٣٢٩هـ)، ٢ .

(٤٣) وائل إبراهيم الدسوقي، الماسونية (٢٠٠٥: ٤٧)؛ فؤاد صالح السيد، الأمير عبد القادر الجزائري متصوفاً وشاعراً (المؤسسة الوطنية للكتاب، المركز الثقافي الجزائري، الجزائر: د.ت)؛ شاهين مكاربوس، فضائل الماسونية (١٩٩٤: ١٧٨، ١٨٥). أنظر: صورة الأمير عبد القادر الجزائري مصوراً بالوزرات والشعارات الماسونية في: سعيد الجزائري، الماسونية (١٩٩٢: ٣٢٩).

(٤٤) سعيد الجزائري، الماسونية (١٩٩٢: ٣٢٨).

(٤٥) نجدة صفوة، الماسونية في الوطن العربي (١٩٨٠: ٢٩).

(٤٦) سعيد الجزائري، الماسونية (١٩٩٢: ٣٥٣)؛ حكمت المر، أسرار الماسونية (١٩٩٢: ١٢٤).

(٤٧) نجدة فتحي صفوت، الماسونية (١٩٨٠: ٢٩ - ٣٤).

(٤٨) حكمت المر، أسرار (١٩٩٢: ١٢٦).

(٤٩) للمزيد عن الماسونية في لبنان ونظمها وطقوسها؛ أنظر: اسكندر شاهين، الماسونية ديانة أم بدعة (١٩٩٩)؛ أيضاً: الموقع الإلكتروني للشرق الأكبر اللبناني على الإنترنت:

<http://www.lgfo.org/The%20Grand%20Lebanese%20Orient.html>.

(٥٠) سلام إبراهيم عطوف كبة، التشييع الشعبوي ضحية أزمات وعهر النخب الشيعية والماسونية، أنظر

See: [http://www.freemason.org/cfo/julyaugust2000 freemasonry_in_isreal](http://www.freemason.org/cfo/julyaugust2000%20freemasonry_in_isreal).

(٦٤) التاج المصري (عدد ٩٦١، السنة ١٣، ١٣ سبتمبر ١٩٤٠).

(65) Saga of a Beloved Raternity In Spain, Nat Granstein (ed.), See [www.: http://www.americanmason.com/articlemain.ihtml?ID=54](http://www.americanmason.com/articlemain.ihtml?ID=54) .

(٦٦) المجلة الماسونية (أول ديسمبر ١٩٢٠، عدد ٢، س ١)، ٤٩،

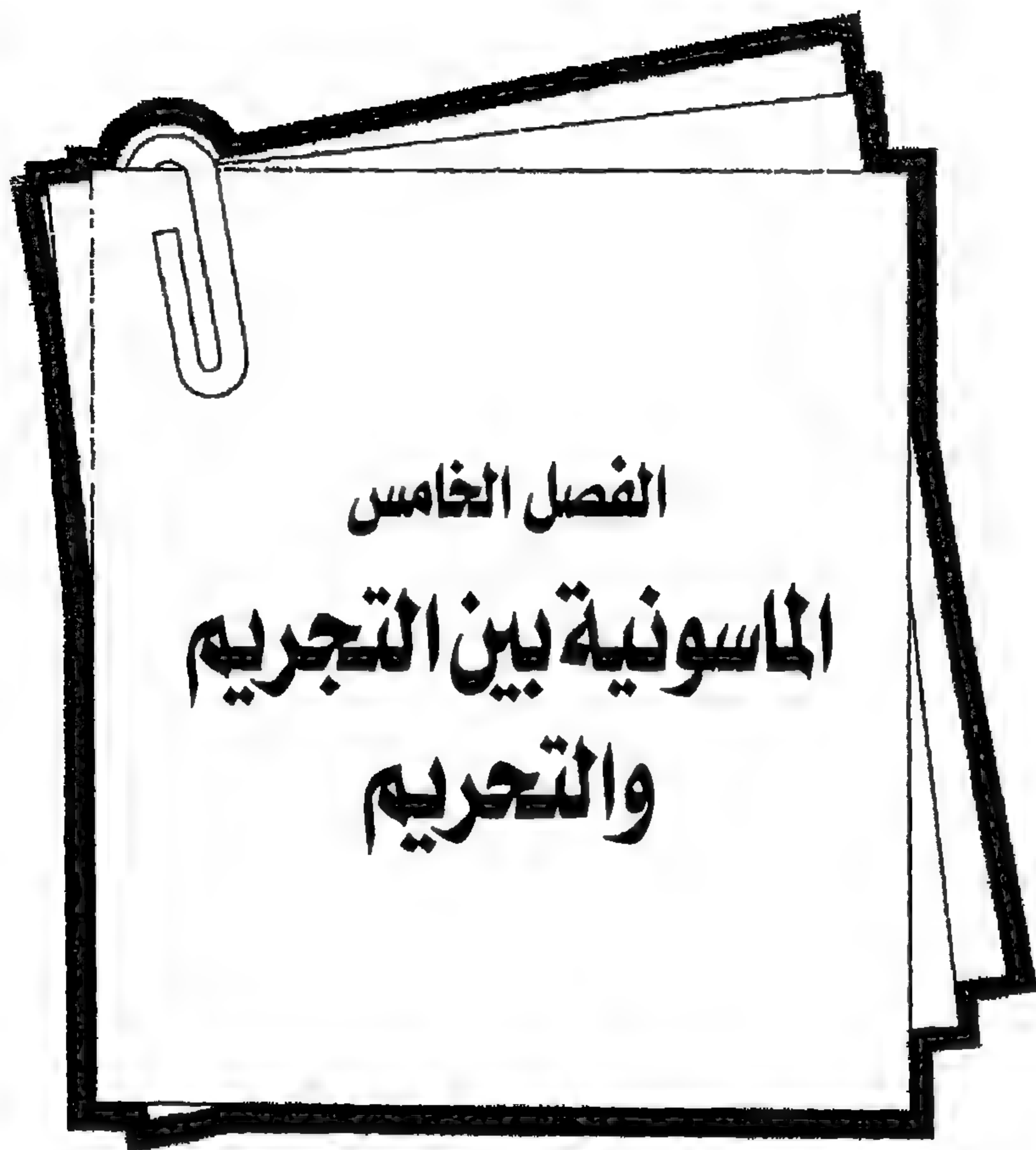
(٦٧) للاستزادة عن مدى انتماء الماسون لعشيرتهم الماسونية أنظر: وائل إبراهيم الدسوقي، الماسونية (٢٠٠٥: ١٧٣-١٨٣).

(٦٨) عمر محمد بكر سليمان، إطلالة على الماسونية (د٢: ٨٣).

(٦٩) للمزيد عن مشاهير الماسون في لبنان: اسكندر شاهين، الماسونية ديانة (١٩٩٩: ١٨٧).

(٧٠) راجع: كل أعداد جريدة حيرام.

(٧١) نصر الدين عبد الحميد نصر، مصر وحركة الجامعة الإسلامية من عام ١٨٨٢ إلى عام ١٩١٤ (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤)، ٣٧.



الفصل الخامس

الماسونية بين التجريم والتحرير

في عام ١٨٧٢ صدر أول كتاب مضاد للماسونية في لبنان، بقلم أحد رجال الدين الشيعة، واسمه «محمد علي بن علي بن محمد عز الدين الشامي العاملي»، وكان عنوان الكتاب كشف الظنون عن حال الفرمسون، وجاء فيه:

«... وعليه إذا جهلت معرفة ماهية الجمعية وغايتها، فلا يجوز الدخول فيها لأن كل طالب شيء مع عدم معرفة ماهيته وغايته، طالب جاهل، راكب في ذلك المن معمي خابط عشواء...»

... إن دفع الضرر المظنون واجب، ودفع الضرر المحتمل حسن عند العقلاء كما ظهر لك في المقدمات، إذ لا يجوز المخاطرة بالنفس لا سيما، وليست هي إلا نفس واحدة. وأنت في دخولك هذا البيت مع تصميم أهله على إظهار ما فيه، كالداخل على بيت يحتمل فيه وجود عقارب تلدغ، وحيات تلسع، وأسود تبلع، فإن العاقل يأبى دخوله وإن احتمل وجوب كتب تنفع وثياب تلمع وجواهر تشعشع...

«... فأياك إياك أيها المحمدي، واذكر ما جاء في آثار النبوة (دع ما يريبك إلى ما لا يريبك). وجاء أيضا: (حلال بين وحرام بين، وما بين ذلك شبهات، فمن ترك شبهات أمن الهلكات) ...»^(١).

وقد ازدادت الدعاية المضادة في عشرينيات القرن العشرين، وقد انصبت هذه الدعاية على صلة الماسونية بالصهيونية، ومهما دافع أصحاب الماسونية في أوروبا عن حيادها في هذا المجال فقد قدم أصحابها في العالم العربي في العشرينيات والثلاثينيات وقودا لاشتعال هذه الصلة، وهي صلة أقل ما يقال عنها أنها جاءت نتيجة تشكيل اليهود مركز قوة في المحافل الماسونية، وتسأل الصهاينة منهم داخل صفوف الماسونية لاستغلالها على النحو الأمثل لتحقيق أهدافهم.

على أية حال، فقد استهوت الماسونية الناس بشعاراتها، ولكنهم عندما وجدوا أن صلة الماسونية باليهود والصهاينة ازدادت، خاصة بعد أن انتشرت أخبار بروتوكولات حكماء صهيون، وفيه يصرحون بالصهيونية واستخدام الماسونية لها، كان لابد من اتخاذ مواقف بعضها حكومي وبعضها أفكار شخصية لمفكرين ورجال دين.

وعقب اشتعال الحرب في عام ١٩٤٨ نشر «نقولا الحداد» سلسلة من المقالات ركز فيها على فضح تاريخ اليهود والصهيونية، واستهل الحداد مقالاته بقوله:

«يقال عن الماسونية كما فهمناها أنها جمعية سرية. ونعلم ألا سر عظيم الشأن فيها أو مفيدا للبشرية والحضارة سوى علامات الدرجات، ومؤامرات سرية مختلفة الأغراض. وفيما سوى ذلك فهي في دعوى أصحابها جمعية إنسانية تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر. هاتان الوصيتان من مزايا القرآن والإنجيل، ومن مبادئ المسيحيين والمسلمين. فإذا كان الإنجيل والقرآن لم يرقيا الروح الإنسانية في البشر فتعاليم الماسونية لا تستطيع أن ترقى البشر في الفضيلة والإنسانية»^(٢).

وفي هذا الفصل ننشر كل الآراء التي دعت بتحريم الماسونية وحظر نشاطها في البلاد العربية وموقف الإسلام والمسيحية منها، لنقف على مدى رفض المجتمعات العربية وحكوماتها للماسونية ونشاطها في بلادنا.

الموقف الديني من الماسونية

أولاً: موقف المسيحية من الماسونية،

عندما يأتي الحديث عن موقف المسيحية من الماسونية نذكر كتاب الأب «لويس» شيخو اليسوعي (السر المصون في شيعة الفرماسون) وهو من الكتابات المضادة للماسونية وألقى فيه الضوء على الاعتراض المسيحي على الماسونية والماسون.

ومن الثابت أنه كتب كتابه ليس بحثاً عن الحقيقة المجردة وإنما شجبا ينم عن

اعتراضه الشخصى كمسيحي يغار على دينه من الماسونية التى من وجهة نظره تهدم الدين والعقيدة وتدمر كل المبادئ الإنسانية. وهو كتاب لا يمكن أن يستغنى عنه من يكتب عن الماسونية، لأنه يحتوى على مقتبسات عديدة من شتى المقالات التى صدرت فى الصحف، والتى يصعب التحرى عنها حالياً، وإن كان كما قيمه «نجدة صفوت» أنه يقتبس دائماً ما يوافق الهدف الذى وضعه أمامه، وهو إدانة الماسونية.

وكان من رأى شيخوأن الماسونية فى بيروت ولبنان وأنحاء بلاد الشام إلى العهد التركى لم تجسر على البروز إلى النور شأن كل من يخاف أن تفضح أعماله، وكأنها استبشرت بالحرية منذ احتلال الدولة المنتدبة مؤملة فى وجود من يشد أزرها من الجمعيات السرية الأوربية^(٣).

والمسيحية تقف مواقف مضادة للماسونية عبر تاريخها، رغم أن ظهور الماسونية الحديثة وانتشارها ارتبط بالبروتستانتية وليس هنالك أدنى شك فى أن مارتن لوثر كان ماسونياً.. وهنالك انسجام تام بين الماسونية والبروتستانتية، مثلما هو الأمر بالنسبة للبروتستانتية والصهيونية.

على أية حال، دلت بعض آراء الماسون على أن الماسونية ضد الأديان بصفة عامة، ففي مؤتمر الطلاب الذى انعقد فى سنة ١٨٦٥ فى مدينة (لييج) التى تعتبر إحدى المراكز الماسونية فى العالم - أعلن الماسونى المشهور (Lafarage) فى الطلاب الوافدين من ألمانيا وأسبانيا وروسيا وإنجلترا وفرنسا قائلاً: «يجب أن يتغلب الإنسان على الإله، وأن يعلن الحرب عليه، وأن يخرق السماوات ويمزقها كالأوراق».

وجاء فى مضابط مؤتمر بلجراد الماسونى سنة ١٩١١: يجب ألا ننسى بأننا، نحن الماسون، أعداء للأديان وعلينا أن لا نأل جهداً فى القضاء على مظاهرها.

وهذا هو زعيم الماسونية الفرنسية، يقول فى النشرة الرسمية:

«إننا نحن الماسون لا يمكننا أن نكف عن الحرب بيننا وبين الأديان، لأنه لا

مناص من ظفرها أو ظفرنا، ولا بد من موتها أو موتنا، فالماسون لا يمكن أن يذوقوا طعم الراحة إلا بعد أن يغلقوا جميع المعابد، ويحولوها هياكل لحرية الفكر وإله العقل. .
وفي عام ١٨٦٦ جاء في جريدة الماسون: «يجب على الماسون أن يقيموا أنفسهم فوق كل اعتقاد بالله أياً كان. .

ولقد تسبب الماسون بتلك التصريحات في قلب الرأي العام ضدهم، وخاصة في العالم العربى. ولنرى كم من المراسيم والقرارات الكنسية صدرت بشأن الماسونية ليس في العالم العربى فقط بل في العالم أجمع.

مراسيم بابوية بشأن تحريم الماسونية:

(أ) مرسوم بابوي لسنة ١٧٣٨،

لقد حارب بابوات الفاتيكان الماسونية منذ عام ١٧٣٨ على عهد البابا كلمنت الثانى عشر (١٧٣٠-١٧٤١)، الذى أصدر أول مرسوم يتعلق بالماسونية فى مؤتمر للكرادلة فى ٢٨ أبريل ١٧٣٨ كانوا يبحثون فيه أمر الماسونية وجاء فيه:

«أفادتنا الأنباء عن تأليف جمعيات سرية تحت اسم البناءون الأحرار وأسماء أخرى شبيهة بهذا الاسم. وأن هذه الجمعيات تزدد كل يوم انتشاراً وعدوى، ومن خواصها أنها تضم إليها رجالاً من كل الأديان والشيع، يرتبطون فيما بينهم بروابط سرية غامضة، فحسبنا شاهداً على أن اجتماعاتها الخفية هى للشر لا للخير، أنها تبغض النور. .

«وإذا فكرنا فى الأضرار الجسيمة التى تنجم عن هذه الجمعيات السرية فقد رأينا منها ما يوجب القلق، سواء كان لسلامة الممالك أم لخلاص النفوس، ومن بعد أخذ رأى إخواننا الكرادلة، وبعلمنا التام، وقوة سلطتنا، حكمنا بأن هذه المنظمات والجماعات المعروفة باسم البناءون الأحرار يجب رذلها ونفيها. وبناءً عليه نرذلها. ونشجبها بقوة هذا المنشور الذى نريد أن يكون مفعوله مخلداً...»

(ب) مرسوم بابوي لسنة ١٧٥١،

أصدر البابا بندكتوس الرابع عشر منشورا في ١٨ مايو ١٧٥١م أيد فيه المنشور البابوي السابق، وتبناه بالحرف، وزاد عليه ما يلي:

"نؤيد الحكم على الشيع الماسونية، ويحملنا على ذلك عدة أسباب،

أولاً: إن هذه الجمعيات تشمل أناساً من كل الأديان والنحل، فكفى بها دليلاً على ما ينال الإيمان الكاثوليكي بهذا الاختلاط من ضرر.

ثانياً: إن أصحاب هذه الجمعيات يتعهدون أوثق عهد على السر التام عن كل ما يجرى في محافلهم، فيصبح فيهم ما رواه الكاتب الروماني سيسيليوس ناتليس في بعض أموره حيث قال: إن الأشياء الحسنة تحب الانتشار والشهرة، أما الآثام فإنها تستتر تحت حجاب الستر وجنح الظلام.

ثالثاً: أن المنتظمين في سلك هذه الجمعيات يقيدون أنفسهم بالأقسام الحرجة للمحافظة على أسرارهم، كأن الإنسان له السكوت عن أسرار صوالح الدولة، أو الدين إذا طلب منه أرباب الدين كشفها، فيأبى محتجاً بقسم باطل.

رابعاً: أن الدولة المتدنية والسلطة الدينية قد اتفقت في كل الأجيال على إلغاء الجمعيات السرية غير النظامية، لما عرفت من دسائسها وشرورها الجمة.

خامساً: أن أمر هذه الجمعيات الماسونية قد انكشف في كثير من الدول وأبعد أتباعها.

سادساً: أن أصحاب الفضل وذوى الحكمة مجمعون على أن هذه الجمعيات لا خير فيها، إذ لا يدخلها أحد إلا لحقته وصمة العار...

(ج) منشور بابوي لسنة ١٨٢٨،

أصدر البابا لاون الثاني عشر في ١٢ مارس ١٨٢٨ منشوراً يتضمن البراءة من الماسونية، ويؤكد أن تلك الجمعيات التي أوقدت نار الفتنة في أوربا جاء فيه:

«ليس كلامنا ظناً وهمياً بلا سند، فإن كتبهم التي ألفوها تشهد عليهم، فينقضون أساس الألفة البشرية، فإنها لا تحترم ديناً ولا تكرم سلطاناً ويعلنون جهاراً مذهب الإلحاد والمادية، وينكرون ليس لاهوت المسيح فقط، بل وجود الله نفسه، وقد وقفنا على رسومهم وقوانينهم السرية، فإذا هي موافقة للمبادئ المخزية».

(د) مرسوم بابوي لسنة ١٨٦٥،

نشر البابا بيوس التاسع سنة ١٨٦٥ مرسوماً بابوياً أيد فيه المراسيم السابقة، وقد اتفق معهم في أسباب تجريم الماسونية، ولكنه جاء بشيء جديد وهو:

«إن من أبرز أهداف الماسونية هدم الكنيسة بسلطانها الدينية والمدنية، ونقض الشرائع ونشر الفساد، وبالتالي ملاحاة الأديان كلها، ليبقى الدين اليهودي وحده...» (٤).

ومن الأمور الغريبة أن مجلة المشرق التي كانت تهتم بنشر أخبار الماسونية قد نشرت في عام ١٩٢١ خبراً بعنوان خديعة ماسونية جاء فيه:

«أخبرنا الثقة من أصحابنا أن أحد المنتمين إلى الشيعة الماسونية أدخله بيته وأراه صورة السعيد الذكر البابا بيوس التاسع وعليه الأوشحة الماسونية، مدعياً أن ذاك إمام الأحبار كان داخل في الماسونية. فسألنا ما رأينا في ذلك. وجوابنا أن هذه من أكاذيب وترهات الفرسمون التي يكفي لتفنيدها ذكر براءات هذا البابا التي وجهها إلى عموم الكنيسة فرشق الشيعة الماسونية بسهام الحرم المحفوظ حله للحبر الأعظم، فلو كان هو أحد أبناء الشيعة ما لهم سكتوا ولم يذكروه بانضوائه سابقاً إلى جمعيتهم» (٥).

هـ) مرسوم المجلس الأعلى المقدس للفاتيكان؛

الفاتيكان..

٢٠ ديسمبر، ١٩٥٠.

دفاعاً عن التعصب وعن الفضيحة لا يسمح لرجال الدين بالانتساب إلى الهيئة المسماة بنادى الروتارى أو الاشتراك في اجتماعاتها. وعلى غير رجال الدين كذلك أن يراعوا المرسوم رقم ٦٨٤ الخاص بالجمعيات السرية المحرمة والمشتبه فيها.

موقف البابا بولس السادس من الماسونية؛

فى أول سبتمبر من عام ١٩٦٥ أصدر البابا بولس السادس أمراً يعطى بموجبه للكهنة الحق بإلغاء كل قرار كنسى سابق تضمن حرمان المسيحي الماسونى. وهكذا ناقض البابا كل مراسيم البابوات السابقين.

وفى عام ١٩٦٥ استقبل البابا بولس السادس مجموعة من أعضاء نادى الروتارى فى إيطاليا، ومن المعروف أن الروتارى يشتبه فى ماسونيته، وأن من ينضم لنادى الروتارى يتعرض إيمانه للشبهة.

وقد منحهم البابا بركاته، وربما أن البابا بولس السادس قد اتخذ قراره هذا لميله الشديد لليهود، فقد برأ اليهود من دم المسيح، وضرب بالنصوص الإنجيلية المقدسة عرض الحائط^(٦).

ومنذ قدم عهد الماسونية فى البلاد العربية كانت المناظرات العنيفة بين المسيحيين والماسون تصل أحياناً إلى حد القذف والسب علانية على صفحات الصحف والمجلات.

وفى تاريخ الماسونية العام لجورجى زيدان كتب يدافع عن الماسونية ويوضح مدى الخلاف بينها وبين المسيحيين الجزويت وجاء فيه:

«... وكان من أشد مقاومي الماسونية في الشام جماعة الجزويت (اليسوعيين)، وقد أنشأوا لهذا الغرض وغيره جريدة دينية في بيروت، وسموها جريدة (البشير)، وموضوعها مقارنة كل المذاهب والأديان، إلا المذهب الكاثوليكي، والإيقاع بكل الجماعات إلا جماعة الجزويت... وتأمل بما أقيم في طريق الماسونية من مثل هذه العقبات التي تخور لها الهمم، وتكره من أجلها الأعمال. أما العامة فلا تسأل عما غرس في أذهانهم من الكره والاحتقار لجماعة الماسون، حتى أصبح مرادفا لأدنى صفات الاحتقار عندهم. فكانوا إذا أرادوا المبالغة في وصف أحد الكفرة والمنافقين لا يجدون أنسب من قولهم: فرمسون منافق مختلش وما شاكل...» (٧).

وفي أربعة أعداد من مجلة اللطائف نجد الماسونية تحاول أن تثير الحكومة الخديوية والسلطنة ضد الجزويت، وجاء فيه:

«... فلا نسمع بأمة أرادت حفظ السلام ونشر لواء التقوى بين أفرادها إلا ونعلم أنها قامت على الجزويت بعد أن عرفت حقيقة أمرهم وطردهم من بلادها، وفي الوقت نفسه نرى الحكومة الخديوية تعتبر رجال الطريقة الماسونية كامل الاعتبار وتكرم سيادتها. وها دولة إنجلترا وهي أعظم دول الأرض شأنًا وجاها وتقديما وحبا بالآلفة والسلام والدين والتقوى، ونرى ولي عهدا رئيس الماسون، وأكابر العائلة المالكة ورجال حكومتها والقائمين بأعبائها ماسون مشهورين،» (٨).

ونشرت جريدتي المقتطف وحيرام أيضا تدافعان عن الماسونية ضد الجزويت (٩)، وخصصت جريدة البيان بدورها سلسلة مقالات ضد جريدة البشير الجزويتية (١٠)، وتلتها جريدة الفلاح الماسونية التي كانت تتابع أنباء الماسون واجتماعاتهم ومحافلهم وتهاجم الجزويت وتعليمهم ومدارسهم.

وكتبت المشرق تحت عنوان اليسوعيون والماسونية تقول:

«من الحقائق الثابتة التاريخية أيضا أنه لم يوجد جماعة من جماعات البشر الدينية والسياسية عرفت كنه اليهود ومكرهم في الأمم ومقاصد الماسونية وأهلها

وتصدت لمقاومتهم وإسقاط نفوذهم إلا جمعية الجزويت الكاثوليكية، وذلك أن الكاثوليك يدينون بوجوب الخضوع الديني والسياسي لأحبار رومية رؤساء الكنيسة المعصومين عندهم، ويعلمون أن اليهود هم الذين ثلوا عرشها بنفوذ الجمعية الماسونية التي انتظم في سلكها الملايين من النصاري ومن غيرهم وأكثرهم لا يشعرون، لذلك بذلوا جهدهم في السعي لكشف الأسرار عن أسرارهم، وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم لصد تيارها، بتتبع عوراتها وتقليم أظفارها، وتحريم الدخول فيها على ما يدينون دينهم الكاثوليكي، ويقلدونهم في فهمهم وعملهم به، وقد توسلوا إلى معرفة أسرارها بعقيدة الاعتراف الديني الذي استباح به كثير من الكاثوليك الحنث بالآيمان المغلظة، ونقد العهد الموثقة، بترجيح العقيدة الدينية، على ما عاهدوا عليه الجمعية، ولا سيما وقت الاحتضار، حيث يغلب خوف النار على ذل العار.

«من خفى عليه نفوذ اليهود في أحرار أوربا الغربية والوسطى وملاحدتهم وما كان من حربهم للكنيسة الكاثوليكية في القرون الوسطى فلا أراه يخفى عليه ما كان من نفوذهم في ملاحدة الروس الذين أضعفوا سلطة الكنيسة الأرثوذكسية بمجلس الدوما، ثم أسقطوها بثل عرش القياصرة دعائها وحمايتها، وتأسيس حكم البلشفية في تلك الممالك الواسعة، وما كان من نفوذهم في ملاحدة الترك بإسقاط نفوذ الخلافة التركية العثمانية، ثم بهدم الشريعة الإسلامية من المملكة التركية، وجعل حكومتها إلحادية تسعى لمحو الإسلام من الشعب التركي ومن الشعوب الأعجمية الإسلامية التي كانت تابعة لها كالألبان والبوشناق وغيرها كالإيرانيين والأفغانيين»^(١١).

ثانياً: موقف الإسلام من الماسونية؛

أمر الإسلام المسلم أن يعتز بعقيدته وأن يتمسك بإيمانه، وأن يعلم أن مشاركاته لأي جماعة لا بد أن تكون في إطار هذا الإيمان الذي يملئ عليه أن يسمع كلام الله لكل إنسان وأن يردد ذكره في كل اجتماع.

إن الطبيعة السرية للماسونية لا تتناسب مع المسلم، فهذا يتناقض تماماً مع

طبيعة الإسلام المبنية على الوضوح في كل شيء من أمر هذا الدين.

فتاوى إسلامية بتحريم الماسونية،

ولقد رفض الإسلام مبادئ الماسونية، وقرر أن مبادئ الحرية والإخاء والمساواة لها مفاهيم إسلامية لا يمكن الحيد عنها، فالحرية في الإسلام تعنى التحرر من العبودية لغير الله تعالى، أما مفهوم الحرية في الماسونية فقد ذكر البعض أنها للتحرر من الدين والقيم والأخلاق. وجاء في نشرة إحدى المحافل الماسونية في لندن سنة ١٩٣٥: «إن أمنيّتنا هي تنظيم جماعة من الناس يكونون أحراراً جنسياً، نريد أن نخلق الناس الذي لا يخجلون من أعضائهم التناسلية، وهكذا يدعوا هذا المحفل لتدمير مقومات الشعوب والقضاء على القيم الأخلاقية.

ومفهوم الإخاء في الإسلام أن المسلم أخو المسلم. أما مفهوم الإخاء في الماسونية، فهو أن البشر من كل دين إخوة، ومن أكبر شعاراتهم: «الأديان تفرقنا والماسونية تجمعنا...»، ومفهوم المساواة في الإسلام يعنى أن المسلمين جميعاً سواسية، أما مفهوم المساواة في الماسونية فهو يعنى المساواة بين الناس جميعاً مؤمنهم وملحدهم فكل واحد حر في اختيار عقيدة معينة يعتنقها، ولو اختار أن يعيش دون عقيدة فهو حر ولا تعترض الماسونية عليه.

والإسلام يرى أن الماسونية تختلف في ظاهرها عنها في الباطن، فهي تبدو للجميع وكأنها جمعية أدبية تخدم الإنسانية، وتنور الأذهان وتنشر الإخاء، وتوطد الحب بين الأعضاء، وتحثهم على فعل الخير والإحسان لإخوتهم المحتاجين، أما في حقيقتها فهي مؤسسة يهودية، وليس تاريخها ودرجاتها وتعاليمها وكلمات السر فيها وشروحها إلا أفكاراً يهودية من البداية إلى النهاية.

وهكذا وعندما تبين أن مبادئ الماسونية ومفاهيم الحرية والإخاء والمساواة في الإسلام، تختلف اختلافاً جوهرياً عن تلك المفاهيم في الماسونية. فقد لزم اتخاذ موقف مضاد من الماسونية والماسون، سواء كان قراراً إدارياً في توصيات مؤتمرات أو

مجامع إسلامية، أو قرارات فردية وآراء شخصية لمؤرخين ومفكرين مسلمين.

(أ) توصية المؤتمر الإسلامي ١٩٧٤:

في عام ١٩٧٤ عقد المؤتمر الإسلامي في مكة المكرمة تحت رعاية الملك فيصل في المدة من ١٤ - ١٨ مارس، وبناء على عدة دراسات وتقارير عن الماسونية ونشاطها في البلاد الإسلامية، نص القرار الحادي عشر من المقررات التي أوصى بها المؤتمر في ختام انعقاده على ما يلي:

«الماسونية جمعية سرية هدامة لها صلة وثيقة بالصهيونية العالمية التي تحركها لخدمة أغراضها، وتنشر تحت شعارات خداعة كالحرية والإخاء والمساواة وما إلى ذلك، مما أوقع في شباكها كثيراً من المسلمين، وقادة البلاد، وأهل الفكر. وعلى الهيئات الإسلامية أن يكون موقفها من هذه الجمعية السرية على النحو التالي:

- ١ - على كل مسلم أن يخرج منها فوراً.
- ٢ - تحريم انتخاب أي مسلم ينتسب إليها لأي عمل إسلامي.
- ٣ - على الدول الإسلامية أن تمنع نشاطها داخل بلادها، وأن تغلق محافلها وأوكارها.
- ٤ - عدم توظيف أي شخص ينتسب لها، ومقاطعته مقاطعة كلية.
- ٥ - فضحها بكتيبات ونشرات تباع بسعر التكلفة.

(ب) فتوى الأزهر الشريف ١٩٨٥:

أصدرت لجنة الفتوى بالأزهر بياناً بشأن الماسونية، والأندية التابعة لها مثل الليونز والروتاري، وكان البيان كالاتي:

الأزهر الشريف - إدارة لجنة الفتوى بالأزهر

الأربعاء - ٢٥ شعبان ١٤٠٥ هـ - ١٥ مايو ١٩٨٥ م.

بسم الله الرحمن الرحيم

بيان للمسلمين من لجنة الفتوى بالأزهر الشريف

بشأن الماسونية والأندية التابعة لها مثل الروتارى والليونز

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد

وعلى آله وصحبه أجمعين..

وبعد: فإن الإسلام والمسلمين يحاربهم الأعداء العديدون بكل الأسلحة المادية والأدبية، يريدون بذلك الكيد للإسلام والمسلمين، ولكن الله ناصرهم ومعزهم.. قال تعالى: إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد... (سورة غافر- آية ٥١).

ومن بين هذه الوسائل التى يحاربون بها الإسلام، وسيلة الأندية التى ينشئونها باسم الإخاء والإنسانية، ولهم غاياتهم وأهدافهم الخفية وراء ذلك. وأن من بين هذه الأندية والمؤسسات التابعة لها مثل الليونز والروتارى، وهما:

من أخطر المنظمات الهدامة التى يسيطر عليها اليهود والصهيونية يبتغون بذلك السيطرة على العالم بالقضاء على الأديان، وإشاعة الفوضى الأخلاقية، وتسخير أبناء البلاد للتجسس على أوطانهم باسم الإنسانية. ولذلك: يحرم على المسلمين أن ينتسبوا لأندية هذا شأنها، وواجب المسلم ألا يكون إمعة يسير وراء كل داع وناد، بل واجبه أن يمثل لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث يقول: لا يكن أحدكم إمعة يقول: إن أحسن الناس أحسنت وإن أساؤوا أسأت ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساؤوا أن تجتنبوا إساءاتهم. وواجب المسلم أن يكون يقظاً لا يغرر به، وأن يكون للمسلمين أنديتهم الخاصة بهم، ولها مقاصدها وغاياتها العلنية، فليس فى الإسلام ما نخشاه ولا ما نخفيه والله أعلم.

رئيس الفتوى بالأزهر - عبد الله المشد (١٢)

ج) فتوى المجمع الفقهي لرابطة العالم الإسلامي ١٩٧٨،

أصدر المجمع الفقهي التابع لرابطة العالم الإسلامي في ١٥ يوليو ١٩٧٨ فتوى أخرى بعد دراسات وافية عن الماسونية والنوادي التابعة لها وجاء فيها:

«قام أعضاء المجمع بدراسة وافية عن هذه المنظمة الخطيرة، وطالع ما كتب عنها من قديم وجديد، وما نشر من وثائقها فيما كتبه ونشره أعضاؤها، وبعض أقطابها من مؤلفات، ومن مقالات في المجالات التي تنطق باسمها. وقد تبين للمجمع بصورة لا تقبل الريب من مجموع ما اطلع عليه من كتابات ونصوص ما يلي:

أولاً: أن الماسونية منظمة سرية تخفي تنظيمها تارة وتعلنه تارة بحسب ظروف الزمان والمكان، ولكن مبادئها الحقيقية التي تقوم عليها هي سرية في جميع الأحوال محجوب علمها حتى على أعضائها إلا خواص الخواص الذين يصلون بالتجارب العديدة إلى مراتب عليا فيها.

ثانياً: أنها تبني صلة أعضائها بعضهم ببعض في جميع بقاع الأرض على أساس ظاهري للتمويه على المغفلين وهو الإخاء الإنساني المزعوم بين جميع الداخلين في تنظيمها دون تمييز بين مختلف العقائد والنحل والمذاهب.

ثالثاً: إنها تجذب الأشخاص إليها ممن يهملهم ضمهم إلى تنظيمها بطريق الإغراء بالمنفعة الشخصية، على أساس أن كل أخ ماسوني مجند في عون كل أخ ماسوني آخر، في أية بقعة من بقاع الأرض، يعينه في حاجاته وأهدافه ومشكلاته، ويؤيده في الأهداف إذا كان من ذوي الطموح السياسي، ويعينه إذا وقع في مأزق من المآزق أيا كان على أساس معاونته في الحق لا الباطل. وهذا أعظم إغراء تصطاد به الناس من مختلف المراكز الاجتماعية، وتأخذ منهم اشتراكات مالية ذات بال.

رابعاً: إن الدخول فيه يقوم على أساس احتفال بانتساب عضو جديد، تحت

مراسم وأشكال رمزية إرهابية، لإرهاب العضو إذا خالف تعليماتها والأوامر التي تصدر إليه بطريق التسلسل في الرتبة.

خامساً: إن الأعضاء المغفلين يتركون أحراراً في ممارسة عباداتهم الدينية وتستفيد من توجيههم وتكليفهم في الحدود التي يصلحون لها ويبقون في مراتب دنيا، أما الملاحدة أو المستعدون للإلحاد، فترتقى مراتبهم تدريجياً في ضوء التجارب والامتحانات المتكررة للعضو، على حسب استعدادهم لخدمة مخططاتها، ومبادئها الخطيرة.

سادساً: إنها ذات أهداف سياسية، ولها في معظم الانقلابات السياسية والعسكرية، والتغييرات الخطيرة يد ظاهرة أو خفية.

سابعاً: إنها في أصلها وأساس تنظيمها يهودية الجذور، ويهودية الإدارة العليا والعالمية السرية، وصهيونية النشاط.

ثامناً: إنها في أهدافها الحقيقية السرية، ضد الأديان جميعها، لتهديمها بصورة عامة، وتهديم الإسلام بصفة خاصة.

تاسعاً: إنها تحرص على اختيار المنتسبين إليها من ذوى المكانة المالية أو السياسية أو الاجتماعية أو العلمية، أو أية مكانة يمكن أن تستغل نفوذاً لأصحابها في مجتمعاتهم، ولا يهمها انتساب من ليس لهم مكانة يمكن استغلالها، ولذلك تحرص كل الحرص على ضم الملوك والرؤساء وكبار موظفي الدولة ونحوهم.

عاشراً: إنها ذات فروع تأخذ أسماء أخرى تمويهاً وتحويلاً للأنظار، لكي تستطيع ممارسة نشاطاتها تحت الأسماء، إذا لقيت مقاومة لاسم الماسونية في محيط ما، وتلك الفروع المستورة بأسماء مختلفة من أبرزها منظمة الروتارى والليونز. إلى غير ذلك من المبادئ والنشاطات الخبيثة، التي تتنافى كلياً مع قواعد الإسلام وتناقضه مناقضة كلية.

وقد تبين للمجمع بصورة واضحة العلاقة الوثيقة للماسونية باليهودية الصهيونية العالمية، وبذلك استطاعت أن تسيطر على نشاطات كثيرة من المسؤولين في البلاد العربية وغيرها، في موضوع قضية فلسطين، وتحول بينهم وبين كثير من واجباتهم في هذه القضية المصيرية العظمى، لمصلحة اليهود والصهيونية العالمية.

لذلك ولكثير من المعلومات الأخرى التفصيلية عن نشاط الماسونية وخطورتها العظمى وتلبساتها الخبيثة وأهدافها الماكرة يقرر المجمع الفقهي اعتبار الماسونية من أخطر المنظمات الهدامة على الإسلام والمسلمين، وأن من ينتسب إليها على علم بحقيقتها وأهدافها فهو كافر بالإسلام مجانب أهله.

توقيع: الرئيس: عبد الله بن حميد (رئيس مجلس القضاء الأعلى في المملكة العربية السعودية). نائب الرئيس: محمد علي الحركان (الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي). الرئيس العام لإدارة البحوث العلمية والإفتاء: محمد محمود الصواف. ووقع عليها أيضاً محمد محمود الصواف، وصالح بن عثيمين، ومن السعودية وقع محمد بن عبد الله السبيل، مصطفى الزرقا، محمد رشيد قباني، أبو بكر جومي، وعبد القدوس الهاشمي الدوي.

آراء في الماسونية

رأى (١٣) الشيخ "رشيد رضا" ١٩١١:

الماسونية جمعية سياسية وجدت في أوربا لإزالة سلطة المستبدين من رؤساء الدين والدنيا، ولذلك كانت سرية، فإن أهلها العاملين الساعين إلى مقاصدها كانوا على خطر من سلطة الأقوياء الذين تقاوم الجمعية استبدادهم، وتعمل لسلب السلطة منهم، وجعلها في يد الشعب بحيث يكون في يده التشريع والمراقبة على من ينصبه من الحكام للتنفيذ، فلهذه الجمعية الأثر العظيم في الانقلابات السياسية التي حصلت في أوربا، ومنها الثورة الفرنسية الكبرى، والانقلاب العثماني والبرتغالي الأخيرين.

وقد كان المؤسسون لها، والعاملون فيها في أوربا من النصارى واليهود. واليهود هم زعماءها، وأصحاب القدر المعلى فيها، لأن الظلم الذي كانوا يسامونه، والاضطهاد الذي يذوقونه كانا أشد مما ابتلى به ضعفاء النصارى من أقويائهم، وكذلك كان اليهود أكثر الناس انتفاعا من الانقلابات التي سعت إليها الماسونية في أوربا، وسيكونون كذلك في البلاد العربية إذا بقيت السلطة الماسونية على حالها في جمعية الاتحاد والترقي، وبقيت أزمة الدولة في يد هذه الجمعية. وهم يسعون مثل هذا السعى في روسيا، ولكن الحكومة الروسية واقفة لليهود بالمرصاد، ولا يزالون يتجرعون في بلادها زقوم الاضطهاد.

وأما الماسونية في بلاد الشرق، كمصر وسوريا وغيرهما من البلاد العربية، فقد يصح ما يقوله الكثير أنها لا تعمل للسياسة ولا للدين، وأنها أدبية اجتماعية، وقد يصح من وجه آخر أن لعملها علاقة بالسياسة والدين، لكل قول وجه يصححه، فلا تناقض بينهما، هي لا تطعن في دين من الأديان، ولا تبحث في ترجيح دين على دين، ولا تدعو الداخلين فيها إلى ترك دينهم، ولا إلى الإلحاد، ولا تعمل الآن في مصر لتغيير الحكومة الخديوية، ولا في سوريا لتغيير الحكومة العثمانية أو مقاومتها، فهذا معنى كونها ليست مناصبة للدين، ولا لسياسة البلاد.

وأما علاقة عملها بالدين والسياسة فمعروفة، ذكرناه من مقصدها الذي أنشئت لأجله، فإذا لم تشغل بالمقصد مباشرة فهي تشغل بالتمهيد له، كجمع كلمة أهل النفوذ في كل بلد، وتكثير سوادهم، وتقوية عصبيتهم، وإضعاف رابطتهم الدينية والسياسية، والانتقال بهم في الإقناع تدريجياً حتى يتم الاستعداد بهم إلى تغيير شكل الحكومة، وإزالة الدينية والشخصية، الذي هو القصد الأخير، ولو بالثورة وقوة السلاح.

فالماسونية سياسية في الأصل، وتبقى سياسية في كل مملكة فيها سلطة شخصية، أو سلطة دينية، إلى أن تزول صيغة الدين من الحكومة واستبداد الملوك والأمراء، فحينئذ تكون الجمعية أدبية اجتماعية يجتمع أعضاؤها في المحافل لإلقاء الخطب والمحاضرات والتعارف بالكبراء من الغريباء^(١٤).

رأي الشيخ محمد متولى الشعراوى ١٩٨٤:

لم يكن في ذهن أحد ممن يشاهدون العالم الجليل الشيخ محمد متولى الشعراوى وهو يفسر القرآن الكريم أن يتطرق إلى الحديث عن الماسونية. ففي شهر مارس ١٩٨٤ وفي إحدى لقاءات الشيخ الشعراوى بالتليفزيون المصرى قرر الشيخ الجليل رداً على ما يقال أن العضوية فالماسونية قصدها المشاركة في أعمال تخدم المجتمع بأنه إذا كانت أهدافهم تحمل خيراً ولا ريب فيها، فلماذا لا يمارسونها من خلال التجمعات والأندية المصرية؟ ولماذا الإصرار على الروتارى المعروف بأن رئاسته المركزية ليست في مصر، ولا في بلاد العرب ولا في أرض المسلمين؟^(١٥).

رأي الدكتور يوسف القرضاوى ١٩٧٩:

كتب الدكتور القرضاوى في مجلة الدعوة^(١٦) يقول:

«ليس هناك أدنى حاجة للمسلم للانضمام لجمعيات يلبسها الغموض من جانب، وتحيط بها الريب والشبهات من هنا وهناك. وقد وضع لنا رسولنا ﷺ القاعدة التي تقول: دع ما يريبك إلى ما لا يريبك وأيضاً: من اتقى الشبهات فقد استبرأ لعرضه ودينه.

«وإن كانت هذه الجمعيات تدعو إلى الإخاء والمساواة والحرية، أو تعلم المحبة والتسامح، فلسنا نحن المسلمين في حاجة إليها، لأننا أساتذة الدنيا في هذه المعاني، ونحن دعائنا ومعلموها للناس».

رأي الشيخ عطية صقر ١٩٨٤،

أذيعت في صباح يوم الأربعاء ٢٨ أكتوبر ١٩٨٤ في إذاعة القرآن الكريم بالقاهرة حلقة من برنامج بين السائل والفقير، كان يقدمها الشيخ الجليل عطية صقر عضو لجنة الفتوى بالأزهر الشريف، وقال فيها عن الماسونية:

«يزعم هؤلاء أنهم يبنيون المجتمع وفق نظام هندسي دقيق، وأنهم يذيبون النعرات القومية، والعصبية الجنسية والدينية... والحقيقة أن شعاراتهم البراقة خدعت الكثيرين من ذوي العقائد الضعيفة أو المطامع القوية».

هذه المحافل ما هي إلا جهاز يهودي بأشخاص مسلمين يعملون للتمكين لإسرائيل، وإزاحة العوائق أمام وجودها في قلب الأوطان الإسلامية بصورة أو بأخرى، تحت الأمم على نسيان عقائدها التي اعتنقتها ليسهل عليها أن تجعل من شعاراتها البراقة الكاذبة طريقاً إلى ميلاد إسرائيل.

«ولذلك فأنا أؤكد، أن المسلم لا يمكن أن يكون ماسونياً، لأن الارتباط بالماسونية انسلاخ تدريجي عن شعائر دينية، ينتهي بصاحبه إلى الارتداد التام عن دين الله. تلك هي الماسونية التي تزعم أنها فوق الأديان وفوق الأجناس، وهي في الحقيقة خدمة مجانية عامة لتدعيم السلطان الصهيوني الدولي في شرقنا الإسلامي» (١٧).

ثالثاً: الموقف الحكومي العربي من الماسونية،

من الواضح بعد الاتهامات التي اتهم بها الماسون في الدول العربية بمساندة الصهيونية ومساعدتها على تحقيق أهداف إسرائيل كان لازماً على الحكومات العربية اتخاذ قرارات حاسمة بإلغاء الماسونية وغلق محافلها، واستمرت ردود الأفعال تتصاعد في المنطقة العربية، خاصة بعد أن تم القبض على الجاسوس الإسرائيلي إيلي كوهين في دمشق والذي تم إعدامه في ١٨ مايو ١٩٦٥، والشك في مساعدة المحافل الماسونية له في نشاطاته التجسسية قبل أن يغادرها، ليتم تجنيده بواسطة جهاز الاستخبارات الإسرائيلي موساد، ويصبح بعد تجهيزات كثيرة من أخطر الجواسيس الإسرائيليين في المنطقة العربية^(١٨)، وهكذا لزم اتخاذ قرارات بشأن وضع الماسونية في المنطقة العربية.

إلغاء الماسونية في العراق ١٩٥٤،

في عام ١٩٥٤ صدر قانون بحل كل الجمعيات والمنظمات في العراق، ولم تأخذ الماسونية في العراق محمل الجد، فقد جاء في محضر جلسة من جلسات محفل (البصرة) الماسوني أن: صدور هذا القانون موجه ضد الشيوعية وليس ضد الماسونية^(١٩).

ولما قامت ثورة ١٤ تموز (يوليو) عام ١٩٥٨ بقيادة حزب البعث العربي الاشتراكي أمرت الحكومة العراقية بغلق المحافل الماسونية في كافة أنحاء البلاد، فكانت بذلك أول دولة عربية تتخذ هذا القرار.

وفي ١٣/٠٨/١٩٧٥ قرر مجلس قيادة الثورة العراقية على إصدار قانون ١٣٠ لسنة ١٩٧٥، وفيه التعديل الثالث لقانون العقوبات رقم ١١١ لسنة ١٩٦٩ وفيه:

مادة ١: يلغى نص المادة ٢٠١ من القانون ويحل محلها ما يلي:

مادة ٢٠١: يعاقب بالإعدام كل من حذب أو روج مبادئ صهيونية بما في ذلك

الماسونية أو انتسب إلى أى من مؤسساتها أو ساعدها ماديا أو أدبيا، أو عمل بأية كيفية كانت لتحقيق أغراضها.

مادة ٢: ينشر هذا القانون فى الجريدة الرسمية ويتولى الوزراء تنفيذ أحكامه.

توقيع: أحمد حسن البكر

رئيس مجلس قيادة الثورة (٢٠)

وفى ١٩٧٦/٣/٢ أصدر ديوان التدوين القانونى العراقى قرارا جاء فيه:

«حيث أن الترابط أصبح ثابتا بين الصهيونية كحركة عنصرية أدانتها هيئة الأمم المتحدة والماسونية التى تحولت أداة بيد الدوائر الاستعمارية والصهيونية، وحيث أن من حق كل دولة عضو فى هيئة الأمم المتحدة الدفاع عن مصالحها أو الهيئات أو الجمعيات، لذا عمد المشرع العراقى إلى إدانة النشاط الصهيونى والماسونى بنص المادة ٢٠١ من قانون العقوبات رقم ١١١ لسنة ١٩٦٩، وجعلها من الأفعال المعاقب عليها جنائيا، (٢١).

إلغاء الماسونية فى مصر ١٩٦٤،

رغم أن الثورات على الوجود البريطانى لم تنته طوال فترة الاحتلال، إلا أن طوال تلك الفترة لم يُستصدر أى قرار بمنع النشاط الماسونى فى مصر. ولكن حين قامت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ كان الأمر يختلف. فهؤلاء الضباط الذين قاموا بالثورة هم أنفهم من شاركوا فى حرب ١٩٤٨، فى حين أن الأصوات أصبحت تنادى بمدى الارتباط بين الماسونية والنشاط الصهيونى فى المنطقة العربية.

وبعد قيام الثورة المصرية بدأ الاختفاء التدريجى للمحافل الماسونية يتزايد بشدة، وفى الواقع أن انسحاب الأعضاء من الماسونية كان قد بدأ بشكل تدريجى منذ عام ١٩٤٨، وخاصة من المصريين والبريطانيين والأجانب من أصحاب الوظائف الهامة فى الجيش البريطانى، كما انسحب بعض المسئولين فى الحكومة المصرية.

لقد فضلَ الأجانب مغادرة البلاد وممارسة النشاط الماسوني في بلادهم. كما استمرت الحال هكذا حتى أزمة السويس ١٩٥٦، عندئذ بدأت المحافل الماسونية الأجنبية في التوقف عن النشاط في مصر ونقل نشاطها إلى خارج مصر أو إنهاء النشاط بصورة نهائية. إلا أن المحفل الأكبر المصري كان ما يزال عاملاً ويريد الاستمرار.

وحاول المحفل الأكبر الوطني المصري تأمين نشاطه بأية وسيلة حتى وإن كان ذلك بالتنازل عن شخصيته التنظيمية، وتسجيل نفسه كجمعية تابعة للدولة، وكان يأمل أن تتركه الدولة ومحافله ليمارس النشاط كعهد الماسونية بالدولة منذ بداية الماسونية نشاطها في مصر في القرن التاسع عشر. وهذا الإجراء لا يمكن أن تتخذه أى محافل ماسونية في العالم لأنه يخرج عن سياسة الماسونية العامة، ويشكل هذا الطلب من المحفل المصري آنذاك لغزاً يتطلب حلاً. فهل كان يهمهم البقاء بأية صورة ولو كان هذا البقاء يأتي ضد سياسة السرية التي تتبعها الماسونية للحصول على مكاسب في أنفسهم، أم ماذا؟!!

على أية حال، وجد المحفل الأكبر الوطني المصري أن المناخ مناسب فتقدم بطلب (رقم ١٤٢٥) إلى وزارة الشؤون الاجتماعية حسب الأصول الإدارية المتبعة كي يسجل عشيرتهم في وزارة الشؤون الاجتماعية المصرية، فطلب منهم المسئولون تطبيق قانون الجمعيات عليهم، وهذا القانون يحتم خضوع كل الجمعيات داخل الجمهورية لإشراف وزارة الشؤون الاجتماعية حسب النظام القانوني التالي:

أولاً: تشرف وزارة الشؤون الاجتماعية في الجمهورية العربية المتحدة على الجمعيات والهيئات الاجتماعية إشرافاً كاملاً من يوم تقديمها الطلب إلى يوم إجراء حل هذه الجمعية.

ثانياً: لوزارة الشؤون الاجتماعية الحق في التفتيش على سجلات هذه الجمعيات بشكل دوري.

ثالثاً: ترسل هذه الجمعيات نسخة من محضر أى اجتماع يعقد فيها بحضور كامل الأعضاء وذلك خلال خمسة أيام من تاريخ الاجتماع وتحت المسؤولية.

رابعاً: تكلف الوزارة موظفيها بحضور اجتماع الهيئات العامة من قبل الرقابة على الجمعيات، ويشمل هذا الإجراء الإطلاع على أعمال الجمعيات والتحقق من مطابقتها للقوانين، والأنظمة فى الجمهورية العربية المتحدة.

خامساً: للوزارة حق وقف أو إلغاء أى قرار صادر عن أى جمعية بقرار معل إذا وجدته مخالفاً لأحكام القانون فى الجمهورية العربية المتحدة.

عند ذلك رفضت إدارة المحفل الأعظم تقديم سجلات بأعمالها إلى وزارة الشؤون الاجتماعية لأنه يتعارض مع السرية التامة التى هى من سمات الماسونية منذ إنشائها، بحيث لا تسمح القوانين الماسونية لأحد ولا حتى للدولة التى تعيش فى كنفها، أو لأعضائها العاديين بالإطلاع على أعمالها ونشاطها وطقوسها، وعند ذلك قررت الحكومة المصرية إلغاء الجمعيات الماسونية فى مصر فى عام ١٩٦٤، وعلى رأسها المحفل الأعظم.

وهكذا وفى السادس عشر من أبريل عام ١٩٦٤ أعلنت الصحف المصرية الخبر الذى اهتزت له الشروق الماسونية العربية والغربية على السواء، وأصيب الماسون فى العالم بصدمة وحالة ذهول، حيث نشرت الصحف المصرية البيان التالى:

«أصدرت الدكتورة حكمت أبوزيد وزيرة الشؤون الاجتماعية أمس ١٥ أبريل من عام ١٩٦٤ قراراً بحل الجمعيات الماسونية بأنحاء الجمهورية العربية المتحدة، وهى: المحفل الماسونى اليونانى ومحفل خوفو بالقاهرة والمحفل الأكبر الوطنى لوادى النيل بالإسكندرية وفروعه بالإسماعيلية وهى:

محفل التوفيق ومحفل القومية ومحفل سولون ومحفل جاليبالدى ومحفل فينكس ومحفل جلوت ومحفل لايركبيون ومقام إيزيس ومحفل التحرير ومحفل الوحدة

ومحفل أوزيريس ومقام جلوت ومحفل فتراتيس ومحفل إسماعيل رقم ٢ ومقام سولون ومحفل هارميس ومحفل لاير نيكسون ومحفل إيزيس والجمعية الخيرية الماسونية بالمنصورة.

كما ينص القرار على أن تقوم مديريات الشئون الاجتماعية بتعيين من يقوم بتصفية الجمعيات التي تقع في دائرة اختصاصها، وتوجيه أموالها إلى اللجان الفرعية لمعونة الشتاء في المحافظات التي تقع في دائرة اختصاصها (٢٢).

وفي مجلة القوات المسلحة الصادرة يوم ٢٠ أبريل من عام ١٩٦٤ جاءت تفاصيل اقتحام قوات أمن الدولة للمحافل الماسونية بعد أربعة أيام من التحقيقات المستمرة. وفي عدد يوم ٣/ يونيو/ ١٩٦٤، من مجلة آخر ساعة تم نشر تفاصيل أخرى بعنوان الوثائق السرية الخمس التي كانت تخفيها الماسونية، وجاء فيه: «من أحد التقارير الرسمية لأجهزة الأمن الداخلي نقل ما يلي نصاً: تم وضع النادي الماسوني الإنجليزي بشارع طوسون تحت الحراسة، وقام الأستاذ محمد علي عوض نائب الحارس العام بجرد محتوياته، وتبين أن النادي يدار طبقاً للقانون الإنجليزي ويعمل أعضاؤه وفقاً لأحكام هذا القانون، وأن إدارة النادي هربت إلى لندن جميع المستندات والسجلات منذ عام ١٩٥٢، ولوحظ أن جميع أدوات النادي تحمل النجمة الإسرائيلية المسدسة، وأن جميع ما بالدار يتسم بالطابع البريطاني الإسرائيلي وأن أمن الدولة وسلامتها اقتضى ذلك» (٢٣).

ولقد أثارت إجراءات الحكومة المصرية ضد الماسونية وما أبدته من أسباب ردة فعل غير عادية، ليس فقط في مصر ولكن في بقية الدول العربية، فقد كتبت المسرة اللبنانية، تحت عنوان (حل المحافل الماسونية بمصر) وقالت: «كانت الأيام الأولى ثقيلة الوطأة على المحافل الماسونية في الشرق، ففي الجمهورية العربية المتحدة عثرت السلطات على وثائق سرية تقضح الماسونية، وتمزق الحجاب عن وجهها الصهيوني، فصدر قرار بإقفال المحافل، وحل الجمعيات الماسونية في حدود الجمهورية».

وأما في لبنان فما أن نشرت الصحافة وقائع الحدث وتناقلته بعض الصحف اللبنانية حتى تنادى أقطاب الماسونية فعقدوا الاجتماعات برئاسة حضرة صاحب الشوكة العظمى - الكلى القدرة - حنا أبى راشد، واتخذوا قرارات لإخماد الشرارة قبل أن تلهب حريقاً. ومن قراراتهم ابتياع جميع أعداد الصحف المصرية: آخر ساعة والأهرام والأخبار التى نقلت الخبر مدعوماً بالرسوم، ثم الصحف اللبنانية كصوت العروبة وجمعها وإحراقها. ومن القرارات الاحتجاج لدى السلطات المصرية لاعتقال الماسون، والطلب من رأس المحافل الإنجليزية الحضور من لندن على جناح السرعة...، وأن يكلموا أفواه الصحف. وقد رصدوا لهذا الغرض مبالغ ضخمة بالإضافة إلى ما تبرع به الحضور فى الاجتماع وقد بلغ نحو ٤٠ ألف ليرة لبنانية، ثم قرروا نقل أخطر ما لديهم من وثائق إلى مكان معزول بعيداً عن بيروت ونواحيها.

وأضافت المسرة: أن الكثرة الغالبة من عظماء الشرق فى مختلف الميادين السياسية والمالية بل حتى بعض ممثلى الأديان منضونون تحت لواء الماسونية كما يشهد بذلك حنا أبى راشد فى العدد الأخير من جريدتهم (الدولة المثالية) (٢٤).

إلغاء الماسونية فى سوريا ١٩٦٥:

كانت الأحزاب والقيادة السياسية فى سوريا دائماً ما تنظر إلى الماسونية بحذر شديد، ومنذ عام ١٩٢٣ حظر على الدخول فى الماسونية الحزب الشيوعى الروسى، وتبعه الحزب السورى القومى الاجتماعى، ثم قادة الحركة التصحيحية فى سورية عام ١٩٦٥،

وحظرت الماسونية رسمياً فى سوريا بموجب الأمرين العرفيين رقم ٢٥ فى ٩ أغسطس من عام ١٩٦٥، القاضى بإلغاء الجمعية الماسونية المسماة بالمحفل الأكبر السورى العربى والمحافل التابعة له فى جميع أنحاء القطر العربى السورى.

وأعلن راديو دمشق بحظر القيام بأى نشاط لصالح الجمعية، وتُختم المحافل الماسونية وأندية الروتارى بالشمع الأحمر، وتصفى موجوداتها من قبل لجان وزارة

الشؤون الاجتماعية والعمل، ويلاحق المخالفون أمام المحكمة العسكرية المختصة، لإجراء محاكمتهم بجرائم الانتساب إلى جمعية ذات طابع دولي... (٢٥).

إلغاء الماسونية في السودان ١٩٧٠،

نشرت جريدة الميثاق السودانية في ٢٢ إبريل ١٩٦٩ :

«طفحت الصحف خلال الأيام القليلة الماضية بنقاش حول اشتراك بعض كبار المسؤولين في الدولة في عشائر الماسونية ، التي هي حركة صهيونية تعمل لجذب كبار الموظفين والسياسيين لعضويتها، ولا يوجد بين أعضائها الفقراء أو ذوو الدخل المنخفض.

وقد جلت المحافل الماسونية في باكستان، لخطورتها على الأوضاع السياسية والاقتصادية والخلقية والاجتماعية، فهي لا تخضع للحكومات ولا تعترف بها، كما أنها لا تؤمن بالقانون والأخلاق والقيم، وأمرت رجال الشرطة والجيش بعدم الانضمام إليها.

كذلك فعلت مصر، فحلت الجمعيات الماسونية والسرية المشبوهة الأخرى كالروتاري والليونز وغيرها. ونحن في السودان في حاجة لوقف هذا النشاط الذي لا يعرفه غير أعضائه، وبخاصة ونحن نشرف على وضع دستور إسلامي، (٢٦).

وفي عام ١٩٧٠ تم حل المشرق الأعظم لمنطقة مصر والسودان الماسوني، ومراقبة جميع محافله ومصادرة محتوياتها، وكان رئيسه آنذاك هو الأستاذ الأعظم يحيى عمران آخر أستاذ للماسونية في السودان.

إلغاء الماسونية في الإمارات العربية المتحدة ١٩٧٨،

مع عدم وجود بيانات مؤكدة بوجود محافل ماسونية بدولة الإمارات العربية المتحدة، إلا أن الحكومة الإماراتية أصدرت قرارا باعتبار الماسونية حركة صهيونية يحظر التعامل معها، ونقلت وكالة أنباء الإمارات الرسمية أن هذا الحظر أعلنه السيد

عبد الله المزراعي بوصفه وزيراً للاقتصاد والتجارة بالوكالة استناداً إلى توصية مكتب مقاطعة إسرائيل وجاء في المرسوم أن الحركة الماسونية هي حركة صهيونية، لأنها تعمل بتوجيه من الصهيونية لتعزيز أضرارها وأهدافها، وأنها تساعد على تدفق الأموال من أعضائها إلى إسرائيل بشكل يدعم اقتصاد إسرائيل ومجهودها الحربي ضد الدول العربية (٢٧).

أما إلغاء الماسونية في بقية دول الخليج العربي فقد جاء بناء على إلغائها في بلادها الأصلية التي ألغتها، فانتهت أعمالها في الخليج العربي بالتالي، مثلما حدث عندما ألغت العراق الماسونية وجرمتها فتم إلغاؤها في الكويت والبحرين بناء على هذا القرار.

قرار مكتب مقاطعة إسرائيل ١٩٧٧،

جامعة الدول العربية ..

المؤتمر رقم ٤١ لضباط اتصال المكاتب

الإقليمية لمقاطعة إسرائيل ..

التوصية رقم (٤) .. مايو ١٩٧٧ .

على ضوء التوصية رقم ٦٠ المتخذة بشأن الماسونية خلال المؤتمر ٣٩ وعلى ضوء الدراسات التي تلقاها المكتب من السلطات الرسمية في الجمهورية العراقية، وجمهورية مصر العربية، والجمهورية العربية السورية، وجمهورية السودان، ودولة البحرين، ومنظمة التحرير الفلسطينية، والآراء التي أبدتها أعضائها بعض السادة الأعضاء أثناء انعقاد المؤتمر والتي تضمنت جميعها ما يلي:

١- إن لهذه الحركة علاقة وثيقة بإسرائيل والصهيونية العالمية، ومؤسسيها من الصهاينة المعروفين، وهذه العلاقة ثابتة منذ التقاء مؤسس هذه الحركة مع حكماء صهيون في المؤتمر الصهيوني بمدينة بال السويسرية برئاسة تيودور هرتزل في سنة ١٨٩٧، الذي انبثقت عنه خطة إنشاء دولة إسرائيل.

٢- إن اسم الحركة الماسونية يشير إلى محاولة بناء هيكل سليمان، وهو هدف الصهيونية العالمية.

٣- إن المحافل الماسونية في جميع أنحاء العالم تضع على واجهاتها في غالبية مراكزها نجمة داوود، وهي شعار إسرائيل. كما أن اللون الأزرق الذي تطلّي به المحافل هو لون علم إسرائيل. والمطرقة والفرجار وآلات النجارة والبناء التي تستعملها هذه المحافل في شعاراتها هي رمز هدم هيكل سليمان، والعمل على إعادة بنائه.

٤- ما ثبت من إصرار هذه الحركة على عقد مؤتمراتها السنوية في إسرائيل، وذلك بغية جذب عدد كبير من الأعضاء الماسون في أنحاء العالم لزيارة إسرائيل والعمل على دعم اقتصادها، وتضمن نشراتها دعاية لحق إسرائيل في فلسطين المحتلة.

٥- ما ثبت رسمياً في كل من جمهورية مصر العربية، وجمهورية السودان، من أن فروع هذه الحركة في البلدين كانت تعمل لصالح الصهيونية العالمية، الأمر الذي دعا إلى اتخاذ الإجراءات في كل من البلدين لوقف نشاط هذه الحركة.

وبعد مداولات عديدة، وبعد الرجوع إلى أحكام القانون ومبادئ المقاطعة المقررة، وقرار مجلس جامعة الدول العربية رقم ٢٣٠٩، المتخذ في دورة انعقاده السابعة والأربعين بشأن الأشخاص ذوي الميول الصهيونية، أوصى المؤتمر باعتبار الحركة الماسونية حركة صهيونية؛ لأنها تعمل بإيحاء منها لتدعيم أباطيل الصهيونية وأهدافها، كما أنها تساعد على تدفق الأموال على إسرائيل من أعضائها، الأمر الذي يدعم اقتصادها ومجهودها الحربي ضدّ الدول العربية. كما أوصى بحظر إقامة مراكز أو محافل لنشاط الحركة الماسونية في الدول العربية وإغلاق أي أماكن لها تكون قائمة الآن في تلك الدول. ولا يجوز التعامل أياً كان نوعه وطبيعته مع مراكز هذه الجماعة أو محافلها في مختلف أنحاء العالم.

صدر في ١٩٧٧/٠٦/٠١

(المفوض العام) (٢٨)

هوامش الفصل الخامس

- (١) نجدة فتحي صفوت، الماسونية في الوطن العربي (١٩٨٠: ٣١)؛ نُشر النص الأصلي من كتاب كشف الظنون عن حال الفرمايون في: مجلة المشرق (عدد ٧، السنة ١٩، يوليو ١٩٢١).
- (٢) على شلش، اليهود والماسون (١٩٨٦: ١٠٩).
- (٣) مجلة المشرق (عدد ٧، السنة ١٩، يوليو ١٩٢١).
- (٤) عبد الله سمك، الماسونية العالمية، ج ٢ (١٩٩١: ١٦٤).
- (٥) مجلة المشرق (عدد ٧، السنة ١٩، يوليو ١٩٢١).
- (٦) عبد الله سمك، الماسونية العالمية (ج ٢، ١٩٩١، ١٦٣، ١٦٦).
- (٧) زيدان، تاريخ الماسونية (١٩٨٢: ١٩٧)؛ نجدة صفوت، الماسونية (١٩٨٠: ٣٢).
- (٨) تحت عنوان الماسون الأحرار والجزويت أنظر: اللطائف (١٥ فبراير ١٨٨٨؛ ١٥ مارس ١٨٨٨؛ مايو ١٨٨٨؛ ديسمبر ١٨٩٠).
- (٩) المقتطف (سبتمبر ١٨٨٤)؛ حيرام، (عدد ١، ١٩٢٤)؛ أيضا نشرت حيرام في (٦، ٩ يونيو ١٩٢٤) تحت عنوان البشير والجزويت؛ وعنوان الماسونية والأب شيخو يناظر للمهاترة والإتجار؛ وفي نفس العددين الجزويت جمعية سرية خطيرة تتستر وراء الدين.
- (١٠) البيان (٢٤ يوليو؛ ١٤ أغسطس ١٨٨٤).
- (١١) مجلة المشرق (عدد ٢، السنة ٢٨، ١٩٣٠).
- (١٢) أبو إسلام أحمد عبد الله، الروتاري في قصص الاتهام (١٩٨٧: ٢٤٠).
- (١٣) يعتبرها البعض فتوى لأنها جاءت في الجزء الثالث من كتاب رشيد رضا الفتاوى الماسونية، لكنه وكما نلاحظ أنه لا يتعدى رأى كاتب يتحيز إلى الماسونية، لكن البعض يعتبره دليل على عمل الماسونية السياسى.
- (١٤) عبد الله سمك، الماسونية، ج ٢ (١٩٩١: ١٦١).
- (١٥) الحديث نقلًا عن: أبو إسلام، الماسونية في المنطقة ٢٤٥ (١٩٨٥: ١٧١).

(١٦) مجلة الدعوة (عدد ٥٠، شعبان ١٤٠٠ هـ، القاهرة)؛ نقلًا عن: أبو إسلام، المنطقة ٢٤٥ (١٩٨٥): (١٧٣).

(١٧) أسعد السحمراني، الماسونية نشأتها وأهدافها (١٩٩٢: ١٣٧) .

(١٨) ولد إيلي كوهين في الإسكندرية عام ١٩٢٤، خدم كعميل للمخابرات الإسرائيلية في القاهرة متسترا بالعديد من وسائل التغطية ومنها المحافل الماسونية، ونقل من مصر ليتم تجنيده عميلًا للمخابرات الإسرائيلية في دمشق، وتم اكتشاف تورط كوهين مع العديد من الأندية والمحافل المشبوهة في القاهرة ودمشق . وبعد سقوطه أعلنت المخابرات الإسرائيلية أن الوقوع بكوهين كان بسبب خلل في المجموعة المستولة عن تأميمه؛ أنظر للاستزادة:

Raafat, S., "Freemasonry In Egypt, Is it still around?" (Insight Magazine, 1/March/1999); CF.; Tadmor, J., The Silent Warriors, Trans. By: Rothstein, R., 1sted. (Toronto: 1969), 155- 176.

بعض الكتابات الإسرائيلية كتبت عن تلك العملية بمختلف وجهات النظر، وعرضت كافة الروايات، كما عرضت حياة إيلي كوهين بمصر تفصيليًا، أنظر للاستزادة: أورى دان إشعيا؛ عميل من إسرائيل، ميسدا ١٩٨٨، ١٩٨٨؛ شيموئيل شاجا، جاسوس بدمشق، القدس ١٩٨٦؛ بين حنان، إيلي كوهين رجلنا في دمشق، تل أبيب ١٩٦٧؛ حجي، إيلي كوهين البطل الإسرائيلي بدمشق، كتب البطولة، تل أبيب ١٩٦٨ .

(١٩) حسين عمر حمادة، الماسونية والماسونيون (د.ت: ٢٠٤) .

(٢٠) سمك، حقيقة الماسونية، ج ١ (١٩٩١: ٣٠)؛ حسين عمر حمادة، الماسونية (د.ت: ٢١١) .

(٢١) نجدة صفوت، الماسونية (١٩٨١: ٤٤) .

(٢٢) سعيد الجزائري، الماسونية ماضيها وحاضرها (١٩٩٢: ٣٤٣)؛ نجدة صفوت، الماسونية (١٩٨١: ٢٨، ٢٩) .

(٢٣) وائل إبراهيم الدسوقي، الماسونية (٢٠٠٥: ١٦٣، ١٦٤) .

(٢٤) اسكندر شاهين، الماسونية ديانة أم بدعة (١٩٩٩: ٤٥) .

(٢٥) نضال القادري، هوامش فوق سياسات الجنون، صحيفة الحوار المتمدن (سوريا: عدد ١٤٠١، ١٦،

ديسمبر ٢٠٠٥)؛ وللصحيفة موقع اليكترونى وهو:

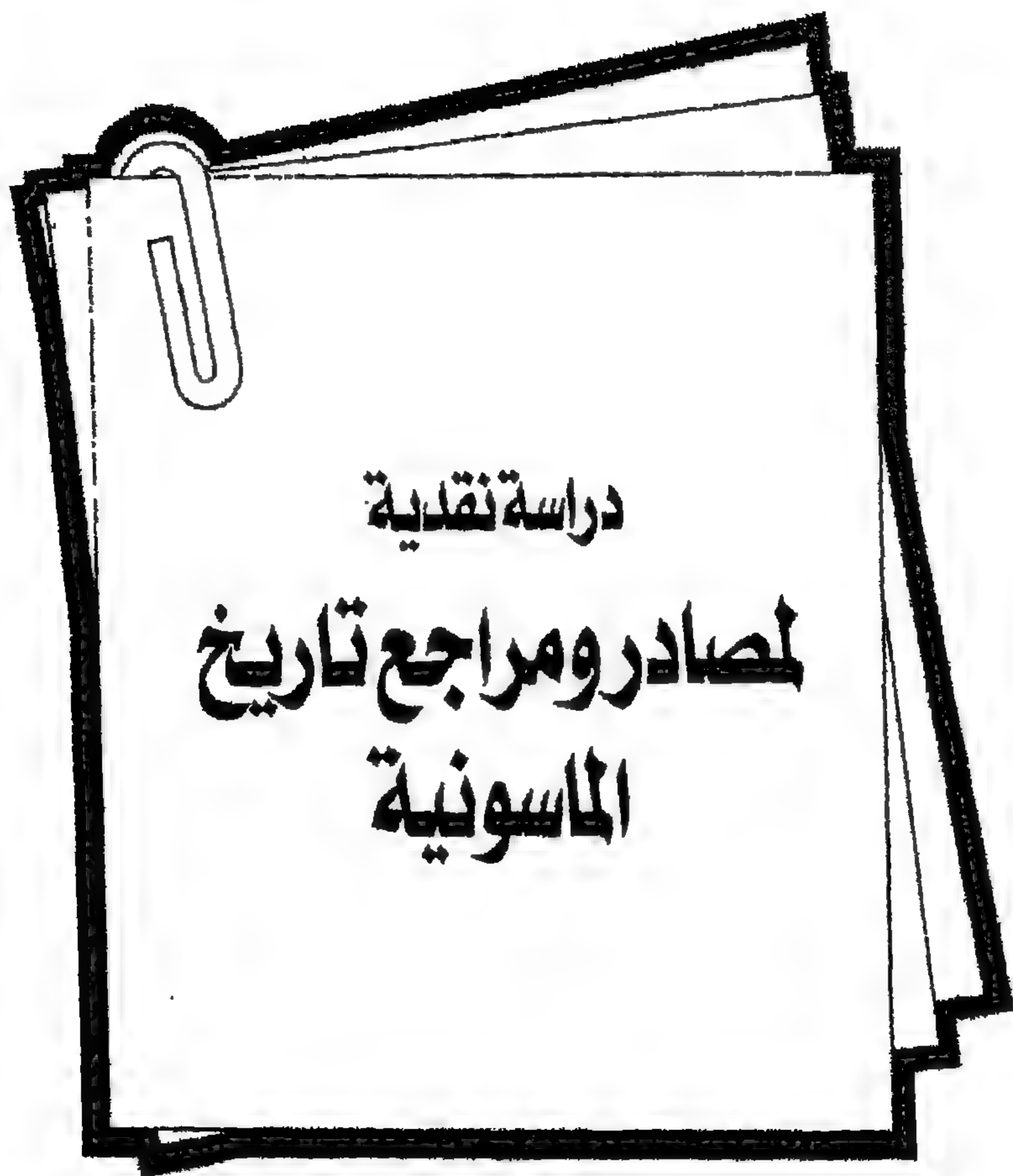
<http://www.rezgar.com>.

(٢٦) أبو إسلام، المنطقة ٢٤٥ (١٩٨٥: ١٦٠).

(٢٧) صحيفة الشرق اللبنانية (عدد ٨٦٧٩، السنة ٥٢، ١٥ إبريل ١٩٧٨) نقلاً عن: حسين عمر

حمادة، الماسونية والماسونيون (د.ت: ٢٠٤).

(٢٨) نفسه: ٢٩٣.



دراسة نقدية

لمصادر ومراجع تاريخ
الماسونية

إن السمة العامة التي تتسم بها مصادر تاريخ الماسونية في العالم أنها تفتقر إلى الأدلة التاريخية والعلمية، خاصة فيما يتعلق بأصول الماسونية في التاريخ العربي غير بعض استنتاجات وتأملات شخصية تفتقر إلى الدليل المقنع وتملأها الخيالات. الأمر الذي جعل من الصعب البحث في تاريخ الماسونية سواء في العالم بصفة عامة والعربية بصفة خاصة.

ولدينا من المصادر والمراجع الكثير، منها ما عاصر الأحداث ومنها ما كتب بعد انتهائها. منها ما كتب بوجهة نظر ماسونية خالصة ومنها ما هو غير متحيز. إلا أنه غلبت على تلك الكتابات الأهواء والميول الشخصية والمشاعر الخاصة، خاصة عندما راح البعض منهم يشيد ببعض الشخصيات الماسونية ويمتدحها مبالغاً في كل شيء.

وحفظت في دور الوثائق العربية وخاصة دار الوثائق القومية بالقاهرة مجموعة من الوثائق النادرة تتعلق بالماسونية في مصر وارتباطها ببعض الشروق الماسونية العربية وخاصة في سوريا ولبنان وفلسطين، لكنها قليلة بحيث يصعب الربط فيما بينها وفي أعوام محددة، وتضم مجموعة من البرقيات بين المحفل الأكبر الوطني المصري والمحافل الأخرى، وقرارات وقف الأعضاء والمحاكمات الماسونية، وتقارير عن تقييم الشخصيات الماسونية وتكاد تكون دورية، وخطابات متبادلة بين المحافل المصرية والمحافل الأجنبية العربية والغربية.

كما ضمت تلك الأوراق كشوف بأسماء المحافل العاملة وبرامج العمل ودعوات عقد الجلسات الماسونية، بالإضافة إلى كتيبات عن أعمال المحافل التابعة للمحفل الأكبر الوطني المصري في مصر والشام. وفي الثلاثينيات من القرن العشرين كثرت دعوات الماسون في مصر إلى السياسيين العرب لحضور الحفلات الماسونية، وضمت

أيضا قصاصات صحفية تتعلق بالأمير «محمد على».

وفى الأربعينيات زادت الوثائق التى تشكو من مفسد الماسون وسوء إدارتهم للنادى الترفيهية الماسونية والتى كانت فى الغالب ملحقة بالمحافل الكبرى.

ويبدو أن المحافل الماسونية كانت تعاني من أزمت مالية فلا يوجد تقرير ميزانية إلا ويشكو من قلة الإيرادات وزيادة المصروفات، حتى أن المحفل الأكبر المصرى يُفصل أحيانا ديونه فى بعض التقارير، فضلا عن كشف التبرعات.

كما تعددت الخطابات بين المحافل المصرية والعربية والأجنبية بشأن نتائج الانتخابات المحفلية، وهناك أيضا مجموعة من الخطابات المتبادلة بين الأستاذ الأعظم للمحفل الأكبر البريطانى والأستاذ الأعظم للمحفل الأكبر الإقليمى لمصر والسودان «س.ب. ويلسون» فى عام ١٩٣٣، تكشف عن جوانب عديدة عن الماسونية فى السودان ومدى ارتباط المحافل الماسونية فى مصر والسودان، كما يظهر فيها حجم المؤامرات البريطانية على الماسونية المصرية آنذاك.

وباستعراض الكتابات العربية التى عاصرت جزء من الأحداث الماسونية نرى أن أولهم وأجدرهم وأهمهم هو ما كتبه «شاهين مكاريوس» أحد أقطاب الماسونية. والذى ألف عدة مؤلفات غلب عليها طابع التحيز للماسونية.

وتمثل كتابات مكاريوس موسوعة شاملة حول الماسونية. وأهمها أربعة كتب جمعت فى مجلد واحد بعنوان (أربع كتب فى الماسونية)^(١) فى عام ١٩٩٤. تحدث الكتاب الأول عن فضائل الماسونية، واستشهد المؤلف لذلك على شواهد حية وأحداث تجلت فيها هذه الفضائل، وتناول الكتاب الثانى الحقائق الأصلية فى تاريخ الماسونية جمعه المؤلف من كتب وفيرة المادة - لم يذكر أى منها - يعول عليها فى صدق الرواية. وجاء جامعاً مستوفياً كل ما يهم القارئ ليعرفه ويطلع عليه من تاريخ الماسونية.

وسرد الكتاب الثالث (الآداب الماسونية) ، وقد أقيمت احتفالية خاصة لتأليف هذا الكتاب في عام ١٨٩٥ ، وأرسل المحفل الأكبر الوطنى المصرى رسالة إلى شاهين مكاريوس لتهنئته، وجاء فيها :

المحفل الأكبر الوطنى المصرى

شرق القاهرة فى ٢٦ يونيو سنة ١٨٩٥ / نمرة ١٣٢٥ .

حضرة الأخ الفاضل شاهين مكاريوس المحترم رئيس محفل اللطائف... بعد السلام الأخوى: لقد اطلعنا بمزيد من السرور والشكر مؤلفكم فى الآداب الماسونية وامتدحناكم لاهتمامكم بطبع هذا الأثر المفيد. وقد تقرر بالجلسة المنعقدة فى ٢٢ يونيو الجارى فى الدار الماسونية مكافأة أخوتكم بالنیشان الماسونى العالى من المحفل الأكبر المصرى الموقر علامة الاستحسان لعملكم الممدوح وتنشيطا لغيركم على الإقتداء بكم. وتقرر أيضا إيعاث منشور لكافة المحافل الوطنية المصرية بوجوب اقتناء هذا المؤلف النفيس والاستفادة منه كل الله كل أعمالنا وأعمالكم الخيرية بالنجاح والتوفيق وزادكم غيرة واهتماما ونفعا ووطد بكم دعائم المساواة والحرية والإخاء.

كاتب السر الأعظم

للمحفل الأكبر الوطنى المصرى (ن.ص) (٢)

وجاء الكتاب الرابع فى تاريخ الإسرائيليين، وهو لا يرتبط ارتباطاً وثيقاً بتاريخ الماسونية وإنما عرض لتاريخ الإسرائيليين، ولكن من وجهة النظر والتفكير الماسونية. ولم يكتف مكاريوس بتلك المؤلفات لكنه اهتم بإيضاح دقائق الأمور الماسونية فى الرسوم والتكريس عندما ألف كتابه (الدستور الماسونى العام للطريقة الأورشليمية) (٣). ويتحدث الكتاب عن الماسونية مبادئها ونظامها ثم محافلها، ورتب أعضائها وتنظيمها وكيفية الانضمام إليها وبروتوكولاتها، ثم طريقة الاستعفاء منها والنظام الاقتصادى لها، وأخيراً قانونها العام فى المخالفات والعقوبات فى الجنج

والجنايات الماسونية، ومن ثم الدعاوى والتحقيق وفي المداولة والحكم، ليتناول محكمة الاستئناف الماسونية العليا وطلب العفو وتخفيض العقوبة.

إن هذا الكتاب تشكك في نسبته لشاهين مكاريوس لأن النسخة الأصلية منه كتب عليها (قام بضبطه وطبعه وترتيبه شاهين بك مكاريوس)، ونرجح أن مكاريوس قام بترجمة الدستور ونسبه إلى نفسه.

أما كتاب مكاريوس (الكنز المصون في ثلاث درجات الماسون) فيتحدث عن الرتب الماسونية الثلاث التي يتدرج المنتمى إلى الماسونية فيها. الدرجة الأولى حيث يتم تقليد المنتمى تلك الدرجة وهي درجة الشغال، وكذلك الدرجة الثانية، والتي يترقى الماسوني الجديد من درجة الشغال إلى درجة الرفيق وبعد ذلك يتم ترقية الرفيق إلى الدرجة الثالثة. كل ذلك من خلال طقوس يقيمها المحفل الماسوني لكل واحدة من هذه الرتب.

وجاء كتابه (تاريخ الماسونية العملية) ^(٤) ليذكر فيه كل ما يتعلق بالحقائق الأصلية في تاريخ الماسونية العملية، أصلها وتعاليمها وغايتها وانتشارها، وصاياها القديمة والحديثة، وأهم منشوراتها ومجامعها ومدارسها، والماسون في الشرق والماسونية في البلاد العربية، إلى جانب العديد من الفصول التي تتحدث عن كل ما يتعلق بالماسونية في أمور تصب في خانة إبرازها وتوضيحها للباحثين عن أسرارها.

أما جورجى زيدان، فجاء كتابه (تاريخ الماسونية العام منذ نشأتها إلى اليوم) ^(٥) ليؤرخ لنشأة الماسونية وما رافق تاريخها من حوادث في سائر أنحاء العالم على اختلاف الزمان والمكان بالاستناد إلى إفادات أعضاء منتمين إليها في الدولة العربية إلى جانب الاعتماد على أشهر ما كتب الغربيين من إنكليز وفرنسيين في أوروبا عن الماسونية. لكن الكتاب جاء مختصراً بشدة حتى أنه يصعب الاستناد عليه أو إثبات ما فيه من بيانات أو شهادات لتحيزه الواضح واستناده على أقاويل دون إثباتات.

ومن الكتابات الحديثة التي لفتت نظرنا في تاريخ الماسونية كتاب «جيم مارس» الكاتب والصحفي الأمريكي (الحكم بالسر - التاريخ السرى بين الهيئة الثلاثية والماسونية والأهرامات الكبرى)^(٦). وقد اجتهد الكاتب في الإجابة على سؤال هام. هل قادة العالم وساسته المعروفون بسطوتهم ونفوذهم السياسى هم حقاً من يضعون سياسات البلاد التى يحكمونها، أو الأمم التى يقودونها؟ وهل يقصدون - حقاً - ما يعلنون، ويفعلون - بصدق - ما يقولون؟ وهل تصدر قراراتهم وأحكامهم عن مشاوراتهم مع ممثلى برلماناتهم وعن قناعاتهم الشخصية والتى يزعمون أنها لخير أمتهم والإنسانية؟ أم أنها تملى عليهم فيمتثلوا، ولا حول لهم على مخالفتها أو حتى مناقشتها؟ وهل يفعلون ما يفعلون من وحي انتمائهم لأوطانهم وأمهم ومصالحها كما يظهرون؟ أم أن لهم انتماءات سرية؟ وهل هم دعاة السلام المزعومين ببسماتهم السياسية المدروسة بإخراج سياسى متقن، وبياناتهم السياسية المتقنة الصنع؟ ما هى منظماتهم السرية؟ كيف تملى عليهم الجرائم بحق الأمم والشعوب؟ هل ثمة حكومة عالمية خفية؟ ما هى حقيقة العولمة والدعوة إلى حكومة عالمية واحدة؟ ما هى منظمة دير صهيون السرية؟ وما هى منظمة المعهد الملكى البريطانى؟ وما علاقة اليهود وأساطين عائلاتهم المصرفية الثرية التى تتحكم بتمويل الدول والمنظمات والمؤسسات، أو تحاصرها وتهدم مساعيها لكل نجاح مالى أو اقتصادى؟ وما علاقة المنظمات السرية جميعاً بالماسونية؟.

«جيم مارس» مؤلف كتاب (برنامج عمل الغرباء) يصيف فى كتابه تقارير عن وجهات نظر غريبة تتعلق بتاريخ الأمم، ومنظماتها السرية منذ أقدم الحضارات وحتى وقتنا هذا. ويحاول استكشاف أكثر أسرار العالم خفاء. وذلك بكشف الأدمغة المسيطرة المختبئة من خلال محاولة للوصول إلى الحقيقة حيث يقوم بإمالة اللثام عن البراهين بأن أصحاب الأمر الحقيقيين ومحركى الأحداث فى العالم هم الذين يتمكنون عادة من التسبب باندلاع الحروب وإيقافها. كما يتحكمون بأسواق الأسهم المالية ونسب الفوائد على العملات كما يحافظون على تفوقهم الفئوى حتى أنهم يسيطرون على

الأخبار اليومية . وهم يقومون بذلك كله تحت رعاية وأنظار الهيئة الثلاثية والمخابرات الألمانية و الأمريكية وحتى الفاتيكان من خلال تقصيه للبراهين التاريخية .

ومن خلال ذلك البحث يقوم مارس بعناية بتقصي الألغاز التي تربط بين هذه المؤامرة المعاصرة لنا بالتاريخ القديم للبشرية . والنتيجة المذهلة هي تحليل رائع لمعطيات تاريخية وهي تلقى ضوءاً على المنظمات السرية التي تحكم شؤون حياتنا .

هذا الكتاب يقدم لنا رؤية علمية بإمكانها أن تفسر لنا حقيقة عالمنا . وما هي أصولنا وإلى أين نتجه ؟ وقد أخرج مارس كتابه في أكثر من طبعة ، في كل منها إضافات وشروحات تثبت أن لديه الكثير من قرائن وبراهين على ما يذكره .

ومن الكتب الحديثة المهمة كتاب «محمود عبد الحميد الكفري» (العلاقات السرية بين اليهود وبين الماسونية والصهيونية)^(٧) ، ويؤرخ لأكثر من خمسمائة عام كان الاستعمار الغربى فيها يعمل بكل ما أوتى من قوة فى محاولة للسيطرة على العالم العربى مجرباً شتى السبل ومختلف الأساليب ، وقد اعترف «تيودور هرتزل» مؤسس الصهيونية الحديثة بأن كلمات مساواة وإخاء من أنفع الأسلحة التى تعدها إسرائيل لهدم العالم ، وصرح بذلك نصاً بقوله : لقد ردد العميان هذه الكلمات ، غير عالمين أننا نقصد بها الفوضى والهدم والشجار بين الجماعات .

وحلل الكتاب ما ورد فى صحيفة (لافارينا إسرائيلية) أن روح الحركة الماسونية هى الروح اليهودية فى أعماق معتقداتها الأساسية ، إنها أفكارها ولغتها وتسير فى الغالب على نفس تنظيماتها ، وأن الآمال التى تنير الطريق الماسونية وتسند حركتها هى نفس الآمال التى تساعد وتنير طريق إسرائيل ، ودلل على مدى الترابط بين الماسونية والصهيونية واليهودية وأهدافهم التخريبية .

أما كتاب عمر الحلبونى الماسونية الأخطبوط المجهول^(٨) فيركز فيه على جوانب عامة دون التدقيق العلمى ، لكنه حاول جاهداً البحث فى سجل التاريخ عن أصولها دون جدوى ، وأعلن أنها مجهولة الأب والأم على وجه التحديد . وأن كل شيء

في الماسونية يقوم على السر. وأن الكلام في الماسونية هو الإشارة، والإشارة هي الرمز والرمز لا يعرفه أحد.

ولإدراك ملامح هذه السرية جاء الكتاب ليبين: نشأة الماسونية ومبادئها وطقوسها السرية، فروع الماسونية السبعة، طقوس التكريس الماسوني، اعترافات ماسونية، علاقة اليهود بالماسونية، ضلوع الماسونية في إقامة إسرائيل، شهود يهوه ويهود الدونمة ومنظمة بناي بريث.

ورغم تشابه طريقة تناول الفكرة بين كتاب «عمر الحلبوني»، وكتاب محمد علي الزعبي (الماسونية في العراق)^(٩) إلا أن الأخير قدم المعلومات والدلائل التي تلقى الضوء على الماسونية ليوضح دوافع تأسيس الماسونية وصلتها بالجماعات التي لا تزال خفية، أيضاً دوافع التعديل في الماسونية ودرجاتها وأقسامها وإشاراتها ورموزها، والأسباب التي ترى الأهداف الماسونية تختفي تارة تحت أسماء متنوعة (اتحاد وترقي - بناي بريث - البهائية - شهود يهود والسبتيين) وغيرها لتنفيذ اليهودية مهمتها تحت هذه العناوين ونجد في الكتاب إجابات لأسئلة تطرح نفسها: من الذي أسس الماسونية، وما الحكمة من الكتمان والسرية، ولماذا لا تخضع لأنظمة الدولة كبقية الجمعيات. ولماذا فضلت الإغلاق حين طلبت جمهورية مصر العربية مراقبتها؟

ومن الموضوعات التي طرحت نفسها في الآونة الأخيرة هي قضية العمل في السياسة والموقف من الأديان بالنسبة للماسوني، وهو موضوع كتاب «نعمان عبد الرزاق السامرائي»، (الماسونية واليهود والتوراة)^(١٠)، فالماسوني الغربي يقول شيئاً، بينما يناقضه ماسون المشرق في كل ما يقول. ويطرح الكاتب فكرة أن الإنسان الغربي قد بنى دولته ومؤسساته وحقق الاستقلال والسيادة، أما العرب عموماً فما زالوا في أول الطريق.

وإذا كان الإنسان الغربي ليس له قضية مع الصهيونية فهي أول هموم العرب، والتحدى الأكبر الذي يواجهه. فإذا سخر الإنسان الغربي نفسه وجهده للصهيونية فهو

حر، ولكن القضية بالنسبة للعربي مختلفة كل الاختلاف، ومن وجهة نظره أن الماسونى العربى خادم متطوع للصهيونية وذيل من ذيولها، يعمل لإعادة بناء الهيكل على أنقاض الأقصى ومسجد الصخرة، وهذا ما لا يعاينيه الماسونى الغربى ولا يكابده، وإذا كان الإنسان فى الشرق قد انضم لمحفل ماسونى قبل قرن أو أكثر وحجته عدم المعرفة، فماذا سيكون جواب الماسونى اليوم؟ وهو يشهد تجبر إسرائيل وما تفعله بالمنطقة كلها؟ ويجانب تلك الأسئلة وما قدم عليها من إجابات فقد حاول الكاتب الكشف عن طقوس ورموز الماسونية. ويحاول الكاتب أيضا تفسير ما يريده الماسون من جعل التوراة عقيدة لكل الأمم ولجميع الشعوب.

وانفرد كتاب «عبد المجيد همو» (الماسونية والمنظمات السرية ماذا فعلت ومن خدمت) ^(١١) بجمع معظم المنظمات السرية العالمية بشكل أكثر دقة من كتاب محمد عبد الله عنان تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة ^(١٢) وإلى جانب ما ذكره عنان عن تاريخ تلك الجمعيات يشرح همو فى كتابه كيف يتم الانتساب لهذه الجمعيات، وهو بذلك يسد الفجوة فى الكتابات العربية ويفضح اليهود الذين كانوا السبب الأهم وراء تأسيس مثل هذه المنظمات السرية والمنظمات التى يتحدث عنها الكتاب هى: الكهنوت الأعلى فى طيبة، القوة الخفية اليهودية، جماعة الآلهة ميترا وعبادتها الغنوصية العرفانية، أيضا تاريخ الحشاشون والنورانيون والبابية والبهاية وفرسان الهيكل والجردون، وتعرض لجماعة الصليب الوردى والفحامون (الكربونارى) وأحباب الملاك الحارس والخصاؤون، وتعرض لكل مسائل الماسونية: أصلها ونشوءها وتعريفها واسمها، وأشهر أسماء الماسون العرب والعالم، واليمين التى يقسمها المنتسب إلى الماسونية والامتحانات التى يخضع لها؟

ومن أهم موضوعات الكتاب الماسونية والسياسة، والتجديد لصالح اليهود، وعلاقة الماسونية بالقبالة والتلمود ومحاربة الأديان والأمم، كيف سقطت الإمبراطورية الروسية، وكيف تفجرت الثورة الفرنسية، وإعادة اليهود إلى فلسطين

وبناء الهيكل، ثم موضوع الماسونية وتنظيم الماسونية الرمزية، كيف أقيم أول محفل في أوروبا وأمريكا والبلاد العربية.

ولقد تعرضت كتابات كثيرة لتاريخ يهود الدونمة، وأثرهم الواضح في تاريخ العرب والعالم الإسلامي، ودورهم الفعال في سقوط الدولة العثمانية، إلا أن «محمود على عامر» في كتابه (تاريخ الماسونية ويهود الدونمة دراسة وثائقية في الأصول والأهداف)^(١٣) اتسم بمعالجته للماسونية ويهود الدونمة كخطوط رئيسية دون الغوص في أدق التفاصيل لكنه أشار بوضوح إلى تأثيراتها السلبية قديما وحديثا، كما حمل في طياته إشارات إلى ضرورة التعالي على الجراح وطرح الترهات والأمور الثانوية جانبا، بغية إثبات وجودنا كأمة أصيلة وصاحبة تراث تاريخي وحضاري لا يتوافر في أي أمة من الأمم كما أشار إلى أن ما تعانيه المنطقة العربية من تجزئة وتخلف عن ركب الحضارة الحالية، مرده إلى وصول الماسون عامة ويهود الدونمة خاصة إلى صياغة القرار في العالم العربي، فالوثائق التاريخية وأعمالهم التخريبية داخل كل قطر تؤكد ذلك، ولا شك في أن قارئ الكتاب سيقف على حقائق كثيرة مجهولة لم يتطرق إليها كل من كتب في هذا المجال.

ولقد أثار كتاب «وولتون هنة» (فضح اللعبة الماسونية)^(١٤) عاصفة هائجة من الجدل والنقاش في الصحافة الدينية والعلمانية على حد سواء وذلك لدقة وصفه للشعائر والطقوس الماسونية... ويشرح الكتاب ما هي الماسونية، وكيف عرفت وطقوس احتفالاتهم والواجبات الماسونية، والانتساب إليهم ووصف المحفل الماسوني والتحية الماسونية، والصلاة الماسونية وصيغتها، وهل الماسونية دين؟ وتعرض لمسألة دقيقة وهي رجال الدين والأخوية المسيحية في مقابل إدانة الكنيسة للماسونية، وغيرها من المعلومات الدقيقة عن هذه الحركة.

وجاء كتاب «توما البخدادي» (قراءة جديدة في الماسونية وشهود يهوه)^(١٥) ليوضح دور الماسونية في هدم الفكر الديني، وتفتيت المجتمع البشري بتفكيك العائلة

ونشر الفساد والرديلة، وإغواء الشباب وإغرائهم لجذبهم إلى حظيرتهم بواسطة الكذب والافتراء ومحاربة الجمعيات الدينية كالأخويات والمنظمات الروحية، ثم المداهنة والرياء، إضافة إلى خرق نظام الأسرة الملتزمة مع كل محاولات الاقتراب تجاه الحكام والزعماء والرؤساء، ثم الاغتيال بالقتل وهي الوسيلة الأخيرة.

وكانت أولى الرسائل العلمية (العربية) عن الماسونية هي رسالة الماجستير التي قدمها «عبد الله على عبد الحميد سمك» بعنوان (الماسونية العالمية في ميزان الإسلام)^(١٦) إلى كلية أصول الدين - جامعة الأزهر في يونيو ١٩٨٧ . وقد تناولت الرسالة تعريف الماسونية العالمية وتاريخها ومصادر الماسونية. لكنه ركز على مصادرها من الأديان والقبالة وبروتوكولات حكماء صهيون، والنشاط الديني الماسوني من منظوره، ونشاطهم الاجتماعي والاقتصادي والإعلامي في العالم، ثم عرض موقف الإسلام من الحضارة الحديثة بشكل عام والماسونية على وجه الخصوص.

وأخذت الرسالة موقف الهجوم والتحيز ضد الماسونية من وجهة نظر إسلامية، ولم يتطرق لتاريخ الماسونية العربية إلا من بعض التلميحات البسيطة.

أما العمل الذي تطرق لتاريخ الماسونية في مصر فهو ذلك الكتاب الذي ألفه «على شلش» بعنوان (الماسونية في مصر دراسة تاريخية)^(١٧) والذي اعتبر الماسون أقلية اجتماعية شأنها شأن اليهود، وحاول شلش في كتابه فك الكثير من الغموض الذي يلف الماسونية والماسون، ولا سيما ما يتعلق بتاريخهم في مصر، وقسم تأريخه لها إلى ثلاثة مراحل زمنية، الأولى مرحلة التأسيس وأبرز فيها دور الأمير حليم وجمال الدين الأفغاني، والمرحلة الثانية، وهي مرحلة الاستقرار واستقطاب الشخصيات المهمة، ومرحلة الانقراض، وهي المرحلة الثالثة والتي تميزت بازدياد الدعاية المضادة، وحتى انتهاء عملها في مصر.

والكتاب في مجمله عمل جيد ومميز، لكنه افتقر إلى العديد من الدلائل

والبراهين على ما يذكره من معلومات وبيانات، فقد اقتصرت مادته العلمية على المراجع والدوريات دون النظر في وثائق الماسون أنفسهم إلا فيما ندر، حاله كحال بقية الكتابات عن الماسونية العربية.

ومن أبرز وأهم الكتابات الأجنبية مؤلف «ج.م. جوردون» (القوى الخفية خلف الماسونية)^(١٨) الذي حاول فيه الكاتب إبراز القوى المؤثرة في السياسات الدولية داخل المحافل، وقد تعرض لليهود وأثرهم في السياسة الماسونية، وكيف يبرز دورهم في الأحداث الدولية الكبرى، وأهم الشخصيات الماسونية، لكنه كان دائما مدافعا عنها ملتصقا بالأعداء لأفعال الماسون.

أما كتابات «ر.ف. جولد» فتتعرض للماسونية من الداخل، فجولد من الماسون ويحاول الدعاية للماسونية في كتاباته ومن أهمها (تاريخ الماسونية)^(١٩) وكتاب (الرمزية الماسونية)^(٢٠). لكن جولد في كتاباته يحاول عدم التعرض لدقائق الأمور كي لا يفشى أية أسرار ماسونية في طيات كتاباته، حتى لا يخالف مبدأ السر الماسوني. وهو يعرض لأفكاره في ثوب فلسفي بحت.

وفي كتاب «ك. جاكوب» (اليهود والماسونية في أوروبا منذ عام ١٧٢٣ وحتى ١٩٣٩)^(٢١) يتضح الدور الفعال لليهود في أوروبا من خلال المحافل الماسونية، ويوضح الأحداث التي ارتبطت بالماسونية في الفترة الزمنية التي قام بدراستها، والكتاب ركز على تلك الفترة التي عانى فيها الماسون الألمان بعد الحرب العالمية الأولى وحتى بداية الحرب الثانية.

واتفق معه «ج. بوس» في كتابه (الماسونية)^(٢٢) وهو ألماني كتب عن الماسونية ولكن من وجهة النظر الماسونية واستعرض تاريخ الماسونية في ألمانيا، ولم يمنع ذلك من التعرض لسياسات الدول ودور المحافل الماسونية الألمانية في السياسة الدولية.

وهكذا امتلأت المكتبات العربية والغربية بكتابات عن الماسونية بعضها تحيز

وبعضها هاجم وبعضها دافع بحذر ورفض بحزر، ومن أبرزها (أسرار الماسونية) للجنرال التركي «جواد رفعت آتليخان»، وكتاب (الماسونية تحت الأضواء) لعبد الجبار الزيدى، وكتاب (الماسونية نشأتها وأهدافها) لأسعد السحمراني، وكتابات أخرى لصابر طعيمة واسكندر شاهين وسعيد الجزائري وأبو إسلام أحمد عبد الله وغيرهم (٢٣).

ومع كثرة الكتابات عن الماسونية إلا أن الأهمية كانت للصحف والدوريات الماسونية مثل الميثاق الماسونية - حيرام - الأيام - المجلة الماسونية - الإخاء الماسونية وغيرهم من الصحف والدوريات التي صدرت في القرن التاسع عشر وحتى منتصف القرن العشرين.

والدوريات توضح وجهة النظر الماسونية التي لا يمكن إهمالها بأي حال من الأحوال، كما ضمت بين طياتها وثائق غاية في الأهمية ساعدت في إيضاح الكثير من الأمور أثناء إعداد الدراسة .

ولم تقدم المذكرات الشخصية للسياسيين ورجال الصحافة أية معلومات عن النشاط الماسوني إلا فيما ندر، وبإشارات بسيطة تم إدراجها في ثنايا مذكراتهم وأوراقهم، إلا أنها لا تقدم أية دلائل علمية يمكن الاعتماد عليها.

هوامش الدراسة النقدية

- (١) شاهين مكاريوس، أربع كتب في الماسونية، ط١ (القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٩٩٤).
- (٢) نفسه، أربع كتب (١٩٩٤: ٥٤٧، ٥٤٨).
- (٣) شاهين مكاريوس، الدستور الماسوني العام للطريقة الأورشليمية (بيروت: دار الجيل، ١٩٩٠).
- (٤) شاهين مكاريوس، تاريخ الماسونية العملية (بيروت: دار نظير عبود، ١٩٩٩).
- (٥) جورجى زيدان، تاريخ الماسونية العام منذ نشأتها إلى اليوم، ط٢ (بيروت: دار الجيل، ١٩٨٢).
- (٦) جيم مارس، الحكم بالسر التاريخ السرى بين الهيئة الثلاثية والماسونية والأهرامات الكبرى، ترجمة: محمد منير إدلبى، ط١ (الأوائل للنشر والتوزيع: ٢٠٠٣).
- (٧) محمود عبد الحميد الكفري، العلاقات السرية بين اليهود وبين الماسونية والصهيونية (دمشق: دار قتيبة، ٢٠٠٢).
- (٨) عمر الحلبوني، الماسونية الأخطبوط المجهول، ط١ (دمشق: دار قتيبة، ٢٠٠٣).
- (٩) محمد على الزعبي، الماسونية في العراق، ط١ (بيروت: دار الجيل، ١٩٨٠).
- (١٠) نعمان عبد الرزاق السامرائي، الماسونية واليهود والتوراة، ط٢ (دار الحكمة: ٢٠٠١).
- (١١) عبد المجيد همو، الماسونية والمنظمات السرية ماذا فعلت ومن خدمت، ط١ (الأوائل للنشر: ٢٠٠٣).
- (١٢) محمد عبد الله عنان، تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة، ط٢ (القاهرة: ١٩٩١).
- (١٣) محمود على عامر، تاريخ الماسونية ويهود الدوفمة دراسة وثائقية في الأصول والأهداف (دار الصفدى: ٢٠٠٢).
- (١٤) وولتون هنة، فضح اللعبة الماسونية، ترجمة: حمدي صاحب (دمشق: دار قتيبة: ٢٠٠٢).
- (١٥) توما البخدادى، قراءة جديدة في الماسونية وشهود يهوه (مكتبة السائح: ٢٠٠١).
- (١٦) تم نشرها تحت عنوان حقيقة الماسونية العالمية في جزئين؛ أنظر: عبد الله على سمك، حقيقة الماسونية العالمية، جزءان (القاهرة: سلسلة إسلاميات، رقم ٩٦، ١٠٠، المؤسسة العربية الحديثة،

(١٩٩١).

(١٧) على شلش، الماسونية في مصر دراسة تاريخية (الزهراء للإعلام العربى، القاهرة: ١٩٨٦)؛ وقد أعيد نشره بعد حذف الجزء الخاص بتاريخ اليهود في مصر من الكتاب في العدد رقم (٤١) من سلسلة مصر النهضة (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٣).

(18) Gordon, J. M., The Hidden Power Behind Freemasonry, 2nd ed. (Weisman Publications: w.d).

(19) Gould, R. F., History of Freemasonry, Vol.II (London: 1883).

(20) Gould, R. F., Symbolism of Freemasonry (London: 1869).

(21) Jacob, K., Jews and Freemasons in Europe 1723- 1939 (Washington : Harvard Univ. Press, 1970) .

(22) Boss, G., Der Freimaurerei (Bern: 1896).

(٢٣) راجع قائمة المصادر والمراجع في نهاية الدراسة.



تشكيل المحفل الأكبر السوري عام ١٩٣٨

المحفل الأكبر الوطني المصري

شرق القاهرة في ١٢ يوليو ١٩٣٨

إلى جميع الشروق والمحافل الكبرى والإخوان :

ليكن معلوماً لديكم في مختلف الأقطار أنه بناء على طلب محافظنا التي تشكل المحفل الأكبر الإقليمي لسوريا، وبعد مراعاة نصوص مواد القانون الأساسي، والنظام قررنا إصدار مرسوم بتأسيس سلطة ماسونية مستقلة لوادي سوريا تعرف باسم المحفل الأكبر السوري لها حق التشريع، وقوة تأسيس المحافل في الوادي المذكور للدرجات الثلاث الأولى الرمزية فقط.

إن الأستاذ الأعظم لهذه السلطة هو كلى الاحترام الأخ عطا بك الأيوبي رئيس الوزارة سابقا، والسكرتير الأعظم هو كلى الاحترام الأخ نسيب بك البكري محافظ جبل الدروز سابقا. وإننا نرجو جميع السلطات الاعتراف بهذا المحفل الأكبر السوري والاتصال به مباشرة لما فيه خير العشيرة.

السكرتير الأعظم

(محمد رفعت) درجة ٣٣

الأستاذ الأعظم

(أحمد ماهر باشا) درجة ٣٣ (١)

"محاولات كسب ثقة الرئيس جمال عبد الناصر"

إلى السيد الرئيس جمال عبد الناصر

رئيس الجمهورية العربية المتحدة

بعون الله وتوفيقه وإجماع الشعب في إقليمى مصر وسورية:

يتشرف المحفل الأكبر الوطنى والمحافل التابعة له في إقليمى مصر وسورية والبلاد العربية برفع أجل التهاني بالجمهورية العربية المتحدة، والدعاء لها ولكافة الشعوب العربية المتحررة بالتوفيق والنصر في عهد رئاستكم المباركة.

السكرتير الأعظم

محمد مظهر سعيد

الأستاذ الأعظم

طه مخلوف

برقية للرئيس ناصر في ٢٢ / ٢ / ١٩٥٨

أن أسمى مبادئ المحافل الماسونية المصرية في سوريا ولبنان هي وحدة الأمة العربية، وتوحيد أقطارها في ظل راية عربية واحدة، حرة من كل نفوذ أو تسلط أجنبي، وأن تبني سياسة الحياد الإيجابي، وهي سياسة العزة والقوة والسلام. ونرى في توحيد القطرين الشقيقين مصر وسورية، أول خطوة في هذا السبيل. نرجو أن تستكمل الأسباب بأسرع ما يمكن لتشريع في الخطوات التالية، التي تعيد إلى العرب سالف مجدهم وحريتهم وكرامتهم.

السكرتير العظيم المساعد للجنة محافل سورية ولبنان

وجيه الصوفى (٢)

المحفل الأكبر الوطني المصري للبنائين الأحرار القدماء المقبولين نداء إلى أهالي فلسطين

باسم الحرية والإخاء والمساواة التي هي الشعار المقدس للماسونية ذات المبادئ الخالدة
وباسم السلام العام الذي تدعو إليه جميع المذاهب الفلسفية وتأمربه كل الأديان السماوية
يتقدم المحفل الأكبر الوطني المصري :

إلى أئمة الدين الحنيف وحفظة الشرع الكريم الذين يستمع إليهم عرب فلسطين.
إلى رؤساء جميع الأديان الأخرى، سواء كانت مسيحية أو موسوية، أو غيرها على
اختلاف الملل والمذاهب. إلى أهل العقول الراجحة والبصيرة النيرة الذين يصدعون
للحق، وفي الحق لا يخشون لومة لائم.

إلى أرباب الأقلام والصحف الذين تقتدى بهم الخاصة وتهتدى بهم العامة.
إلى أكابر المسلمين وأعيانهم الذين يغارون على مجد أسلافهم الكرام، وأولئك
الأسلاف الذين سبقوا الناس كافة (فأعطوا) للإنسان حرية الفكر وحرية القول وحرية
العمل. إلى أصحاب المناصب وذوو الحل والعقد المسؤولين أمام خالقهم وأمام أمتهم
عن حفظ السلام وأمانة القسطاس بين جميع المواطنين في فلسطين.

إلى التجار الذين تتأثر مصالحهم مع العنف والعدوان وسفك الدماء وتخريب
ال عمران. إلى العمال والصناع الذين يستفيدون ويفيدون من ازدياد أسباب الثروة وتوفر
عوامل الرخاء في فلسطين.

إلى أصحاب المزارع والصناع وأرباب المسعفات والمباني الذين يكون نماء
العمار في بلادهم سببا لتدفق الثروة عليهم. إلى المزارعين الذين سينالون أكبر المنافع
باستخدام الأساليب الحديثة التي لا تلبث أن تتوافد عليهم فتعمهم الرفاهية وتحسن
أحوالهم المادية والأدبية.

إلى الشباب الناهض الذى سيجنى أكبر الثمرات مما سيقام فى فلسطين من معاهد العلم مثل ما جناه أبناء سورية، مما أسسه المرسلون الدنيويون فى بيروت وغيرها مع ما هى مصبوغة به من الصبغة الدينية. فأما المعاهد التى ستقام فى فلسطين فلا تكون إلا علمية محضة وطنية، فتكون من شأنها إحياء الشرق وتجديد فخاره الماضى وإعادة مجده القديم وإرجاع أهله إلى مكانتهم السامية.

إلى المشاغبيين أولئك الذين لا تؤدى أعمالهم إلى شىء سوى الضرر بمصالح العرب. وإلى أولئك الذين يسوقون من خلف الستار بنى قومهم الساذجين إلى العبث بحرمة العرب الكرام وإلى ارتكابهم الإثم والعدوان. إلى أولئك الذين يتوافدون من كل فج عميق لزيارة قبر الكليم عليه السلام، فى يوم موسمه القادم الذى هو رمز المحبة والسلام. إلى أولئك الذين يغرر بهم الدساسون الخادعون على اقتراف المحارم وسفك الدماء وقتل النفس التى حرم الله إلا بالحق. ثم إلى الأمة الفلسطينية كلها، كبيرها وصغيرها، رجالها ونسائها، لا تميز بين الأجناس والأديان، نقول للجميع بلسان الماسونية المصرية ولسان الإنسانية اذكروا - ينفعكم الله - أن الفرنسيين والإنجليز فى بلاد كندا يتألف من عنصريهما المختلفين جنسا وسلالة أمة واحدة يعيش أبنائها جنبا إلى جنب فى سلام وأمان.

أذكروا أن الألمان والفرنسيين واليطاليان يتألف منهم (فى بلاد سويسرا) أمة واحدة متجانسة على اختلافهم فى اللغات والأديان، وأن تكاتفهم دائما وإجماع كلمتهم منبع قوتهم ومصدر ثروتهم فى تماسكهم وتضامنهم وحياتهم الشريفة وحرمتهم الغالية.

يا أهل فلسطين - تذكروا أن اليهود هم إخوانكم وأبناء عمومكم قد ركبوا متن الغربة فأفلحوا ونجحوا، ثم هم اليوم يطمحون للرجوع إليكم لفائدة وعظمة الوطن المشترك العام بما أحرزوه من مال وما اكتسبوه من خبرة وعرفان. إن العربى والمصرى صنوان من شجرة إبراهيم، أبواهما إسحاق وإسماعيل، فمتى وضع أحدهما يده فى يد الآخر انتفعا جميعا بما لديهم من الوسائل المختلفة، وكان فى تعاونهم تمام الخير وكمال البركة من الله تعالى.

اسمعوا وعوا هذا الصوت الذي تناشدكم به مصر شقيقتكم الكبرى إنما تدعوكم إلى السلام والوئام لمصلحتكم ولمصلحة الشرق، وهي فوق كل مصلحة. اسمعوا هذا الصوت الديني يدعوكم إلى الحكمة وسبل الرشاد. هذا الصوت المنبعث من أرض تفاخر وتباهى بصلاح الدين. ذلك الملك الجليل الذي أعجب العالم طرا بما كان له من تسامح لا يزال كوكبه الوضاء يتلألأ في جبين الشرق والإسلام، فقد كان بتسامحه مع اليهود والنصارى أشرف الملوك وأجلهم قدرا، وما ذلك إلا لأنه تشبع بروح الإسلام الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، فاستمد رجحانه على كل معاصريه من تلك القوة التي أرسلت أنوار الحضارة على العالم بأجمعه، تلك هي قوة العرب.

حافظوا على شرف العرب القديم وعلى مجدهم العميم، ولا تندفعوا وراء الأيدي الخفية في تيار العدوان، وإياكم ثم إياكم أن تسفكوا الدم الذي حرم الله.

هذا ما رآه المحفل الأكبر الوطني المصري، ويقينه أن أهل فلسطين يستمعون لهذا النداء وأخصهم العرب فإنهم الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه. ولقد أدى المحفل الوطني المصري الأمانة وقام بالواجب عليه نحو التضامن الإنساني، ورجاؤه أن يكون لهذا النداء أحسن صدى، فيهيئ أصحاب الكلمة المسموعة من إخواننا اليهود وإخواننا النصارى وإخواننا المسلمين المستوطنين في فلسطين لدعوة أبنائهم وذريتهم والمؤمنين بهم إلى الامتناع عن المحارم والآثام، إلى اجتناب أسباب الشقاق والانقسام في تلك الأرض المقدسة أرض فلسطين، حتى يسود عناصر الاتحاد والوئام ويخيم على دعوتها السلام.

الأستاذ الأعظم، إدريس راغب.

كاتب السر الأعظم، عبد المجيد يونس.

نائب الأستاذ الأعظم، محمد رفاعة.

مساعد نائب الأستاذ الأعظم، طه إبراهيم.

(من القاهرة في ٢ أبريل سنة ١٩٢٢م) (٣)

الدستور الماسونى لأندرسون**طبعة ١٧٦٩****Anderson's Constitutions****Ancient Charges of a FREEMASON****1769 Edition****المحتويات:**

- ١ - الله والدين.
- ٢ - القاضى المدنى الأعلى.
- ٣ - عن المحافل.
- ٤ - السادة - المراقبون - الزملاء.
- ٥ - معنى السلوك.
- أثناء عقد المحفل لمراسيمه.
- بعد انتهاء الاجتماع وذهاب الأخوة.
- عند اجتماع الأخوة دون وجود غرباء خارج المحفل.
- الحذر من الغرباء.
- فى البيت وفى الجوار.
- السلوك نحو الأخ الغريب.

الله والدين:

يجب على البناء أن يطيع القانون، وأن يبقى فى إطار أخلاقى يحفظه، وأن يفهم الصنعة بشكل صحيح، ولا يكون ملحدا غيبيا، أو خليعا غير متدين. وكان بنائى

العصور السابقة يدينون بدين كل بلد يقطنونها، والآن على الجميع اختيار الدين الذي يوافقهم، وأن يتركوا آرائهم الخاصة لأنفسهم.

كما يجب على البناء الحر أن يكون من رجال الصدق أو رجال الشرف والأمانة مع كل الطوائف، ويجب أن يكون مركزا للاتحاد دائما دون غيره وأن يكون سباقا لذلك. والماسوني هو محور الصلح والصدقة الحقيقية بين الأشخاص، الصداقة التي يجب أن تدوم للأبد.

القاضي المدني الأعلى:

البناء الحر يكون مسالما، يخضع للسلطة المدنية حيثما يعمل أو يستقر، ولا يكون عاملا محفزا في المكائد والمؤامرات ضد أي نوع من أنواع السلام ورفاهية الأمم.

لا يتصرف الماسوني من تلقاء نفسه، ولكن بعد مشورة، وهو يصاب دائما في الحرب لإقدامه، ولا يريق الدم.

كان الحرفي دائما ينال شرف رضا الملوك والحكام نظرا لولاء تلك الفئة، ولا يهتمون بأي اعتراض تافه من خصومهم. ويجب على الأخوة عدم التمرد ضد الدولة مهما كان الإغراء، ويجب أيضا أن يرقى لينال الشرف النبيل، ولا يصبح دمويا همجيا في تمرده حين يضطر لذلك.

على أية حال يجب أن يشعر بحزنه إذا ما ارتكب تلك الجريمة، ويجب على البناءين الأحرار رفض تمرده وتستاء منه، ولكن لا يطرد من المحفل، وتبقى على الأخ في محفله.

عن المحافل:

المحفل هو مكان اجتماع البناء بأخيه، يعملون فيه وينظرون أمورهم، ويجب على الجميع الخضوع إلى قوانين تلك المحافل وتعليماتها العامة، ويجب على الجميع الحضور ليعظم فهمه، ويكون البناء على الدوام على علم بتعليمات المحفل العام، ولا

يتغيب سيد أو زميل وإلا تحمل التوبيخ الحاد.

الأشخاص المعترف به كأعضاء في المحفل يجب أن يكونوا رجالا جيدين وحقيقيين، أحرار بالغين من العمر ما يجعلهم من الرصانة يتحملون المسؤولية. وفي المحفل لا عبيد ولا نساء ولا فاسدون أو مخزيون.

السادة - المراقبون - الزملاء،

الترقية بين البنائين الأحرار تكون على أساس الاستحقاق الشخصي، وحسب عمل كل واحد، ولا وجود لمكانة لورد أو ملك، فالجميع يرتقون سلم الدرجات الماسونية حسب عملهم، فالسيد لا يأخذ لقب صانع بدون مؤهلات لذلك، فهو لا يمثل بدون تلك المؤهلات سوى مرشح ربما يكون شخصا عادى من المرشحين، قادر على تعلم فنون الصنعة أكثر من السيد، وهنا يمكنه صعود درجات الترقية فيمكنه أن يكون مراقبا ثم سيد المحفل حتى يصل إلى رتبة مراقب أعظم.

ولكن.. يجب أن يكون المرشح حسن المولد، محترم يهتم بمظهره، وينحدر من والدين صادقين، وهنا يكون المرشح ذا استحقاق عظيم في المحفل.

يجب على الأستاذ الأعظم أن يختار نائبه على أن يكون بارعا في أعماله، ويعطيه امتياز التصرف في الأمور، ويجب على كل الأساتذة والحكام الخضوع لأحكام قوانين المحفل التي وضعها قبل ذلك الأخوة الأقدمين بكل الحب والتوقير لها، والعمل على تنفيذها بكل نشاط في إدارة العمل بالمحافل.

يجب على كل فئات البنائين الأحرار العمل بصدق، فتلك الأيام (يقصد أيام الاجتماعات) هي أيام مقدسة، والعمل حسب قوانين الأرض التي يقام عليها المحفل أو التقاليد المتبعة، ويجب على الجميع أن يتعلم لغة راقية في التعبير، وأن يتجنبوا اللغة المريضة، وأن يدعوا كل منهم الآخر ليس باسمه، ولكن بالأخ أو الزميل، وأن يتصرفوا بشكل مهذب خارج المحافل وداخلها ولا يكون مخادعا.

يستلم كل من السيد وبقية الأحرار مرتباتهم بعدل تام، وينهون عملهم بصدق سواء كانت هامة أو عابرة، ولا يترك أعمال هامة دون أن ينهيها قبل سفره إلى أى مكان، ولا يقوم أخ بعمل شئ بغير فهم كامل لكافة تفاصيله وأهدافه.

يتسلم كل بناء أجره دون تدمير بوداعة بغير تمرد، ويجب أن يستمر الحب الأخوى، ولا يرغب أخ على القيام بعمل ما دون رضاه وبشكل كامل.

معنى السلوك:

أثناء عقد المحفل لمراسيمه:

لا يدخل لجان خاصة إلا بإذن، ولا يقطع محادثة، ولا يتكلم بطريقة غير مهذبة أو أى موضوع خارج عن نطاق الأدب. لا يقاطع الأخ الماسونى الأستاذ أو المراقبين، ووسط جدية ومهابة المحفل لا يتحدث بسخافة، ولا يستعمل لغة غير منمقة وغير متكلفة، وإذا اشتكى أخ من أخيه يكون الحكم للمراقبين الذين هم القضاة المؤهلون لحل مثل هذه الخلافات.

بعد انتهاء الاجتماع وذهاب الأخوة:

ربما تتمتع النفس بالمرح البريء، ولا يتكلف الأخ فى متعه فى المأكل أو المشرب أو ما شابه، ولكى يتجنب الزيادة لا يأكل إلا بحساب حتى لا يعيقه ذلك عند دعوته فى أى مناسبة. ولا يقوم بالهجوم على أحد، وأن يحترم المحادثات الحرة، ويجب عليه الانسجام فى الأمور الجادة، وألا يفقد احترامه، ولا يغضب أو يدخل فى نزاعات حول الدين، أو الأمم وسياسات الدول، نكون كبنائى الكاثوليك، نحن من كل الأمم والألسنة ويجب أن نكون ضد أى تعصب سياسى.

عند اجتماع الأخوة دون وجود غريباء خارج المحفل:

يجب أن يلقي الأخ التحية على الآخرين بشكل مهذب، ويدعوا كل منهما الآخر بالأخ، يعطوا لبعضهم حرية التعبير عن رأى. لا يتجاوز من يحادثه، ولا

ينتقص من احترامه شيء حتى ولو لم يكن بناءا.

معاملة البناء الحسنة للغرباء عن المحفل شيء يضيف لشرفه شرفا، خاصة لو معه ثقة مأخوذة من محفله، لأنه يستحقها وتبعده عن أى أسلوب مريض.

الحذر من الغرباء:

يجب أن تكون حذرا فى كلماتك، خاصة وأنت لا تعرف من الذى أمامك، وإذا كنت ستدير حديثا يتعلق بشرف الأخوة القدسية.

فى البيت والجوار:

يجب أن تقوم بدور تصبح به حكيما ، خصوصا لو كان بإمكانك كأخ أن تجعل أسرتك وعائلتك وأصدقائك وجيرانك لا يعرفون شيئا عن شئون المحفل، ويجب أن تحافظ على شرفك الخاص وصحتك أيضا. يجب أن تنسى شئون البيت وأنت فى المحفل، وتتجنب الشراة ولا تهمل عائلتك ولا عمالك.

السلوك نحو الأخ الغريب:

يجب ويحذر أن تمتحنه، وتجعله يثبت لك عدم جهله وأنه غير مدعى، وأن تثبت له أنك ترفض الاحتقار والسخرية وتحب الذكاء، ولا تعطه أى تعليمات تدل على معرفتك، ولكن إذا اكتشفت أخوته الأصيلة يجب عليك أن تحترمه على ذلك. إذا كان الأخ الغريب فى حاجة يجب أن تريحه إذا أمكن ذلك وأن ترشده.

وأخيرا:

يجب أن تحذر كل الاتهامات، ويجب أن يغطي الحب الأخوى، ويجب تمجيد الأخوة القديمة، تجنب الافتراء والغيبة، ولا يجوز للآخرين أن يفتروا على أى أخ صادق، وأن يحسن الأخ دائما بقدر ما هو متسق مع شرفه وأمانته، وإذا عمل أحدهم على جرحك ترفع شكواك إلى ملكك، ومنه إلى المحفل التابع ثم الأكبر.

يجب أن تلقى تصرفاتك كل احترام وتقدير، وإذا لم يستطع الفصل في شكواك يتم توجيه النصيح إلى السادة والمراقبين والزملاء خاصة عندما يمنعونك عن الذهاب إلى القانون للفصل مع الغرباء.

وفيما يتعلق بالأخوة والزملاء أمام القانون، يجب أن يتلطف السادة والأخوة معهم، ولا يجب أن يعيق فصل مشاكلهم أمام القانون حبهم الأخوى لبعضهم البعض. وعلى المحفل دائما عمل مساعي حميدة بينهم لكي يرى الأخ التأثير اللطيف للبناء، فكل بناء في العالم يعمل منذ البداية ويجب أن يعمل طيلة الوقت.

أمين... (٥)

خديعة يوسف الحاج

"منشور ماسوني سري"

كتب ذلك المنشور «عبد المجيد يونس» كاتب السر الأعظم للمحفل الأكبر الوطنى المصرى فى ٨ نوفمبر ١٩٢٣، ووجهه إلى عموم المحافل المصرية يعلن لهم أن المسمى يوسف الحاج صاحب الألقاب الماسونية الشرفية خداع نصاب ومما جاء فى المنشور ما حرقه:

منشور عمومى رقم ٥٣

من السكرتارية العظمى إلى عموم المحافل المصرية،

... فجمعهم فى مساء ١٩ أبريل سنة ١٩٢٣ فى صالة أوتيل ماجستيك وأجرى تكريسهم هناك وأعطاهم أسرار الدرجات الثلاث ووعدهم بأنه فى خلال أسبوعين أو ثلاثة سيرسل لهم شهادة من محفل الحاج ببيروت عن اعتبارهم أعضاء بالعشيرة الماسونية وكذا شهادة بذلك أيضا من المحفل الأكبر وصك من المحفل الأكبر الوطنى المصرى بتبنيهم واعتبارهم محفلا مستقلا. وعلى حساب هذه الوعود أخذ منهم بموجب إيصال مبلغ ٤٧ جنيه و ٥٠٠ مليم على نمة تسديده فى الرسوم الماسونية التى تستلزمها الشئون التى وعدهم بها، ولكونهم علموا من مصدر أكيد بأن ما وقع معهم هو قليل من كثير مما يأتية يوسف الحاج المذكور من الأعمال المماثلة لما توضح، وأن عمله هذا لم يكن له صفة ولا سابقة فى تاريخ الماسونية. وقد طلبوا منا التوسط ليرد لهم يوسف الحاج مبلغ السبعة وأربعين جنيها مصريا وخمسمائة مليم الذى سلبه منهم لوجوده الآن بمصر.

ورغم أننا كتبنا لهم باللازم فى هذا الموضوع إلا أننا رأينا من الواجب علينا نحو العشيرة وبنيتها أن نخبر جميع المحافل لتكون على علم من أمر يوسف الحاج المذكور، ولتأخذ حذرهما منه ومن أمثاله، ولذلك اقتضى النشر للعلم بما ذكر، ولعدم

قبول زيارته مطلقا لأنه غير معروف لدى المحفل الأكبر الوطنى المصرى والرجا
تبليغ ذلك لجميع الإخوان.

تفضلوا بقبول تحيات أخيك المخلص،،،

عبد المجيد يونس، كاتب السر الأعظم (٤)

نداء إنساني

أذاعت اللجنة المركزية لإعانة منكوبي السيول التي أغرقت سوريا في عام ١٩٣٧ نداء على الشعب العربي في الوطن والمهجر تستحث فيه همهم على مد يد المساعدة للمنكوبين

وهذا نص النداء:

نداء

إلى الشعب العربي في سوريا والبلاد العربية عامة والمهاجر أنقذوا ضحايا السيول - اثبتوا وحدة المجتمع العربي في السراء والضراء.

إن النكبة المريعة التي حلت بالبلاد من جراء السيول في الأيام الأخيرة التي جرفت القرى والمنازل وذهب ضحيتها المئات من الغرقى والقتلى، وبقيت الألوف من الرجال والنساء والأطفال دون مأوى تفتersh الأرض وتلتحف السماء في هذا الشتاء لهى حقا من أدهى النكبات التي شهدناها منذ زمن طويل، ومن المأسى التي تنفطر لها القلوب لوعة وتبعث في النفوس الشعور الإنساني العميق بضرورة العمل وويلات المصابين بأنفسهم وأموالهم وإيوائهم ودفع الهلاك المحتوم عنهم.

وقد اهتمت الحكومة الوطنية وبادرت إلى إجراء الإسعافات الأولية وتخصيص مبلغ من المال لهذا الغرض. غير أن عظم النكبة وفداحتها تجعل المبالغ المخصصة غير وافية بالقصد. ولذا فقد تشكلت في دمشق لجنة مركزية لإعانة منكوبي السيول قوامها فارس الخورى رئيس مجلس النواب السورى رئيسا. الحاج محمد خير دياب أمينا للمال. السيد فؤاد خليل مفرج أمينا للسر. ونواب دمشق السادة لطفى الحفار، أحمد اللحام، فخرى البارودى، إحسان الشريف، نسيب البكرى، فايز الخورى، صبرى العسلى، منير العجلانى، جورج صحنوى، ويوسف لنيادو. لتعمل على مساعدة الحكومة في القيام بهذا العمل القومى الإنسانى.

وإن هذه اللجنة تتقدم إلى أبناء البلاد وإلى الأغنياء والموسرين بندائها الحار كي يمدوا أيديهم بالمساعدة والبذل لتخفيف وطأة الكارثة.

وستشكل اللجان الفرعية في جميع أنحاء البلاد السورية. كما أن العرب في مختلف الأقطار وفي المهاجر مدعوون لتشكيل مثل هذه اللجان لتقوم بجمع الإعلانات وتنظيم العمل تضامنا مع المنكوبين في سوريا.

وبإمكان المتبرعين خارج سوريا أن يرسلوا قيمة تبرعهم إلى أمين مال اللجنة محمد خير الدين دياب بواسطة الرئيس. أما ضمن الأراضي السورية فتسلم التبرعات إلى اللجان الفرعية لقاء وصولات مطبوعة ومختومة بخاتم اللجنة المركزية بدمشق.

وإن علينا جميعا في مثل هذه الأحوال أن نكون يدا واحدة في مساعدة المصابين منا لنثبت للملأ وحدة المجتمع العربي سهله وجبله، مدنه وريفه، وتضامنهم التام في السراء والضراء.

الرئيس،،،

فارس الخوري^(٥)

تحية ماسونية

تحية صاحب السمو والاحترام الكلى الأمير محمد على بمناسبة انتخابه أستاذ
أعظم للمحفل الأكبر الوطنى المصرى لعام ١٩٢٤ - ١٩٢٥ (٦)

باسم الرياسة والمقام الأمجد
للسيد المولى العظيم ومن له
البدر فى عليائه متجليا
هذا الذى ملأ العيون مهابة
أستاذ مصر الأعظم ابن ملوكها
ورث المواهب عن أبيه وجده
دانت لأمرهم الكنانة بعدما
وبجدهم ملكوا البلاد وأسسوا
مجد يكاد الدهر يصغر دونه
يا خير من عز الرياسة باسمه
لا غر وان طلعت كواكب سعدكم
فلقد حوى الماسون فيك مكانة
وليها الإخوان وليتهللا
فمحمد شمس العشيرة نورها

تهدى التحية للأمير محمد
فى مصر أكبر همة لم تجدد
للمس فى أبهى وأسمى مشهد
بجلاله وذكائه المتوقد
وابن المكارم والعلا والسؤدد
وكلاهما عن فاتح ومجدد
بات الحجاز لهم وأرض الموعد
عرش الإمارة فوق هام الفرقد
قدرا ويقسم أنه لم يعهد
وأعاد رونقها برأى مرشد
والبدر أشرق بعد نجم أرمم
لم يخش بعد بلوغها من حسد
فى حب خير أخ كريم المحتد
قد يهتدى بسناه من لم يهتد

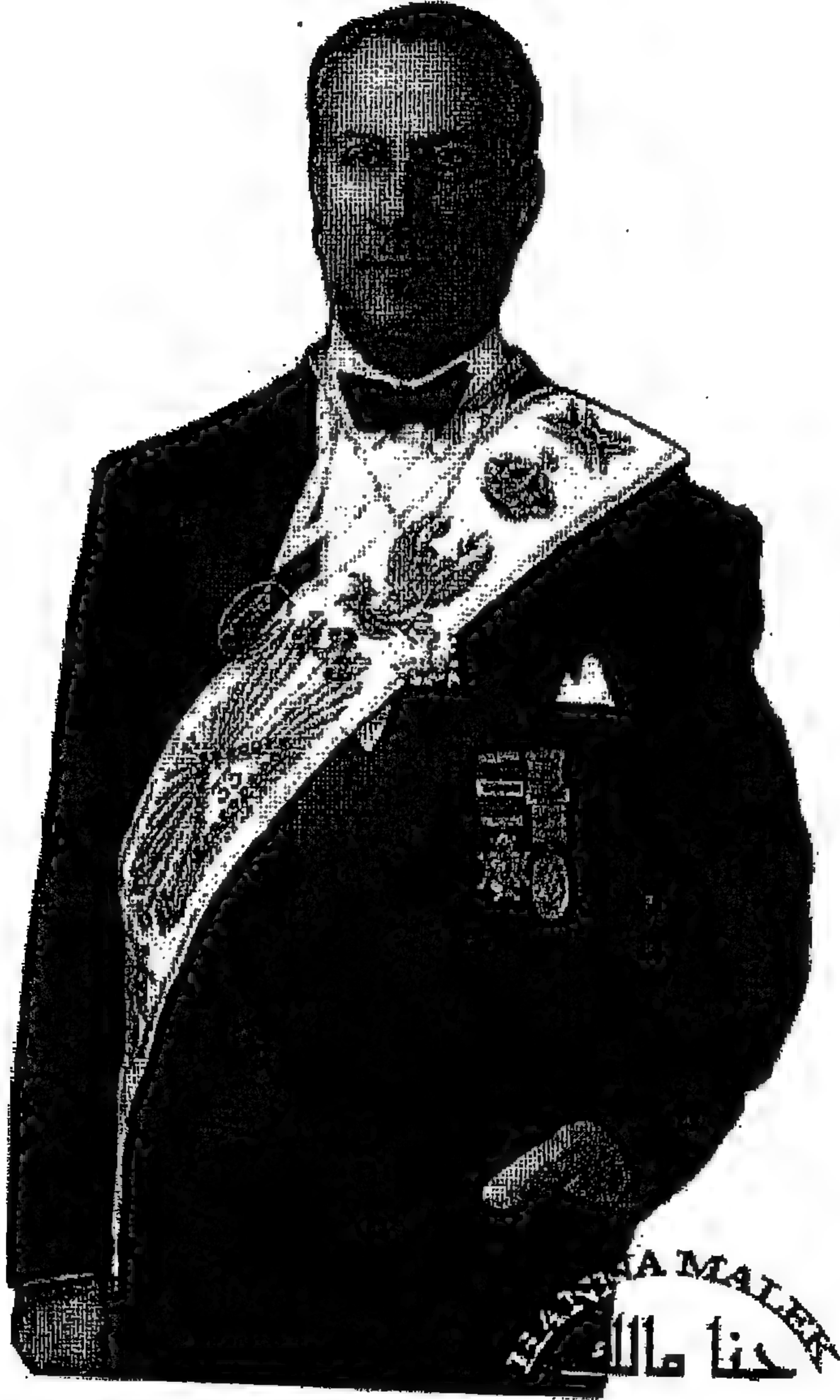
المحافل الماسونية في المغرب

رقم	اسم المحفل	السنة
—	محفل الكونكورد بالدار البيضاء	١٩٥٢
٥٨	محفل آرثر ت. ويد بمراكش	١٩٥٢
٦٠	محفل جون ج. كيستلي بمراكش	—
—	أعيد تأسيس المحفل الأكبر المغربي منذ أن ألغيت الماسونية في المغرب عام ١٩٧٣ .	١٩٩٩

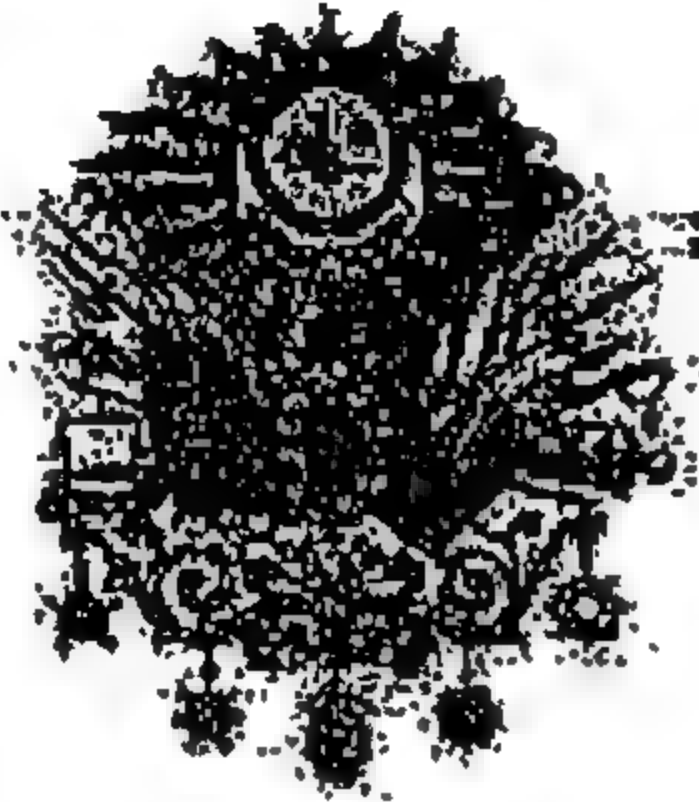
المحافل الماسونية في بقية الدول العربية
"السودان - الخليج العربي - العراق"

الدولة	اسم المحفل	رقم
السودان	محفل الخرطوم	—
البحرين	محفل البحرين	٧٣٨٩
الكويت	محفل الكويت	٦٨١٠
مقر شركة النفط العراقية	محفل كركوك	٧٠٧٩
الحيانية / العراق	محفل دجلة	٧٠٢٤
بغداد	محفل بغداد	٤٠٢٢
شركة اندرويد في العشتار / العراق	محفل بابل	٣٢٦
بغداد	محفل دار السلام	٥٢٧٧
البصرة	محفل البصرة	٥١٠٥
الفيحاء	محفل الفيحاء	١٣١١
بمقر شركة نستيفن لينج / العراق	محفل العراق	٤٤٧١

حنا مالك باللبسة الماسونية (٧)



رفض السلطان عبد الحميد للدولة العبرية (٨)



من أقوال ومواقف

السلطان عبد الحميد الثاني

(إنهم من الذين هم ينادون بالانتماء لحملات جديدة في
هذا الموضوع، ولكن لا أستطيع أن أتدخل في شيء
وأخذ من أن يترك فلسطين، فهي ليست ملكاً يهودياً
سوى ملك الأمة الإسلامية، لقد سجدت على
قبر سليمان عليه السلام وورثته بعده، فليس هذا هو
علايتهم، وإذا ما قرأت في دولة الخلافة يوم ما قام
بستة مئة ألف أتت يا هذا فلسطين يا هذا
أما أنا فماذا أرى فإن عمل المصانع في يدي لا يفتقر على
من أن أرى فلسطين قد سجدت من دولة الخلافة وهذا
أمر لا يكره، إنني لا أستطيع الموافقة على أن يبيع
أرضها ولا يخرج عن أي قيد الحماس)

السلطان عبد الحميد الثاني

أحمد أمين

هوامش ملف الأسرار

- (١) إسكندر شاهين، الماسونية ديانة أم بدعة (١٩٩٩: ٤٨)؛ وائل إبراهيم الدسوقي، الماسونية في مصر (ملحق ٢، ٢٠٠٥: ٣٠٥).
- (٢) حسين عمر حمادة، الماسونية والماسونيون (د.ت: ٣٢٧).
- (٣) النظام (عدد ٦٩٧، ١٩ أبريل ١٩٢٢).
- (٤) أنظر نص المنشور في: مجلة المشرق (عدد ٢، السنة ٢٢، ص ١٥٩).
- (٥) التاج المصري (عدد ٥٤٣، السنة ١١، ١٢ نوفمبر ١٩٣٧).
- (٦) مجلة الميثاق الماسونية (العدد ٦، السنة ١، ١٥ أكتوبر ١٩٢٤).
- (7) [www.hanna - malek.com/Photomacoon06.htm](http://www.hanna-malek.com/Photomacoon06.htm).
- (8) www.awda-dawa.com/pages.php?ID=852
- (٩) المؤتمر الدولي الثاني لتاريخ بلاد الشام، ج ٢ (جامعة دمشق: ٤٣٩)؛ حسين عمر حمادة، الماسونية (د.ت: ٣١٨).



الوثائق والمذكرات:

- الكتاب المقدس (العهد القديم، طبعة بيروت الكاثوليكية، ٢٠٠٠).
- بلاغ عن تثبيت بعض الشخصيات الماسونية في المحفل الأكبر الوطني المصري والمحافل التابعة له في البلاد العربية (وثائق عابدين، المحفل الماسوني، محفظة ٥٧٨، غير مؤرخة).
- تقرير بالفرنسية يتضمن أسماء الشروق العاملة التابعة للمحفل الأكبر الوطني المصري بالأقاليم المصرية والعربية بعنوان (List Des Loges Actives) وثائق عابدين، المحفل الماسوني، محفظة ٥٧٨، غير مؤرخة.
- A Sa Majeste Fouad, Roi d' Egypte Que Dieu Protégé Son Regn ex son Oeuvre, In:
- وثائق عابدين، المحفل الماسوني (محفظة ٥٧٩، ١٣ مارس ١٩٣٣).
- Letter from (Grand Orient d' Egypte) to (Grand Chancellor) C.B. Wilson, 11 May. 1933, In:
- وثائق عابدين، المحفل الماسوني (محفظة ٥٧٩، ١١ مايو ١٩٣٣)؛ وأرفق الخطاب الرد (نفس المحفظة، ٢٣ مايو ١٩٣٣).
- عبد المجيد يونس، المحفل الأكبر الوطني المصري، تقرير أعمال لعام ١٩٢٨ (القاهرة: الدار الماسونية المصرية، ١٩٢٨).
- فؤاد غصن، مذكراتي خلال قرن (بيروت: دار الريحاني للطبع والنشر، د.ت).

المراجع العربية والمعربة:

- أ.ل. فراى، القوي الخفية فى السياسة الدولية، من يحكم العالم، ترجمة: جهاد قدرى قلجى، ط٢ (بيروت: دار الكاتب العربى، ١٩٩٢).
- إبراهيم أحمد العدوى، حركات التسلل ضد الأمة العربية (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦٩).
- أبو إسلام أحمد عبد الله، الروتارى فى قفص الاتهام (القاهرة: دار الاعتصام، ١٩٨٧).
- أبو إسلام أحمد عبد الله، الماسونية فى المنطقة ٢٤٥ (القاهرة: الزهراء للإعلام العربى، ١٩٨٥).
- أحمد عبد الله اليطى، اليهودية كهف الخفايا والأسرار، ط١ (القاهرة: الزهراء للإعلام العربى، ٢٠٠٣).
- أدولف إرمان، ديانة مصر القديمة، ترجمة: عبد المنعم أبو بكر، محمد أنور شكرى (القاهرة: مكتبة مديولى، ١٩٩٥).
- أركون دارول، تاريخ الجماعات السرية، ترجمة: عبد الهادى عبد الرحمن، ط١ (بيروت: تانيت للنشر، ١٩٩٣).
- أرنست أ. رامزور، تركيا الفتاة وثورة ١٩٠٨، ترجمة: صالح أحمد العلي (بيروت: ١٩٦٠).
- إريك هورنونج، وادى الملوك أفق الأبدية، ترجمة: محمد العزب موسى (القاهرة: مكتبة مديولى، ١٩٩٦).
- أسد رستم، مخطوطات البحر الميت وجماعة قمران، ط٢ (لبنان: المكتبة البولسية، ١٩٩٠).

- أسعد السحمراني، الماسونية نشأتها وأهدافها، ط٢ (بيروت: دار النفائس، ١٩٩٢).
- اسكندر شاهين، الماسونية ديانة أم بدعة، ط١ (بيروت: دار بيسان، ١٩٩٩).
- أنور الجندي، المخططات التلمودية اليهودية الصهيونية (القاهرة: دار الاعتصام، ١٩٧٧).
- أولج فولكف، القاهرة مدينة ألف ليلة وليلة، ترجمة: أحمد صليحة، الألف كتاب الثاني رقم ١٢ (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ت).
- تبديد الظلام أو أصل الماسونية (مجهول المؤلف)، تعريب: عوض الخوري (بيروت: مطبعة الاجتهاد، ١٩٢٩).
- توما البخداي، قراءة جديدة في الماسونية وشهود يهوه (مكتبة السائح: ٢٠٠١).
- ج. م. هسي، العالم البيزنطي، ترجمة: رأفت عبد الحميد (القاهرة: مؤسسة عين للدراسات، ١٩٩٧).
- جاكوب برونوفسكي، التطور الحضاري للإنسان، ترجمة: أحمد مستجير (القاهرة: ١٩٩٧).
- جورج زيدان، تاريخ الماسونية العام منذ نشأتها إلى اليوم، ط٢ (بيروت: دار الجيل، ١٩٨٢).
- جون لوريمر، تاريخ الكنيسة، ج١ (دار الثقافة: ١٩٨٢).
- جيم مارس، الحكم بالسر التاريخ السري بين الهيئة الثلاثية والماسونية والأهرامات الكبرى، ترجمة: محمد منير إدلبي، ط١ (الأوائل للنشر والتوزيع: ٢٠٠٣).
- حسين اللاز، أحمد مختار نجا، كيف أنشيء المحفل الأكبر الوطني السوري اللبناني (بيروت: ١٩٤٦).
- حسين عمر حمادة، الماسونية والماسونيون (دمشق: دار قتيبة، د.ت).

- حكمت المر، أسرار الماسونية، ط١ (دار الكاتب العربى: ١٩٩٢).
- حمدى طنطاوى، روتارى والصهيونية، لمحات من تاريخ الماسونية العربية، ط١ (القاهرة: بيت الحكمة للإعلام والنشر، ١٩٩٤).
- دان براون، شفرة دافنشي (رواية)، ترجمة: سمة محمد عبد ربه، ط١ (بيروت: الدار العربية للعلوم، ٢٠٠٤).
- ذوقان قرقوط، المشرق العربى فى مواجهة الاستعمار (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٧).
- رأفت عبد الحميد، الدولة والكنيسة، ج١، قسطنطين (القاهرة: مطبعة أطلس، ١٩٧٥).
- رأفت عبد الحميد، الفكر المصرى فى العصر المسيحى، ط٢ (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٠).
- رشاد عبد الله الشامى، الرموز الدينية فى اليهودية (القاهرة: سلسلة الدراسات الدينية، عدد ١، مركز الدراسات الشرقية، ٢٠٠٠).
- روبير مانتيران (إشراف)، تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة: بشير السباعى، ط١، جزءان (القاهرة: دار الفكر للدراسات والنشر، ١٩٩٣).
- ستانلى لينبول، سيرة القاهرة، ترجمة: حسن إبراهيم حسن، علي إبراهيم حسن، إدوار حليم (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٧).
- سعيد الجزائرى، الماسونية ماضيها وحاضرها لغاية عام ٢٠٠٠، ط٢ (بيروت: دار الجيل، ١٩٩٢).
- سعيدة محمد حسنى، اليهود فى مصر ١٨٨٢ - ١٩٤٨ (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٣).

- سهام نصار، اليهود المصريون صحفهم ومجلاتهم من سنة ١٨٧٧ - ١٩٥٠ (القاهرة: دار النشر العربي، ١٩٨٢).
- سيف الدين البستاني، أوقفوا هذا السرطان، حقيقة الماسونية وأهدافها (دمشق: دار النهضة العربية، ١٩٥٩).
- شاهين مكاريوس، أربع كتب في الماسونية، ط١ (القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٩٩٤).
- شاهين مكاريوس، تاريخ الماسونية العملية (بيروت: دار نظير عبود، ١٩٩٩).
- شاهين مكاريوس، الدستور الماسوني العام للطريقة الأورشليمية (بيروت: دار الجيل، ١٩٩٠).
- صابر طعيمة، الماسونية ذلك العالم المجهول (بيروت: دار الجيل، د.ت).
- صلاح الدين البستاني، صحف بونابرت في مصر ١٧٩٨ - ١٨٠١، ط٢ (القاهرة: دار العرب، ١٩٩٦).
- عبد الجبار الزيدى، الماسونية تحت الأضواء، ط٣ (بيروت: مؤسسة الريان، ١٩٩١).
- عبد السميع الهراوي، الصهيونية بين الدين والسياسة (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٧).
- عبد الله علي سمك، الماسونية العالمية، سلسلة إسلاميات، جزءان (القاهرة: المؤسسة العربية الحديثة، ١٩٩١).
- عبد الله عنان، تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة في المشرق (القاهرة: دار أم البنين، د.ت).
- عبد المجيد همو، الماسونية والمنظمات السرية ماذا فعلت ومن خدمت، ط١

- (الأوائل للنشر: ٢٠٠٣).
- عبد الوهاب الكيالى، موسوعة السياسة، ج ١، ط ٣ (بيروت: المؤسسة العربية للنشر، ١٩٩٠).
- عبد الوهاب المسيرى، الجماعات الوظيفية اليهودية نموذج تفسيرى جديد، ط ١ (القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٢).
- علي شلش، اليهود والماسون فى مصر دراسة تاريخية (القاهرة: الزهراء للإعلام العربى، ١٩٨٦).
- عمر الحلبونى، الماسونية الأخطبوط المجهول، ط ١ (دمشق: دار قتيبة، ٢٠٠٣).
- عمر محمد بكر سليمان، إطلالة علي الماسونية ونشاطات محافلها فى مصر أواخر القرن التاسع عشر وأوائل العشرين (القاهرة: د.ت).
- فؤاد صالح السيد، الأمير عبد القادر الجزائرى متصوفا وشاعرا (الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، المركز الثقافى الجزائرى، د.ت).
- قاسم عبده قاسم، اليهود فى مصر، ط ١ (القاهرة: دار الشروق، ١٩٩٣).
- مارتين برنال، أثينا السوداء، ج ١ (القاهرة: المشروع القومى للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة، ١٩٩٧).
- مأمون كيوان، اليهود فى الشرق الأوسط، الخروج الأخير من الجيتو الجديد، ط ١ (الأهلية للنشر: ١٩٩٦).
- محرم كمال، تاريخ الفن المصرى، سلسلة صفحات من تاريخ مصر الفرعونية (القاهرة: مكتبة مدبولى، ١٩٩١).
- محمد زكى الدين القاسم، الإسلام والمؤامرات اليهودية، ط ١ (الكويت: مكتبة المنار، ١٩٩٠).

- محمد علي الزعبي، الماسونية في العراق، ط١ (بيروت: دار الجيل، ١٩٨٠).
- محمد علي علوية، ذكريات اجتماعية وسياسية (القاهرة: مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٨).
- محمد علي علوية، فلسطين والضمير الإنساني (كتاب الهلال، مارس ١٩٦٤، عدد ١٥٦).
- محمد علي قطب، يهود الدونمة في تركيا، ط١ (القاهرة: الدار الثقافية للنشر، ٢٠٠٢).
- محمد نجيب أبو الليل، الصحافة الفرنسية في مصر منذ نشأتها حتي نهاية الثورة العربية، ط١ (القاهرة: ١٩٥٣).
- محمود عبد الحميد الكفري، العلاقات السرية بين اليهود وبين الماسونية والصهيونية (دمشق: دار قتيبة، ٢٠٠٢).
- محمود علي عامر، تاريخ الماسونية ويهود الدونمة دراسة وثائقية في الأصول والأهداف (دار الصفدي: ٢٠٠٢).
- منير البعلبكي (إعداد)، موسوعة المورد، مجلد ٦، ط١ (بيروت: ١٩٨٠).
- نجدة فتحى صفوت، الماسونية في الوطن العربي، أوراق عربية رقم ٤ (لندن: مركز الدراسات العربية، ١٩٨٠).
- نخبة من العلماء، اليهود في البلدان الإسلامية ١٨٥٠ - ١٩٥٠، ترجمة: جمال الرفاعي، سلسلة عالم المعرفة رقم ١٩٧ (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، مايو ١٩٩٥).
- نعمان عبد الرزاق السامرائي، الماسونية واليهود والتوراة، ط٢ (دار الحكمة: ٢٠٠١).

- وائل إبراهيم الدسوقي، الماسونية في مصر، رسالة ماجستير غير منشورة، (القاهرة: كلية آداب- جامعة عين شمس: ٢٠٠٥).
- ول ديورانت، قصة الحضارة، روسو والثورة، ترجمة: فؤاد أندراوس، المجلد ٢٢ (القاهرة: ٢٠٠١).
- وولتون هنة، فضح اللعبة الماسونية، ترجمة: حمدي الصاحب (دمشق: دار قتيبة، ٢٠٠٢).
- الدوريات العربية:
 - البيان (٢٤ يوليو؛ ١٤ أغسطس ١٨٨٤).
 - التاج المصري (عدد ٤٨٥، ٢٥ سبتمبر، القاهرة: ١٩٣٦).
 - التاج المصري (عدد ٥٤٣، السنة ١١، ١٢ نوفمبر، القاهرة: ١٩٣٧).
 - التاج المصري (عدد ٦٩١، ١٣ سبتمبر، القاهرة: ١٩٤٠).
 - التاج المصري (عدد ٦٩٤، ٤ أكتوبر، القاهرة: ١٩٤٠).
 - التاج المصري (عدد ٩٦١، السنة ١٣، ١٣ سبتمبر، القاهرة: ١٩٤٠).
 - تقويم مجلة الهلال (السنة ٧، القاهرة ١٩٣٦).
 - الثورة، اليد الخفية دراسة في الحركات اليهودية الهدامة والسرية (١٠ أبريل، العراق: ٢٠٠٣).
 - الجريدة الماسونية (عدد ٨، السنة ٣، ١٥ مايو، القاهرة: ١٩٠٥).
 - حصاد الفكر، العلاقات الأسرية بين اليهودية وبين الماسونية والصهيونية (١ مايو ٢٠٠٣).
 - حيرام، (عدد ١؛ القاهرة: ١٩٢٤).

- الخليج، يهود في جلاباب الماسونية (٧ أبريل، الإمارات: ٢٠٠٣).
- الدعوة (عدد ٥٠، شعبان ١٤٠٠ هـ، القاهرة)
- ذوقان قرقوط، الماسونية العربية - محاولة أولية لتقديم صورة عن موقفها من الصهيونيين في فلسطين، قضايا عربية (عدد ٩، بيروت: يناير ١٩٧٥).
- السياسة، من أهداف الماسونية (١٤ مارس، الكويت: ٢٠٠٣).
- الشرق الأوسط، القصة الكاملة والمثير لاكتشاف مخطوطات البحر الميت (العدد ٩٧٦٧، ٢٥ أغسطس ٢٠٠٥).
- الصبار، رواية شفرة دافنشي ممنوعة في لبنان (عدد ١٧٩، أكتوبر، لبنان: ٢٠٠٤).
- عاصم الدسوقي، الجالية الإيطالية في مصر نظرة عامة، مجلة أوزيريس (المجلد الأول، السنة الأولى، أغسطس، القاهرة: ١٩٩١).
- عبد القادر القادري، الدونمة، دعوة الحق (الرباط: عدد يناير ١٩٥٩).
- اللطائف (١٥ ديسمبر، القاهرة: ١٨٩٠).
- اللطائف (١٥ فبراير، القاهرة: ١٨٨٨).
- اللطائف (١٥ مارس، القاهرة: ١٨٨٨).
- اللطائف (١٥ مايو، القاهرة: ١٨٨٨).
- المجلة الماسونية (عدد ١، السنة ١، ١٠ نوفمبر، القاهرة: ١٩٢٠).
- مجلة فلسطين الثورة (العدد ١٤٢، ١٤٣، ١ فبراير ١٩٨٥).
- محمد سعيد الجزائري، الأمير عبد القادر والجمعية الماسونية، الحقائق (دمشق ١٣٢٩ هـ).

- محمد عبد الحميد، يهود الدونمة، العربى (عدد ٢٥٥، فبراير، الكويت: ١٩٨٠).
- المشرق (عدد ٢، السنة ٢٢، بيروت).
- المشرق (عدد ٢، السنة ٢٨، بيروت: ١٩٣٠).
- المشرق (عدد ٥، السنة ٢٢، ١٩٢٤).
- المشرق (عدد ٧، السنة ١٩، بيروت: ١٩٢١).
- المشرق (عدد ٧، السنة ١٩، يوليو، بيروت: ١٩٢١).
- المشرق (عدد ٩، السنة ٣١، بيروت: ١٩٣٣).
- مصطفى طوران، يهود الدونمة، ترجمة: كمال خوجة، المختار الإسلامى (القاهرة: ١٩٧٩).
- المقتطف (ج ١، مجلد ٦٦، ١ يناير، القاهرة: ١٩٢٥).
- المقتطف (ج ١، مجلد ٦٦، ١ يناير، القاهرة: ١٩٢٥).
- المقتطف (سبتمبر، القاهرة: ١٨٨٤).
- الميثاق الماسونية (العدد ٦، السنة ١، ١٥ أكتوبر، القاهرة: ١٩٢٤).
- نضال القادرى، هوامش فوق سياسات الجنون، الحوار المتمدن (عدد ١٤٠١، ١٦ ديسمبر، سوريا: ٢٠٠٥)؛ وللصحيفة موقع اليكترونى (راجع قائمة المواقع الإليكترونية).
- النظام (عدد ٦٩٧، ١٩ أبريل، القاهرة: ١٩٢٢).
- نعيم شقير، الماسونية فى البلاد العثمانية، المقتطف (ج ٢، مجلد ٣٦، ١ يناير، القاهرة: ١٩١٠).
- الهدي (٢٤ أبريل ١٩١١).

- الوطن، الماسونية فكرة صهيونية جري تدويلها (١٢ أبريل، قطر: ٢٠٠٣).
- الوقائع العربية، تفاصيل المؤامرات اليهودية ضد الإسلام (٢٥ فبراير ٢٠٠٣).

الدوريات الأجنبية:

- * **Sven, G.L.**, Nazis and Fascists are Engaged in a ruthless campaign aiming at The Annihilation of Freemasonry (The American Mercury Newspaper, Vol. LII, No. 206, February 1941).
- * **Ashraf, S.; Bernadette, S.**, L' Incarnation de la Lumière, Le Renouveau Iconographique Copte à travers l' uvre de Isaac Fanous, (Le Monde Copte 29- 31, Limoges, Décembre: 2000).
- * **Raafat, S.**, "Freemasonry In Egypt , Is it still around?" (Insight Magazine, 1/March /1999).

المراجع الأجنبية:

- * **Anderson, J.**, The Constitutions of The Freemasons, 2nded. (London: 1769).
- * **Badawi, A.Z.**, Adictionary of politics and international Relations (Beirut: Dar Al-Kitab AL-Lubnani, w.d.).
- * **Boss, G.**, Der Freimaurerei (Bern: 1896).
- * **Brinton, J.Y.**, The Mixed Courts of Egypt (London: 1930).
- * **Chazan, R.**, European Jewry and First Crusade (Univ. of California Press, 1987).
- * **Cohn, N.**, Warrant for Genocide (New York: 1966).
- * **Coil, H.W.**, Coil's Masonic Encyclopedia (New York: 1961).

- * **Cromer** , Modern Egypt, Vol. II (London: 1908).
- * **Encyclopaedia Judaica, Freemasonry**, Vol.7, 2nded. (Jerusalem: 1973).
- * **Fanthorpe, L., Fanthorpe, P., Secrets of Rennes Le Chateau** (U.S.A: Weiser Books, 1992).
- * **Gordon, J. M., The Hidden Power Behind Freemasonry**, 2nded. (Weisman Publications: w.d).
- * **Gould, R.F., History of Freemasonry (Vol. II , London: 1883).**
- * **Gould, R.F., Symbolism of Freemasonry** (London: 1869).
- * **Gould, R.F., Concise History of Freemasonry** (London: w.d).
- * **Gruber, M., Massonerie e Rivoluzione** (Turin: 1901).
- * **Jacob, K., Jews and Freemasons in Europe 1723- 1939** (Washington: Harvard Univ. Press, 1970).
- * **Jewish Conspiracy and the Muslim World, With Complete Text of the Protocols of the Learned Elders of Zion** (Kuwait: Al-Assriya Printing Press, 1968).
- * **Knight, S., The Brotherhood, The Secret World of Freemasons** (London: 1984).
- * **Krause, M., Die drei ältesten Kunsturkunden der Frmrei, Vol. I** (1810).
- * **La Couture, J., Champelion, Une Vie de Lumières** (Paris: Bernard Grasset, 1988).
- * **Lanier, J.J., Jewish Masons in the American Revolution** (Oklahoma : w.d).

- * **Lexicon of Freemasonry** (London: 1884) .
- * **Mackey, A.**, Encyclopedia of Freemasonry (London: 1908).
- * **Martinez, L.O.**, El Priorato De Sion, The Priory Of Sion (Obelisco: 2004).
- * **Oliver, E.**, Signs (New York: 1905).
- * **Roberts, A.E.**, Freemasonry in American History (Richmond: 1985).
- * **Samuel, O.**, The Jews and Masonry in the United States Before 1810, (American Jewish Historical Society, New York: 1910).
- * **Short Talk Bulletin**, Jewish Grand Masters in the United States Since 1910 (New York: The Masonic Service Association of the United States, 1967).
- * **Tadmor, J.**, The Silent Warriors , Trans. By : Rothstein, R., 1st ed. (Toronto, Canada : 1969).
- * **The Freemason's Chronicle** (Chr.) Vol. I (London: 1875).
- * **The German Handbuch** (2nd ed. , Vol. I , 1900).
- * **Thiering, B.**, Jesus The Man "Decoding The Real Story of Jesus and Mary Magdalene" (London: 1993).
- * **Witt, R.E.**, Isis in the Graeco-Roman World (London: 1971).
- * **Young, J.K.**, Sacred Sites of the Knights Templar: Ancient Astronomer and Freemasons at Stonehenge, Rennes Le Chateau and Santiago De Compostela (Canada: Fair Winds Press, 2003).

مراجع بلغة عبرية

- أوري دان إشعيا، بين قوري عميل من إسرائيل، ميسدا ١٩٨٨ .
- بين حنان، إيلي كوهين رحلنا في دمشق، تل أبيب ١٩٦٧ .
- حجي، إيلي كوهين البطل الإسرائيلي بدمشق، كتب البطولة، تل أبيب ١٩٦٨ .
- شيموئيل شاجاف، جاسوس بدمشق، القدس ١٩٨٦ (، ١٩٨٦) .
- الموسوعة العبرية، الماسونية، تل أبيب .

مكتبة الإنترنت:

- الديانة اليهودية وعلاقتها بالماسونية والصهيونية العالمية:
<http://www.arabic.islamicweb.com/christianity/judaism>
- أحمد رحال الشيباني، الطورانية والتريك :
http://www.arabtranslators.net/shibani_2.asp .
- سعيد عبد الفتاح عاشور، الطب الإسلامي في الجامعات الأوربية في فجر عصر النهضة، أنظر:
<http://www.islamset.com/arabic/aislam/civil/civil1/saed.html> .
- طارق ديلواني، شفرة دافنشي ووثنية المسيحية، إسلام أون لاين: www.islamonline.net، ٧ مارس، ٢٠٠٥
- سلام إبراهيم عطوف كبة ، التشيع الشعبوي ضحية أزمات وعهر النخب الشيعية والماسونية، أنظر:
<http://www.nasiriye.net/Maqalat4/skobbehapril8.htm> .
- مذكرات خالد سليمان العدساني، سكرتير مجلس الأمة التشريعي الكويتي الأول والثاني ١٩٣٩ ، أنظر النسخة الإلكترونية المنشورة:

<http://adsanee.8m.com/adsanee.html>

• أسامة فوزي، ملفات الفساد، أسماء أعضاء المحفل الماسوني في الأردن، من موقع عرب تايمز الإخباري علي شبكة الانترنت :

<http://www.arabtimes.com> .

• صحيفة الحوار المتمدن السورية: <http://www.rezgar.com>

* Hiram Abif : www.Grandlodgeoflibanon.org/hiram.html, 1998.

* Thomas, P.E.H., The Origin and fate of The Temples at Jerusalen, 965 BC - 1070 AC: www.Freemasonry.com/jerusalem.html, 1999.

Hiram Abif 958 BC :

www.templar.org/milititempliscotia.html, 1990.

* <http://www.memphis-misraim.us/>

* <http://www.iss-ic-memphis-misraim.org/htm>

* <http://www.lebensland.de/memphis-mizraim.en/>

* Bulwer Lodge of Cairo , Freemasonry in Egypt:

www.sites.selectronics.co.uk/bulwer/intro.pdf .

* Bulwer Lodge of Cairo, Sir Henry Bulwer: www.sites.selectronics.co.uk/bulwer/bulwer.pdf .

* Land Sea and Air Lodge No. 1 in iraq: <http://www.dcmetrone.com/landseaandairlodge1iraq>

* Israeli Freemasonry, Leon Zeldis, FPS, 33. www.geocities.com/Athens/Forum/9991/israeli.html

* Freemasonry in Israel , California Freemasons Online, Spring 2004: http://www.freemason.org/cfo/julyaugust2000freemasonry_in_isreal.htm .

* Saga of a Beloved Raternity In Spain , Nat Granstein (ed.): <http://www.americanmason.com/articlemain.ihtml?ID=54>

* <http://www.nesil.com>

المؤلف في سطور

- وائل إبراهيم الدسوقي يوسف .
- من مواليد القاهرة ١٩٧٥ .
- باحث متفرغ في التاريخ الحديث والمعاصر .
- عضو الجمعية المصرية للدراسات التاريخية .
- حصل على ليسانس في الآداب - قسم التاريخ بجامعة عين شمس ١٩٩٩ .
- حصل على شهادة الماجستير في الآداب - ٢٠٠٥ برسالته عن «الماسونية في مصر ونشاطها السياسي والاقتصادي والاجتماعي ١٧٩٨-١٩٦٤» بإشراف الأستاذ الدكتور (أحمد زكريا الشلق) .
- مسجل للحصول على درجة الدكتوراة في الآداب في موضوع بعنوان «المؤسسات العلمية والثقافية في مصر في القرن التاسع عشر» بكلية الآداب - جامعة عين شمس .

مؤلفاته:

- الماسونية في مصر دراسة وثائقية ١٧٩٨-١٩٦٤ .
- رجال على المحك - رؤية في تاريخ مصر الاجتماعي والسياسي «دراسة في فكر ألكسندر شولخ» - كتاب مترجم .

مقالاته:

- توصيف العدوان الإسرائيلي على لبنان ٢٠٠٦ «دراسة مقدمة إلى الأكاديمية العربية البريطانية للتعليم العالي بالجمهورية العربية السورية» ٢٠٠٦ .
- سيد قطب بين الماسونية والإخوان المسلمين «مقال منشور على موقع نور المعارف للدراسات والبحوث المتخصصة على الإنترنت» ٢٠٠٦ .
- المؤرخون الجدد وزيف الحق الإسرائيلي في فلسطين «ألقاه في سمينار التاريخ الحديث بكلية الآداب - جامعة عين شمس ٢٠٠٠» .
- أمريكيون في بلاط الباشا «مقال منشور في مجلة العربي الكويتية - أبريل ٢٠٠٧» .



الماسونية فى العالم العربى

هذا الكتاب

على امتداد التاريخ العربى عملت الماسونية ونشطت فى الخفاء للسيطرة على مقاليد الأمور ، منظومة تتقلب وتتغير أسمائها وأساليبها حسب تغير الأمم والشعوب والديانات والعصور . ذلك موضوع هذا الكتاب الذى يحاول أن يجيب على أسئلة أهمها ، إلى أى مدى يرجع التراث الماسونى ؟ هل هو منذ فترة نبي الله سليمان أم أنه أقدم من ذلك بكثير ؟ ماذا كشفت لنا مخطوطات قمران وتعاليم الأسينيين ؟ وما علاقت فرسان الهيكل بالعمل الماسونى ؟ وما هى أوجه الشبه بين السيونية والماسونية وجمعية إيزيس السرية ؟ وهل من المنطق ربط كل اضطراب فى العام بمؤامرة ماسونية ؟ وهل هى منظمة سرية تتزعم حكومة خفية أم حركة فكرية تدعو إلى مبادئ الحرية والإخاء والمساواة ؟

إنها تقلب الارتياح كله بحجم الإثارة والسرية التى تحتويها . هذا الكتاب يعالجها ويحاول أن يجيب على كل تلك التساؤلات وغيرها بالمنظور التاريخى والوثائقى الأكثر جدياً للقراء والمهتمين.

Bibliotheca Alexandrina



0659708

ISBN 977-05-2310-0



9

7 8 9 7 7 0 5 2 3 1 0 0

مكتبة الأنجلو المصرية
THE ANGLO-EGYPTIAN BOOKSHOP



The World of Words & Thoughts